جامعـــة المسيلـــة- الجزائر

الترقيم الدولي:ISSN : 2253-010X

مجلة العلوم الاجتماعية و الانسانية

مجلة علمية أكاديمية دولية محكمة نصف سنوية تصدرها جامعة المسيلة

مدير المجلة

د.فكرون السعيد

رئيس هيئة التحرير

د.بن يمينة السعيد

هيئة التحرير

د.ضياف زين الدين

د.يعيش محمد

د.سماعيلي يامنة

د.مجاهدي الطاهر

أ.تيقان بوبكر

أ.بلقبي عيسى

د.حميدي ابوبكر الصديق

لجنة المراجعة اللغوية

أ.عزوز عبد الناصر

أ. درويش سعيدة

أمانة المجلة

تركي ميلود

شيكوش حمينة سامية

إعداد و إخراج

د.بن يمينة السعيد

أ.تيقان بوبكر

اللجنة العلمية

د.فكرون السعيد (جامعة المسيلة)

د. عباس بن يحيى (جامعة المسيلة)

أ.د. عبد الفتاح درويش (جامعة منوفية مصر)

أ.د. بو داود عبد اليمين (جامعة الجزائر)

أد. محمد عبد المولى الدقس (الجامعة الاردنية)

أ.د. فضيل دليو (جامعة قسنطينة)

أ.د. بوزبرة خليفة (جامعة الجزائر)

أ.د.يوسف عنصر(جامع قسنطينة)

أ.د.ابراهيمي الطاهر (جامعة بسكرة)

أد. دبلة عبد العالي (جامعة بسكرة)

د.بن يمينة السعيد (جامعة المسيلة)

أ.د زمام نور الدين(جامعة بسكرة)

د. سفاري ميلود(جامعة سطيف)

د. محمد يعيش (جامعة المسيلة)

د.حسين عمر لطفي الخزاعي

(جامعة البلقاء التطبيقية - الاردن)

أ.د ساري حلمي الجامعة الاردنية

أ.د باقادر ابوبكر الجامعة السعودية

أ.د برقوق عبد الرحمان (جامعة بسكرة)

أ.د. سلاطنية بلقاسم (جامعة بسكرة)

د.بوعزيزي محسن الجامع التونسية

أ.د. بن غبريت رمعون نورية، مديرة المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية- الجزائر

أ.د.جابر نصر الدين (جامعة بسكرة)

د. بودربالة محمد (جامعة المسيلة)

د.بوخالفة السعيد (جامعة باتنة)

د. الطاهر مجاهدي (جامعة المسيلة)

د. داود جفافلة (جامعة باريس فرنسا)

د. نور الدين توريريت (جامعة بسكرة)

أ.سعيدة درويش (جامعة باتنة)

د.مجاهدي مصطفى (crasc)

أ.د.حسان رمعون (جامعة وهران)

---المراسلات---

مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية- جامعة المسيلة- ولاية المسيلة الجزائر

الهاتف: 035.55.35.74(213+)

الفاكس: 035.55.96.30(213+)

البريد الالكتروني: revussh_msila@yahoo.fr

أهداف المجلة

تطمح المجلة الى تحقيق جملة من الأهداف يمكن اجمالها في نشر الدراسات والبحوث الأصيلة المبتكرة في تخصصات العلوم الاجتماعية والإنسانية، وتشجيع الأساتذة على الانخراط في حركية البحث العلمي وإنتاجه، وهو ما يدعم مسيرة الجامعة ودورها، ويدعم تواصل الباحثين وتوثيق الروابط بينهم من أجل تطوير البحث العلمي.

شروط النشر

تحرص المجلة على نشر الابحاث المرسلة اليها و التي تستوفي في الشكل والمضمون الشروط العلمية الآتية:

- أصالة المادة المقدمة للنشر وعدم صدورها في أي منشور سابق، وألا تكون مستلة من رسالة جامعية.
- تقديم نص البحث مطبوعا في نسختين وعلى قرص وعن طريق البريد الالكتروني.
- إرفاق البحث بملخص باللغة العربية لا يتجاوز نصف صفحة.
- التقيد بمنهجية البحث وإرفاق البحث بالبيبليوغرافيا وقائمة المراجع مرتبة.
- الهوامش تكون في آخر البحث.
- للمجلة حق رفض نشر البحث أو طلب تعديله بناء على تقرير المحكمين.
- لا ترد الأبحاث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- الأبحاث تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث عن 15 صفحة ولا يقل عن 10 صفحات.

بخصوص التحكيم

- تخضع كل البحوث الى التحكيم السري من قبل محكمين مختصين

- تعرض الدراسات و البحوث على محكمين اثنين على الأقل لتقديم الخبرة حولها و تعتبر هذه التقارير أساس القبول أو التأجيل أو الرفض لأي بحث أو دراسة مع العلم أن المجلة يمكنها أن تطلب إدخال التعديلات التي تراها مناسبة بناء على تقارير المحكمين .

- يمنح للباحث نسختان من المجلة التي ينشر فيها بحثه.

رئيس هيئة التحرير

الدكتور بن يمينة السعيد

تقديم المجلة

بسـم الله الرحمن الرحيم

حرصا من جامعة المسيلة على تشجيع المبادرات العلمية ومواكبة المستجدات في مجالات العلم والمعرفة المتعددة في كل التخصصات، وفتح المجال أمام الأساتذة والباحثين على الإبداع و البحث، يأتي هذا المولود الجديد "مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية" من طرف كلية الآداب والعلوم الاجتماعية كثمرة لمجهودات أساتذة الكلية و خاصة هيئة التحرير للمجلة، كوسيلة يعبر بها أساتذة الكلية والجامعة الجزائرية المتخصصين في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية عن أفكارهم وإبداعاتهم وهي تأتي كاضافة إلى ما تصدره وتنشره المعاهد والكليات الأخرى في جامعتنا.

إن أهمية المجلة تكمن في أنها اول إصدار خاص بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وبالتالي تأتي كتشجيع للبحث والإبداع في مجال العلوم الاجتماعية، هذه الأخيرة التي نرى أنها مازالت بحاجة كبيرة إلى الدعم والتشجيع للنهوض بالإنسان الذي يعتبر عماد التطور والتقدم في جميع الميادين، ومن خلال هذا فإننا نبارك للمشرفين على هذه المجلة مولودهم الجديد والذي هو إضافة بحق لجامعة المسيلة والجامعة الجزائرية، وندعو الأساتذة من جامعة المسيلة ومن مختلف جامعات الوطن والأساتذة المختصين من خارج الوطن إلى تشجيع هذه الثمرة الطيبة وذلك بالمشاركة بمداخلاتهم ومناقشاتهم العلمية، مما يعود إن شاء الله بالنفع على وطننا العزيز.

السيد مدير جامعة المسيلة

الأستاذ الدكتور عباوي اليزيد

افتتاحية العدد

إيمانا منا بالتواصل العلمي والمعرفي، وتقديرا للمجهودات الفكرية والعلمية لأساتذة الكلية والجامعة، من أجل ترقية البحث العلمي في كل الدراسات المعرفية عموما، والدراسات الإنسانية و الاجتماعية بالخصوص، وقناعة منا على أن المعرفة هي أساس التطور والتقدم للمجتمعات، يسعدنا أن نتقدم بهذا العمل الفكري المتواضع للباحثين وللقراء، والذي يعتبر ثمرة جهد متواصل وحقيقي لأسرة التحرير لمجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الذي نأمل من خلاله أن يفتح هذا العدد الأول مجالا للنقاش والحوار والنقد البناء و المفيد الذي نحن بحاجة ماسة إليه. وذلك انطلاقا من كون المعرفة الإنسانية مشتركة ومكملة لبعضها البعض، كما أننا ندرك جيدا بأن العمل الجيد سينتج لا محالة ثمرة طيبة تفيد كل أبناء المجتمع، ونبراسا ينير عقول الناس.

أتمنى لأسرة التحرير التوفيق والنجاح، كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى مجموع الأساتذة المحكمين، الذين ساهموا بعملهم ونشاطهم العلمي في إنجاز هذا المشروع، كما لا ننسى أن نشكر مدير الجامعة على تشجيعه و اهتمامه الكامل قصد تحقيق هذا الجهد العلمي والبحثي.
نتمنى أن يحقق هذا العدد نقلة نوعية في إشراك العقل العلمي في قضايا المجتمع المعاصر.

إن الإرادة تخلق الفعل الإنساني، وإن الفعل الإنساني يبعث الأمل في قلوب الناس.

الدكتور السعيد فكرون

مدير المجلة، عميد كلية الآداب و العلوم الاجتماعية

الفهرس

- تقديم المجلة مدير الجامعة الاستاذ الدكتور عباوي اليزيد V

– افتتاحية العدد عميد الكلية د. السعيد فكرون VI

1.الطلبة الجزائريون بالمغرب ودورهم في الثورة 1956. 1962، د. محمد يعيش..... 01

2. سيمون دي بوفوار عند العرب، ملاحظات حول المرأة العربيّة والشأن العام د. ميسون العتوم..... 09

3. دور التكوين في تنمية الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية ، د بن يمينة السعيد..... 31

4. تطور الثورة خلال المرحلة الأولى والصعوبات التي اعترضتها 1954.1956 د. مقلاتي عبدالله..... 41

5. التنمية المستدامة للمجتمعات النامية (بين الحتمية والواقع)، د.فكرون السعيد 54

6. صناعة الزعيم، (قراءة في العقل الماكيافيلي)، د.إسماعيل نوري، الربيعي..... 59

7. الإصلاحات الجامعية بين النظرية وواقع الممارسة، "مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي –ل.م.د-أنموذجا".أ بتقة ليلى..... 69

8. ثقافة الرجل الأزرق وواقعه بين المرأة كمؤنث حقيقي والصحراء كمؤنث مجازي"، أ .سعيدة درويش..... 83

9. النخبة الصناعية في الجزائر : معطيات وتحاليل، د. إلياس شرفة..... 95

10. الحركة الإصلاحية الجزائرية ودورها في حركة التحرر العربي

د. حميدي أبوبكر الصديق..... **108**

11. أثر الثقافة التنظيمية في مراحل صنع القرار داخل المؤسسة الاقصادية

د. يوسف جغلولي..... **117**

.12. منطقة الحضنة في العهد الحفصي، (ق7-10هـ/13-16م)، أ.محمد قويسم..... **132**

13- تسويـــق خدمات المعلومات عبر شبكة الأنترنيت بالمكتبات الجامعية الجزائريـة، (دراسـة ميدانية)، أ.بونيف محمد لمين..... **142**

14- نظام ل. م. د و عالم الشغل(الإيجابيات و السلبيات)، فرفار سامية، رزقي محمد..... **157**

15 نماذج من حركات المقاومة الوطنية في السودان الغربي خلال القرن 19م

أ.عطية عبد الكامل..... **170**

16 دور سياسة التشغيل الفعالة في خلق ميزة تنافسية للمنظمة، أ. عيشوش خيرة..... **181**

17 الصحة النفسية للراشدين ضحايا الإرهاب، أ.رقية عزاق..... **194**

01. About the Mimetism and the Acclimatization of Television's Industry in the Arab Media. Dr. Daoud DJEFAFLA..... **01**

02.Les facteurs psychosociaux de la crise de transmission des valeurs:Perspectives d'une nouvelle generation.Par: Bechka Azzedine..... **22**

03. L'approche par tâches :Une application pour l'enseignement des langues étrangères. Dr. Lakhdar KHARCHI..... **37**

الطلبة الجزائريون بالمغرب ودورهم في الثورة
1962.1956

د. محمد يعيش

الملخص:
تشكل هذه الدراسة محاولة لنفض الغبار عن نشاط الطلبة الجزائريين في المهجر وما أنجزوه لصالح الثورة ، فقد لعبت هاته الشريحة الدور الفعال في دعم الثورة سواء في جانبها البشري أو اللوجستيكي بالخصوص بعد الإضراب الذي أعلنته جبهة التحرير الوطني واستجابت له فئة الطلبة ابتداء من 19 ماي 1956 ، كما يشكل التحاق الطلبة بركب الثورة نقلة نوعية في مسارها العام ،بما أحدثته من تغيرات على جميع المستويات ، وخاصة السياسية والعسكرية. فكيف انضم الطلبة الجزائريون بالمغرب إلى الثورة ؟ وما هو الدور الذي لعبوه في دعمها ؟

مقدمة:

يعد الطالب المهاجر هو المرآة العاكسة لحالة بلده والمعبر عن آلامها وآمالها،المفتاح للخير،المغلاق للشر، ومن هذا المنطلق لعب الطلبة الجزائريون المهاجرون . بالخصوص أولئك الذين ارتووا من نبع الحركة الوطنية ومبادئها . دورا بارزا في التعريف بقضية بلدهم ومعاناة شعبهم ، وكانت منابع العلم والمعرفة التي استقطبت الطلبة الجزائريين متعددة ومتنوعة سواء في المشرق أو المغرب ، وفي مقامنا هذا أردنا أن نسلط الضوء على نشاط الطلبة الجزائريين في الثورة والذين كانت وجهتهم نحو المغرب .

ليست بحوزتنا إحصائيات دقيقة عن عدد الطلبة الجزائريين بالمؤسسات التعليمية المغربية عشية اندلاع الثورة، إنما كل ما لدينا من معلومات أنهم كانوا يتابعون دراستهم بعدة مؤسسات تعليمية مغربية:

. طلبة جامعة القرويين.
. طلبة معهد مكناس.
. طلبة مكتب الاتحاد العام بالرباط.
. طلبة الاتحاد المغربي للشغل.

وفي حدود سنة 1959 قدر عدد الطلبة الجزائريين بحوالي 300 طالبا[1]، وهذا حسب رواية الشيخ أحمد توفيق المدني، ولسنا ندري هل هذا العدد بجامعة القرويين فقط أم بجميع المؤسسات المغربية السالفة الذكر.

لم نتمكن من العثور على معلومات دقيقة نسترشد من خلالها موقف الطلبة من الثورة عشية اندلاعها غير أن السياق التاريخي العام وبناء على النشاط السياسي التي كانت تقوم به الخلية السرية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في الأوساط الطلابية والتي أشرنا لها سابقا توحي بأن هذه الشريحة من الجالية الجزائرية المقيمة بالمغرب قد تفاعلت مع الحدث على غرار الطلبة الجزائريين المتواجدين في جامعات العالم بالخصوص الجامعة الفرنسية، أما الطلبة الذين كانوا ينشطون في خلايا حزب الشعب فقد كانت مشاركتهم في الثورة أمرا مفروغا منه لأنهم كانوا يتنبأون باندلاعها في خضم الأحداث الوطنية والدولية المحيطة بها، وفي هذا الصدد كتبت زهرة ظريف[2]

(عندما كنا ندرس في الثانوية خلال الحرب التونسية كنا نعلم أن الثورة الجزائرية ستنفجر يوما ما وكنا نظن بكيفية ربما أنانية أن ذلك سيحدث بعد أن ننهي دراستنا ليتسنى لنا المشاركة فيها، لم يكن يشب تلك الأماني إلا خشية واحدة

وهي . أن نرى أولئك الرجال الأبطال يدفعون بأنفسهم إلى الموت المحتوم عن آخرهم قبل أن يتمكنوا من لم شمل الشعب الجزائري وراءهم)[3].

لم يكن الطلبة الجزائريون بالمغرب بمعزل عما يجري في الوسط الطلابي في جامعات العالم الذي بدأ الماسكون بزمامه يفكرون في كيفية المشاركة في الثورة، هل بشكل فردي وبدون تنظيم أم بالعمل على تنظيم الوسط الطلابي وجمعه في كتلة واحدة ثم الاتفاق على الانضمام للثورة ؟ وبعد صراع طويل مع المنظمات الطلابية الفرنسية المدعومة من طرف إدارة باريس قرر الطلبة الجزائريون إيجاد الإطار الخاص بهم، وبوحي من جبهة التحرير الوطني أسسوا "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" في شهر جويلية 1956، ومنذ ذلك الوقت أصبح الطلبة المنظوين تحت لوائه ينشطون في إطار ثوري بالتنسيق مع جبهة التحرير الوطني[4].

وقد قام بالدور البارز في ربط الطلبة بالثورة الطالب شريف بلقاسم الذي استقرت عائلته بالدار البيضاء بالمغرب وبها تابع دراسته، انتسب إلى كلية الحقوق بالرباط، التحق بالثورة عام 1955، ونظرا لغيرته الوطنية ونشاطه الدؤوب عين مسؤولا عن الطلبة الجزائريين بالمغرب، ونظرا لميولاته الثورية الميدانية عين قائدا على المنطقة الأولى من الولاية الخامسة(بتلمسان)، ثم التحق بهيئة الأركان بوجدة وهناك عينه بومدين للإشراف على معسكرات التدريب والتأطير.

لم يكن الطلبة الجزائريون في المغرب بمعزل عما يجري في البلد الأم من ظلم واضطهاد، بل كانوا يستغلون المناسبات الوطنية والدينية في المغرب للتعبير عن استيائهم وسخطهم والتنديد بسياسة القمع وحرب الإبادة التي سلطت على الشعب الجزائري معبرين عن تضامنهم مع جبهة التحرير الوطني [5]. هذا الإحساس والشعور من طرف الطلبة الجزائريين تجاه قضية بلدهم نقلوه إلى الأوساط الطلابية المغربية التي كانت تتضامن معهم وتعلن عن مساندتها للقضية الجزائرية وعلى رأسها جبهة التحرير الوطني.

تجسد هذا الشعور والتضامن الأخوي في مناسبات عديدة من ذلك على سبيل المثال في الاجتماع الذي عقده فرع الاتحاد العام للطلبة الجزائريين بفاس والشبيبة القروية الاستقلالية وفرع الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة وجمعية مغرب الغد وذلك يوم 1956/02/07 بدار الطالب الجزائري. ندد المجتمعون بسياسة القمع وحرب الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفرنسي على يد جلادي الاستعمار مستصرخين الضمير العالمي والبشرية جمعاء لإنقاذ الجزائر من هذه الحرب الضروس والقبضة الحديدية التي سلطها الاستعمار على شعب أعزل. ناشدوا هيئة الأمم المتحدة بإنصاف الشعب الجزائري ومساعدته في الحصول على حقوقه المشروعة، كما طالب المجتمعون من فرنسا أن تعترف بجبهة التحرير الوطني الممثل الشرعي والوحيد للشعب الجزائري.

أعلن الطلبة الجزائريون ومن منبر هذا الاجتماع تضامنهم التام مع شعبهم المكافح، وأيدوا بلا قيد ولا شرط رغبته المشروعة في الحرية والاستقلال. وفي ختام هذا اللقاء أرسل المجتمعون برقية إلى هيئة الأمم المتحدة جاء فيها:

(بمناسبة عرض القضية الجزائرية على بساط البحث فإن فرع الاتحاد العام للطلبة الجزائريين بفاس وفرع الاتحاد الوطني للطلبة المغاربة والشبيبة القروية الاستقلالية وجمعية مغرب الغد، يوجهون نداء إلى هيئة الأمم المتحدة طالبين منها أن توجد حلا عادلا للقضية الجزائرية، وتطالب فرنسا بمفاوضة جبهة التحرير الوطني. آملين أن تعمل المنظمة الأممية جادة لضمان السلام العالمي)[6].

في ظل الجو المكهرب بين إدارة الاحتلال وجبهة التحرير الوطني من جهة وبين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ولجنة العمل [7] من جهة ثانية وانتقال الصراع إلى النخبة المثقفة وجهت جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين الذي اجتمع فرعها بوجدة التابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في الفاتح من مارس 1956 ووجه برقية إلى الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائرييم معلنا عن تضامنه ومساندته، جاء في هذه البرقية على وجه الخصوص:

(إن جمعية الطلبة الجزائريين بوجدة التابعة للاتحاد ع. ط. م. ج نظرا لشعورها بخطورة الحالة في الجزائر من جهة، ويقينها بأنه لا يمكن أن يكون للجزائر مصير غير مصير القطرين الشقيقين المغرب وتونس.ومن جهة أخرى قررت في اجتماعها العام طلبا من الحكومة الفرنسية ما يلي:

. اولا: الكف عن محاكمة الطلبة الجزائريين.

. ثانيا: جعل حد للقمع وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين بالجزائر في العاجل.

. ثالثا: الاعتراف بواقعية الوطن الجزائري، بحيث أن إرضاء هذه الطلبات هي الوسيلة الوحيدة لإرجاع جو التفاهم والصداقة المناسبة لافتتاح مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري) [8].

إن هذا الاحتجاج له دلالته الزمانية وخلفيته السياسية، حيث كان هذا التحرك استجابة للنداء الذي وجهه الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في مطلع 1956 والذي دعا من خلاله إلى حملة تضامن مع الطلبة الجزائريين المسجونين، تستغرق الحملة مدة أسبوعين يتخللها يوم إضراب عن الدراسة والطعام، حدد هذا اليوم بـ 20 جانفي 1956، فكانت الاستجابة من طرف الطلبة الجزائريين واسعة النطاق، صادق المضربون على لائحة تطالب بإطلاق سراح الطلبة الجزائريين المسجونين، وتوقيف عملية القمع التي يقوم بها الجيش الفرنسي و" الاعتراف بالأمة الجزائرية وبحق الجزائريين في تولي السلطة في بلدهم والتفاوض مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري [9] .

استجابة الطلبة الجزائريين في المغرب لنداء الإضراب

عقد الطلبة الجزائريون بفاس اجتماعا عاما بدار الطالب الجزائري وقرروا فيه بالإجماع إرسال برقية [10] إلى فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بالجزائر تأييدا لهم وتضامنا معهم، كما قرروا إرسال عرائض إلى كل من الملك محمد الخامس ورئيس الحكومة المغربية السيد البكاي ووزير التعليم والفنون الجميلة الأستاذ محمد الفاسي وشيخ الإسلام ورئيس جمعية العلماء بالمغرب السيد محمد العربي العلوي، وعامل فاس وناحيتها، وإلى بعض الأساتذة بجامعة القرويين يوضحون فيها الأسباب التي دعتهم إلى القيام بالإضراب. جاء في المراسلة:

(... وبعد. فلما لكم من الاهتمام المتزايد بأحوال الجزائر وأبنائها كان من الضروري أن نحيطكم علما بما قام به الطلبة الجزائريون الذين يزاولون دروسهم بجامعة القرويين العامرة والذين يتابعونها بالليسي والمدارس الثانوية والإدريسية في هذه الأيام الأخيرة من إضراب عن الدروس والامتحانات إلى أجل غير مسمى بأمر من الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بباريس احتجاجا على الاستعمار الغاشم وسياسته في الجزائر...ومن ذلك أيضا ما قام به آباء التلاميذ الصغار فقرروا بدورهم إضراب أبنائهم عن الدروس والامتحانات الابتدائية والثانوية تضامنا مع شعبهم)

وتحت عنوان " الطلبة الجزائريون يضربون عن الدروس والامتحانات " نقلت جريدة العلم فعاليات التجمع الذي عقده الطلبة وأقارب التلاميذ الجزائريين

القاطنين بالرباط وسلا يوم 29 ماي 1956 بمركز جمعية الطلبة المغاربة وتحت إشراف الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين واتحاد جمعيات (وداديات) الجزائريين بالمغرب وبعد تداول الممثلين على منصة الاجتماع تداولوا، وأصدروا بيانا جاء فيه :

(حيث أن الحرب الطغيانية التي شنها الاستعمار الفرنسي على شعبنا بقوات جبارة أدت بوطننا إلى الزج بخيرة أبنائه في غمارها. وحيث أن الحكومة الفرنسية بعدما منعتنا من جميع وسائل التعبير وجدت أمامها المجال فسيحا لمغالطة الرأي العام الفرنسي والدولي في المعنى الحقيقي للنضال الذي يقوم به جنودنا الأبطال. وحيث أننا نشعر تماما بما قد يكون بقرارنا من عواقب وخيمة على رأسمالنا الثقافي ولكن من غير أن يفت ذلك في عزمنا على إبداء تضامننا الفعلي والكامل مع جيش وجبهة التحرير الوطني.

وحيث أننا نأمل في هذا القرار الخطير أن يؤدي بالرأي العام الفرنسي إلى إدراك جسامة المأساة الجزائرية، وأن يؤدي كذلكم بالحكومة الفرنسية إلى سلوك طريق المفاوضات حتى لا تتسع إلى حد يعيد الهوة الفاصلة بين الشعبين. قررنا ما يلي:

الإضراب إلى أجل غير محدود ابتداء من يوم الاثنين 28 ماي 1956عن الدروس والامتحانات في جميع المدارس الابتدائية والثانوية والعليا، وذلك باتفاق مع اللجنة الإدارية للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين [11].

وعلى خطى طلبة الرباط سار بقية الطلبة الجزائريين بالمدن المغربية، فنظرا للحالة التي تعيشها الجزائر واحتجاجا على السياسة الاستعمارية قرر جميع الطلبة الجزائريين بمكناس القيام بإضراب غير محدود عن الدراسة ليشاركوا إخوانهم في التجارة والصناعة والمهن الآلام التي يتحملونها في هذا المجال بجد وثبات، فطلبة الثانوية أصدروا بلاغا وافق عليه الجميع وأصبح ساري المفعول، كما أن طلبة المعهد المكناسي وجهوا رسالة [12] إلى وزير التعليم والفنون الجميلة. من أهم ما جاء فيها

(نظرا للحالة الراهنة التي يعيشها الشعب الجزائري المكافح من أجل حريته واستقلاله، واحتجاجا على تصرفات الاستعمار الغاشم... وتلبية للنداء الذي وجهه الاتحاد العام للطلبة المسلمين بباريس، قرر الطلبة الجزائريون إضرابا عاما عن المدارس والامتحانات إلى أجل غير مسمى تضامنا مع إخوانهم المكافحين الجزائريين، ويبدأ هذا الإضراب يوم 30 ماي 1956 [13].

الطالبات الجزائريات بالمغرب يقتحمن صفوف الثورة

بعد إضراب الطلبة في ماي 1956 التحقت مجموعة من الطالبات بصفوف المجاهدين مثل: رشيدة ميري، مليكة حجاج، يمينة وخديجة شلالي [14] وهن طالبات ثانويات تابعات للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بمقاطعة وجدة، وبعد إلحاح ومتابعة قبلتا سنة 1957 مع خمس طالبات ثانويات أخريات [15].

كانت الطالبات قبل تسليم مهامهن يخضعن لاستجواب دقيق من طرف بوصوف قائد الولاية الخامسة، ثم يبدأ تكوينهن بإشراف بوصوف لمدة شهرين تكوينا سياسيا وعسكريا كاستعمال السلاح وتركيبه، علاوة على تلقينهن دروسا في التاريخ الوطني ومولد تنظيم جبهة التحرير الوطني [16]، كان يتم تعليمهن كتابة التقارير وتحضيرها لمهمتهن في الجيش [17]

في سنة 1957 كون بوصوف ثماني فرق وكل فرقة مكونة من رجل وامرأة (طالب وطالبة)،كل فريق يتم إرساله إلى منطقة معينة لمدة أقلها شهرين لمراقبة ومعاينة التنظيم السياسي للمنطقة المرسل إليها وانطلاقا من هذا التنظيم كان توزيع الطالبات على النحو التالي:

. مسعودة (مليكة حجاج) [18]: المنطقة الأولى برفقة الشاب حسان.

. فوزية [19]: المنطقة الثانية رفقة الشاب جعفر.

. يامنة (عوالي عويسي) المنطقة الثالثة رفقة الشاب سعيد.

. العارم (رشيدة ميري) المنطقة الرابعة رفقة الشاب عبد القادر.

. غنوجة (خديجة شلالي) المنطقة الخامسة رفقة الشاب رشيد.

. رابحة (يمينة شلالي) المنطقة السادسة رفقة الشاب حميد.

. خولة وسميرة إلى المنطقتين السابعة والثامنة مع طارق ويوغرطة [20]

وبعد الفراغ من المهمات الموكلة إليهن كن يقدمن تقارير مفصلة حول وضعية المنطقة المكلفة بمراقبتها، إلى جانب مهامهن العسكرية والسياسية كلفن بالاحتكاك بالنساء الموجودات بتلك المناطق قصد توعيتهن وإرشادهن وحثهن على مساعدة جيش التحرير [21].

من بين الأفواج الثمانية كلفت مليكة حجاج وزميلها حسان بمراقبة الحركة المصالية بمنطقة تلمسان، وبذلك يكون دور الطالبات قد تعدى الميدان السياسي والعسكري إلى ميدان الاستخبارات، وهو ما تعلمنه أثناء التدريب من الاعتماد على دقة الملاحظة وسرعة الفهم من بين المراقبات الثمانية السابق ذكرهن اثنتان منهن استشهدتا أثناء اشتباكات جيش التحرير مع قوات العدو والباقيات عدن إلى وجدة سنة 1958. وبعد رجوعهن قامت القيادة العليا للثورة التي كانت تحت إشراف العقيد هواري بومدين باستجوابهن، أربعة منهن بقين في وجدة حيث القيادة العليا وأسندت لهن مهمة الإعلام والقيام بالدعاية لمبادئ الثورة وكذا المشاركة في جريدة "المستقبل" الخاصة بالمنطقة الخامسة، للإشارة فقد تم فصل الرجال عن النساء بصفة نهائية بعد العودة إلى وجدة [22].

لم تكن بعض الفتيات يسمح لهن بالالتحاق بالثورة إلا بتدخل من الأقارب أو ممن يوثق بهم من المناضلين، مثلما هو الحال بالنسبة للطالبة أنيسة درار التي تمكنت من اقتطاع تأشيرة الانضمام إلى الثورة بتدخل من والدها المناضل في جبهة التحرير الوطني لدى قيادة الثورة، وذلك بعد إضراب 19 ماي 1956. أرسلت أنيسة إلى وجدة بالمغرب وهناك تلقت تكوينا شبه طبي سريعا لمدة خمسة أشهر بمستشفى لوسطو " Lousteau" أين التقت بمجاهدات من تلمسان وهن شيالي يمينة (السيدة تونسي)، رحال لطيفة (تزوجت بالمجاهد الدكتور لزرق) وفاطمة بوعلاقة (زوجة زرهوني) اللواتي كن يقمن بدور مرشدات ومنظمات اجتماعيات وبعد التكوين الأولي التحقت أنيسة درار بالمنطقة الثانية من الولاية الخامسة، وكذلك الممرضة وهي جميلة مهدي زوجة الرائد مستغانمي المدعو سي رشيد، هذا وقد انضمت إلى الثورة ممرضات أخريات مثل فتيحة رماعون " REMAOUN " (رشيدة) التي كانت ممرضة رئيسية في المستشفى العسكري بوهران وفرت إلى المغرب بعد تنفيذ حكم بالإعدام في حق أحد الموظفين، تتميز بشجاعتها وقدرتها على الصمود في الميدان، ألقي عليها القبض في شهر جوان 1957 وكعادته فإن الاستعمار لا يرحم حيث تعرضت رشيدة إلى شتى أنواع التعذيب والتنكيل وعرضت

في الأسواق والدواوير لتكون عبرة لمن أراد. وأخيرا تم إعدامها. ومثل هذه البطلة التحقت مجاهدات أخريات بالثورة انطلاقا من المغرب مثل خديجة بن يعقوب (أصلها من سعيدة) التي قدمت من الدار البيضاء، ومثلها فرنان لطيفة التي تركت عائلتها وأبناءها في الدار البيضاء ولبت الواجب الوطني.

وهناك الكثير من المجاهدات اللواتي أرسلن إلى المغرب للتكوين يعدن إلى مناطقهن في الولاية الخامسة [23]، تقول أنيسة درار (... كانت أنشطتنا في جيش التحرير متنوعة، فكنا نضطلع - في ذات الحين - بدور الممرضة والمساعدة الاجتماعية والكاتبة وأحيانا مسؤول التنظيم النسوي، فقد كنا نقدم بلا انقطاع وبتفاني مطلق العلاج للمقاتلين المصابين، ونقوم بزيارة الأطفال الذين كانوا يحبوننا حبا جما ويبادوننا بالملائكة، كما كنا نعلم سكان الريف مبادئ الصحة ونعمل من أجل تحسين وضعية المرأة المسلمة) [24]. أما المتعلمات منهن فقد كن يقمن - إلى جانب أدوارهن - بدور الكاتبات وهذا ما أشارت إليه أنيسة درار (كنا نساعد كاتب المنطقة فنتولى تحرير المئات من منشورات الدعاية، ونترجم إلى العربية القوانين الداخلية العسكرية والقرارات وغيرها من الوثائق) [25] علاوة على مهام أخرى كانت يقوم بها هؤلاء النسوة كشرح أهداف الثورة من أجل المشاركة الفعالة في الكفاح من خلال مهامهن النبيلة. وابتداء من سبتمبر 1957 ونظرا للتطورات التي عرفتها الثورة كنتيجة لإضراب الطلبة استحدثت مناصب جديدة (ممرضات الكتائب - مراقبات الممرضات - مسؤولات التنظيم النسوي)، وأصبحت الممرضات ترتدي البذلة العسكرية، في حين ترتدي الممرضات المتنقلات لباسا شبيها بلباس نساء الدواوير التي يقمن بزيارتها لتجنب إثارة انتباه الجيش الفرنسي [26].

وهكذا يتجلى لنا أن المرأة الجزائرية بالمغرب نهضت بأدوار نضالية مختلفة، قدمت من خلالها خدمات جليلة للثورة الجزائرية.

الهوامش:

[1] . أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الجزء 3، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1988، ص. ص 416. 418.

[2] . مولودة بتيارت، من فدائيات الجزائر العاصمة، شاركت في معركة الجزائر فكانت تقوم بالاتصالات ووضع القنابل، تم أسرها في شهر سبتمبر 1957 وحكم عليها بالسجن المؤبد، أطلق سراحها بعد وقف إطلاق النار. بعد الاستقلال تزوجت برابح بيطاط. أصبحت عضو في البرلمان، واصلت دراستها في الحقوق وامتهنت المحاماة.

[3] . غي بريفيليي، الطلبة الجزائريون في الجامعة الفرنسية 1880. 1962 ترجمة: حاج مسعود وآخرون، دار القصبة للنشر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر 2007، ص 218.

[4] . عمار هلال، نشاط الطلبة الجزائريين إبان ثورة نوفمبر 1956، الجزائر 1986، ص 30.

[5] . جريدة العلم، عدد 2083 (1957/02/10)، ص 6.

[6] . جريدة العلم، عدد 2083، المصدر السابق.

[7] . منذ مطلع 1956 ازداد شعور فرنسيو الجزائر بالخوف من تخلي الحكومة الفرنسية عليهم وأن الحاكم العام الجديد " كاترو" مؤشر عن قرب نهاية ما يسمى "بالجزائر الفرنسية" ومن أجل ذلك شكل الأستاذ بوسكي بكلية الحقوق مطلع فبراير 1956 لجنة عمل جامعية من أجل بقاء السيادة الفرنسية في الجزائر وانضم إليه 80 بالمائة من المدرسين، وبذلك اشتد الصراع داخل الجامعة بين الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وهذه اللجنة، كان ذلك من الأسباب الداعية إلى تعرض الطلبة الجزائريين إلى المحاكمات العشوائية والزج بهم في السجون من طرف إدارة الاحتلال، المرجع: غي برفيليي، مرجع سابق، ص. ص 233. 234.

[8] . جريدة العلم، عدد 2098 (1956/03/03)، ص2.

[9] . غي برفيليي، مرجع سابق ن 230.

[10] . موقعة باسم لجنة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين / مكتب اتحاد الجمعيات الجزائرية بالمغرب : جريدة العلم، عدد 2193 (1956/06/06)، ص 4.

[11] . جريدة العلم، عدد 2193 (1956/06/06)، ص4.

[12] . موقعة من طرف الطلبة الجزائريون بالمعهد المكناسي: جريدة العلم،عدد 2193، المصدر السابق.

[13] . جريدة العلم، عدد 2193 (1956/06/06)، ص 4.

[14] . بعثتا برسالة إلى جبهة التحرير عبرتا عن رغبتهن في الالتحاق بالثورة، إلا أنهما رفضتا بسبب صغر سنهما، ومن جهة أخرى رأت القيادة العسكرية أن وجودهما ضمن فرع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين سيكون أكثر فعالية.

[15] - Ryme Seferdjeli , des Femmes dans la Missions de . Contrôle de la Wilaya 5 Pendant la Guerre de Libération , in : أعمال الملتقى الدولي حول نشأة وتطور جيش التحرير الوطني المنعقد بفندق الأوراسي أيام 2 . 3 .4 جويلية 2005 ، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر 2005 .P88

[16] Idem

[17] Idem

[18] . من أسرة جزائرية. ولدت ونشأت بوجدة، انخرطت مبكرا في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين، اختيرت نائبا لرئيس التجمع الطلابي بوجدة الذي تشكل بتاريخ 1956/02/12 تحت إشراف الاتحاد ع. ط. م. ج

[19] . ولدت بتلمسان سنة 1940، التحقت هي وبعض زميلاتها بالثورة انطلاقا من الثانوية الثعالبية التي كن يدرسن بها بعد إضراب الطلبة الجامعيين والثانويين، وفي سنة 1956 التحقت بمركز جيش التحرير الوطني بوجدة المغربية، وهناك بمراكز التدريب التابعة للولاية الخامسة تلقت تكوينا سياسيا وعسكريا وتخصصت في التمريض، بعد فترة التدريب أرسلت إلى المنطقة الثانية بناحية مسيردة قرب ندرومة التي نالت بها الشهادة في سبتمبر 1957. للمزيد راجع: عبد الله مقلاتي، أعلام... المرجع السابق، ص 212.

[20] . Ryme Seferdjeli , OP.cit , P 91.

[21] . Idem.

[22] . Ryme Seferdjeli , OP.cit, P 92.

[23] . Messaouda Yahiaoui et Autre , Le Rôle de la Femme Algérienne Dans La Révolution 1954_ 1962 , Serie de Projet nationaux de Recherche , Edition Spéciale , Ministère des Moudjahidins 2007 , P 91

[24] Ibid , P 92

[25] . Ibid . P 94

[26] Idem..

سيمون دي بوفوار عند العرب

ملاحظات حول المرأة العربيّة والشأن العام

د. ميسون العتوم- الأردن

الملخّص

تشتغل هذه الورقة أساسا على كتاب **الجنس الثاني** لسيمون دي بوفوار الذي نشر لأول مرّة بباريس سنة 1949. ولم يترجم إلى الانجليزيّة بشكله الكامل إلا في عام 2009. انطلقنا من هذه الترجمة المتميّزة لنقيم حوارا مع سيمون دي بوفوار حول قضايا المرأة العربيّة الرّاهنة. ولتحقيق هذا الهدف، عملنا على واجهتين أساسيتين. على واجهة الأولى ، حاولنا أن نقف على الآليات والإستراتيجيات التي اعتبرتها دي بوفوار مصانع لخلق المرأة وبنائها بناء سوسيولوجيا وانثروبولوجيا وتاريخيا. وعلى واجهة ثانية، حاولنا أن نواجه هذا البحث بمطالب المرأة العربيّة من ناحية ومن ناحية أخرى بواقعها السّوسيولوجيّ حتى نتمكن من قياس المسافة الفاصلة - إن كانت هناك مسافة - بين مشروع المرأة العربيّة ومشروع سيمون دي بوفوار.

ومن هذا المنطلق يمكن أن تعتبر هذه الورقة، في جانب من جوانبها، تكريما لسيمون دي بوفوار وفي جوانب أخرى محاولة للوقوف على إنجازات المرأة العربيّة وعلى أهمّ مطالبها في هذا الظرف الدّقيق والحرج الذي تمرّ به المجتمعات العربيّة.

الكلمات المفتاحيّة أو المفاهيم الأساسية:

الجنس- الجندر – البناء الاجتماعي للذات – الطبيعة – الثقافة – الشأن الخاص – الشأن العام

مقدّمة:

في 1949 تنشر سيمون ديبوفوار بباريس **الجنس الثّاني** وهو الكتاب الذي سرعان ما أصبح في العالم كلّه بمثابة الدليل لكل امرأة تريد أن تعرف ذاتها وأداة لكلّ من يحرّض ضدّ الهيمنة والاضطهاد. إنّه يعتبر من دون شكّ من الكتب الرّائدة التي تعدّ اليوم من البحوث الكلاسيكية في حقل الإنسانيّات. والى حدّ هذه السّاعة، حسب علمنا، أي بعد أكثر من ستّة عقود من الزّمن، ما زال هذا البحث المؤسّس غير معروف في الوطن العربي إذ أنه لم ينقل إلى حدّ الآن إلى العربية بشكله ومحتواه الأصيلين ولم يجد إلى حدّ هذه السّاعة طريقه للوصول إلى الأجيال العربيّة الشابّة المتعطشة

إلى قراءة مثل هذه البحوث الكاشفة لأدوات وآليات صناعة نساء خاضعات طائعات سّاكتات ومغتربات عن أنفسهنّ.

لم يكن يخطر على بالنا أن نكتب مقالا حول هذا البحث الذي كان وراء سجال لم يهدأ منذ أكثر من نصف قرن ولم نكن ننوي البتة الحديث عن كتاب كان وما يزال موضوع آلاف من البحوث والمقالات من كل الاختصاصات [1] لو لم يتسنّ لنا قراءة هذه الترجمة الإنكليزية الدقيقة **للجنس الثاني** التي قامت بها في هذه الأيّام بورت وشوفاليي. (Borde and Chevallier, 2009) هذه التّرجمة الكاملة والدّقيقة، هذه الترجمة المتميّزة التي تريد أن تضاهي أو تفوق النصّ ألأصلي في دقته وجماله وبلاغته هي التي حرّضتنا على العودة لهذا البحث وعلى الاستماع من جديد لسيمون دي بوفوار. لم نكن نصدقّ ونحن نقرأ هذه التّرجمة الدقيقة للمرّة الثّانية أنّ هذا الكلام كان قد قيل منذ أكثر من نصف قرن ! والذي زاد من رغبتنا ومن إصرارنا في محاورة سيمون ديبوفوار هي هذه الرّياح العاتية، رياح الحرّية التي بدأت تهبّ على العالم العربي لتعيدنا إلى ذاتنا والى التّفكير في السّياسة والشأن العام.

الهدف من هذا الحوار أو بعبارة أخرى الهدف من هذه المحاورة بالمعنى الذي يعطيه ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtin) لهذه الكلمة [2] يتمثل أساسا في إبراز أهمّ نتائج هذا البحث السّوسيولوجيّ لسيمون دي بوفوار ومواجهته بواقع المرأة في الزّمن الرّاهن. هذا يعني أنّنا سوف لن نتحاور مع سيمون دي بوفوار حول الوجوديّة أو حول الفينومولوجيا أو حول الأدب أو حول علاقتها مع سارتر، صديقها في البحث وفي الحياة وفي النّضال وإنما ستنطلق هذه المحاورة و ستنحصر في **الجنس الثّاني**. و سنعمل على واجهتين أساسيّتين. على واجهة أولى، سنقف على أهمّ الآليات والمصانع التي يتمّ من خلالها بناء المرأة وخلقها سوسيولوجيّا وأنثروبولوجيّا وتاريخيّا كما بيّنت ذلك سيمون ديفوار. وعلى واجهة ثانية، سنحاول رسم أطلس الفضاء الذي

اكتسحته المرأة في الشّأن العام منذ الحرب العالمية الثانية إلى اليوم في المجتمعات الغربيّة وفي الوطن العربيّ.

1ـــ البناء السّوسيولوجيّ للمرأة : المصانع والآليات.

1ـــ1ـــ المرأة لا تولد إمرأة:

منذ البداية أي منذ الفصل الأوّل من الكتاب، تحاول سيمون دي بوفوار أن تقطع مع السّوسيولوجيا العفويّة إذ أنّ القطيعة مع الرأي العام هو جزء لا يتجزّأ من عمليّة بناء الموضوع بناء علميّا. يجب أن لا ننسى أنّ العلم يدرس العلاقات أمّا السّوسيولوجيا العفويّة أو قل الرأي العام فإنه ينظر إلى العناصر وكأنّها كيانات متناثرة و مستقلّة بذاتها كما يعتبر الفروع وكأنها أصول ثابتة ومستقرّة. فالرأي العامّ المتغلغل لا فقط عند سواد النّاس وإنما أيضا في الأوساط العلميّة

ينظر إلى المرأة كقدر، كمعطى، كجوهر غير قابل للتحوّل لا بل ككيان انطولوجيّ مكتمل وثابت ومستقلّ بذاته.

جاء **الجنس الثاني** كردّ على هذه السّوسيولوجيا العفويّة. لقد بينت تجارب حدوديّة كتجربة الأطفال (المتوحشين)، (Malson, 1972) هؤلاء الأطفال الذين عاشوا في عزلة عن المجتمعات الإنسانيّة، أنّ الإنسان ليست له طبيعة إذا كان المقصود من هذه الكلمة مجموعة من الخصائص المكتملة والجاهزة والمستقلة والموجودة فينا بالفطرة منذ الولادة. لقد بيّنت مثل هذه التجارب أنّ الطبيعة الإنسانيّة ليست سوى مجموعة من الاستعدادات التي لا يمكن لها أن تتحقّق إلاّ داخل المجتمعاتٍ وعبر الثقافة. فالقول أنّ المرأة إمرأة منذ الولادة ليس فقط هو ادعاءا باطلا لا طائل من ورائه وإنّما هو مناورة تعمل على التضليل بطمس كلّ ما هو تاريخيّ وبإرجاع الثقافي إلى طبيعة طبيعيّة. لقد قامت سيمون دي بوفوار منذ البداية بفضح عملية التطبيع هذه حتى يتسنّى لها أن تبيّن أنّ المرأة ليست لها طبيعة بل لها تاريخ. أجل، إنّ المرأة لا تولد امرأة كما أنّ العبد الأسود لا يولد قطّ عبدا أسود إلا ما تمّ استعماره من قبل الأبيض كما يقول فانون.(Fanon, 1963, p.15). فكيف تكون المرأة كما تقول سيمون ديبوفوار ضحيّة ومشاركة في الجريمة في الآن ذاته؟ بعبارة أخرى كيف تكون المرأة صناعة للهيمنة الرّجوليّة، كهيمنة تخضع لها المرأة وتعمل من دون أن تدري على إعادة إنتاجها؟ سنحاول أن نبحث في المصانع والآليات التي ساهمت في صناعة المرأة وذلك على واجهتين. سنبيّن أوّلا دور الرّؤى والتمثلات وثانيا دور المؤسّسات الإجتماعية كالزّواج أو لو تقسيم العمل انطلاقا من **الجنس الثاني**.

1-2-المصانع والآليات

1-2-1- دور التمثلات والرؤى والأفكار.

يعرِّف لفي استروس (Lévi-Strauss) الثقافة على أنها مجموعة من الأنظمة الرّمزيّة كاللّغة ونظام القرابة والفلسفة والدّين والأسطورة والفنّ والعلم و طريقة الأكل واللباس والمشي وحمل الجسد... (Alain and all,1996).

وهذه الأنظمة هي التي تعطي معنى للإجتماعي والطبيعي وهي التي تنظّم العلاقات الاجتماعية وهي التي تقيم الحدود في كلّ مرّة بين الحقّ والباطل، بين الحرام والحلال، بين المسموح والممنوع، بين الخير والشرّ، بين الرّفيع والوضيع، بين الأعلى والأسفل، بين النهار والليل إلى غير ذلك من الحدود والحواجز التي تحاول كلّ ثقافة أن ترسمها لقراءة العالم.

هذه الحواجز وهذه الحدود وهذه التصنيفات تتجلى في كثير من مظاهرها أو صورها في التمثّلات الاجتماعية ، وهذه التمثلات بالنسبة إلى سيمون دي بوفوار هي من نتاج الأساطير حيث تساهم هذه الأخيرة في تأسيسها وفبركتها وإعادة إنتاجها. وهي تملك من السلطة والقوّة والهيمنة ما يمكنها من التخفّي والمراوغة. فهي تقول وكأنها لا تقول حتى يخيّل إلى السّامع أنّ ما تقوله الأسطورة هوالقول الأبديّ والقول الخالد والقول الحقّ.

ولقد بينت سيمون دي بوفوار في هذا الكتاب كيف أنّ الأساطير والتّمثلات هي مصنع من المصانع التي لا يمكن أن يستهان بها في خلق المرأة و بناءها في اللاوعي أو في الوعي الجمعي على حدّ عبارة دركهايم. فالأساطير هي التي تشكل الفضاء العام وهي التي تسكن في مخيّلة عامّة الناس وهي التي تندسّ في الفلسفة و في ثنايا الفكر والأدب والفنّ. فمن خلال هذه الأساطير تبدو المرأة تارة في صورة المرأة الجنس وتارة في صورة المرأة الطفل ومرّة في صورة المرأة الأخت وأخرى في صورة المرأة الأمّ. وفي جميع الحالات أي في كلّ مرّة، يجب أن تكون المرأة تابعة للرجل وخاضعة لهيمنته كما تقول سيمون دي بوفوار.

وتشير مؤلّفة **الجنس الثّاني** إلى أنَ الأساطير كانت وما تزال هي الأداة وهي الأساس وهي الركيزة التي قامت عليها معظم الأديان والايديولوجيات. ففي الانجيل حيث أسطورة الخلق الأولى ، الأسطورة التي سادت في أوروبا المسيحية لقرون، تقدم قصة خلق آدم كحدث رئيسي لبداية البشرية ثم تأتي حواء كلاحقة ثانوية وظرفيّة تجسدها قصة خلقها من ضلعه الأعوج . كما تبين أنها لم تخلق لذاتها بل كان الهدف من خلقها إسعاد آدم وايناسة في وحدته . أي أن آدم لم يكن يحمل رمزيّة أصل حواء فقط بل ورمزية مصيرها وقدرها والهدف من وجودها معا. وكأن هذه الأساطير تبنى على حقيقة وجود جوهري لآدم ووجود طارئ وثانوي وربما عرضي لحواء.

ولعله من المفيد أيضا التطرق إلى أسطورة الغموض وهي أكثر الأساطير تداولا بين الرجال حيث تختزل هذه الأسطورة المرأة دوما بالآخر المبهم أو الآخر الغريب. وكذا أسطورة الشرّ التي تتقاطع في كثير من معانيها مع الأنوثة وتغذي العنف والقهر ضد النساء أو أسطورة الدنس أو عدم الطهارة الناتجة عن الحيض والولادة وما يلحقها من عنف تحقيري انتقاصي لطبيعة النساء. كلّ هذه الأساطير تختزل المرأة في حقيقة واحدة هي تلك التي تعطي الشرعية بطريقة أو بأخرى للامتيازات الذّكوريّة.

تتميز هذه الأساطير بالنسبة لسيمون دي بوفوار - بالرغم من الأزمنة المتباعدة التي تفصلها وبالرغم من السياقات المختلفة التي تنتمي إليها – بخاصيتين أساسيّتين. الأولى تتمثّل في تكرار محتوى هذه الأساطير في معظم الثقافات الإنسانيّة الأوّلى وفي معظم الحضارات الشّرقية والغربيّة. والثانية هي إنّ جميعها يعمل على تكريس دونيّة المرأة. هذا يعني أنّ الأساطير قد لعبت وما تزال تلعب دورا لا يستهان به في بناء رؤية المجتمع وفبركتها و صناعتها بطريقة تجعلها تنظر إلى المرأة نظرة دونيّة.

بالنسبة إلى سيمون دي بوفوار، لم تأت هذه المقولات من فراغ ولم تكن نتيجة اجتهادات شخصية أو عمل إبداعي فرديّ ابتكره أناس بعينهم بل هي نتاج

جماعيّ بني من القوى الاجتماعية المتصارعة وتراكم عبر التاريخ من أجل إخضاع المرأة وقهرها.

ولا ننسى أنّ كلّ ثقافة تحاول أن تنغلق على نفسها وأن تحوّل ذاتها التي هي أساسا تاريخيّة أي ثقافيّة بمعنى أنها نسبيّة ومكتسبة إلى ذات طبيعيّة أو ميتافيزيقيّة أو كونيّة. فهي بهذا التطبيع أو قل من خلال تحويل الثقافي والتّاريخي إلى ما ليس ثقافي وتاريخي تحاول أن تعرّف نفسها بما ليس هي وتعمل من خلال ذلك أن توهم نفسها وتوهم الآخرين بأنّها صالحة لكلّ زمان ومكان وأنّها أبديّة وأنها خالدة خلود الدّهر لكي لا تناقش ولكي لا تترك المجال لتوجيه النقدٍ إليها. وهي من خلال كلّ هذه المناورات، تحاول دائما أن تعرّف نفسها ايجابيا. وتعرّف الآخر سلبيّا. فها هي المسيحيّة تقيم حروبا ضدّ الديانات الوثنية وتعتبرها كفرا وإشراكا وإلحادا وزيفا وبهتانا. وها هو الإسلام يقيم حدودا وحواجز بينه وبين ما يسمّيه بالجاهليّة والظلمة. وها هي الثورة الفرنسيّة تصف نفسها بالأنوار والتقدّم وثقافة حقوق الإنسان وتعرّف البلدان المستعمرَة بالمجتمعات البدائيّة والمتوحّشة والمتخلّفة والراكدة والباردة لا بل في كثير من الأحيان، لا تتأسس ثقافة إلا على أنقاض ثقافة أخرى.

إنّ هذه العلاقة غير المتكافئة بين الثقافات تم بنائها في ظل لغة ومعرفة كلتاهما مرتبط ارتباطا وثيقا بالسلطة و الهيمنة التي تعمل على خلق التمييز والتراتبيّة بين الغنيّ والفقير، بين الأبيض والأسود ، بين البدو والحضر ،بين الرجل والمرأة...

يخدم هذا التمييز بين المرأة والرّجل الذي نجده في معظم الأساطير بشكل مباشر مشروع المجتمع الأبوي وتوجهاته وأهدافه. فعبر هذه الأساطير، فرض هذا المجتمع قوانينه وسنّ تشريعاته على الافراد والجماعات بطريقة خفية وناعمة. فمن خلال الأسطورة وبواسطتها تمرّر الهيمنة الذكوريّة وتشتغل عبر آليات وطرق واستراتيجيات متعدّدة كالأديان والتقاليد واللغة والحكايات والأغاني والصّور والأفلام...

من هذه الرّؤية، يمكن أن نعتبر الأسطورة واحدة من تلك المصائد الكبرى التي لا تعلن عن نفسها والتي تقول وكأنها لا تقول.

في نقد سيمون دي بوفوار للاسطورة دعوة ملحّة للتحرر من اشكاليات فرضها التاريخ على الحاضر ونداء ملحّ إلى أن نذهب مباشرة إلى الأشياء ذاتها . هذا النّداء الملحّ هو نفسه الذي طالب به الفينومولوجيّون جميعهم و على رأسهم مارلو بونتي (Merleau Ponty,1990, p.5) الّذي دعا إلى «أن نذهب مباشرة إلى الأشياء ذاتها»[3] و أن لا نضيع الوقت في التأويل و القراءات التي لا طائل من ورائها.

فكيف تمّت صناعة المرأة في الواقع المعيش؟

1ـ2ـ2 ـ دور المؤسّسات الاجتماعية

1-2-2-1- صناعة الآخر

لا نستطيع أن تكرّر في نصّنا هذا بما فيه الكفاية عدد الإشارات التي ضمّنت فيها دي بوفوار تعريفها للمرأة كآخر. وذلك من خلال افتراضها بأنّ الهيمنة الرّجوليّة متغلغلة في أغلب المجتمعات الإنسانيّة وإنّ الرّجل في هذه الهيمنة يتكلم ليعرّف الآخر أي المرأة سلبيّا حتى يتمكن من تعريف نفسه إيجابيّا. وبما أن المرأة متكلم عنها فهي ترى نفسها انطلاقا من رؤية الرجل إليها و تنظر إلى نفسها، ككلّ مغترب، لا من وجهة نظرها بل من خلال الرؤية المهيمنة الفاعلة في حلبة الصراع الاجتماعي. ومن هنا جاء تعريف الرّجل بالثّقافة والمرأة بالطّبيعة وما ينتج عن هذا التعريف من ثنائيّة ميثولوجية يصعب على كلّ مغترب وعلى كلّ مغلوب على أمره الإفلات منها والتحرّر من أغلالها. فالرّجل هو الحضور والمرأة هي الغياب. وهو الخارج وهي الدّاخل. وهو النّهار وهي الليل. وهو المحراث وهي الأرض. وهو الأعلى وهي الأسفل. وهو الطّهارة وهي الفساد. وهو الذّكاء والتبصّر وهي الكيد والدّهاء والمناورة إلى غير ذلك من هذه الثنائيّة الميثولوجية التي تعمل على إخضاع المرأة للهيمنة الرّجوليّة.

إذا ما كانت القوى الاجتماعية الفاعلة في حلبة الصّراع تعمل على تكريس هذه الثنائيّة وعلى تهميش المرأة وتغييبها عن الشأن العام بهذه الكيفيّة، فكيف تشتغل مؤسّسة الزواج على تدعيم إقصاء المرأة من الفضاء العام وجعله وكأنّه طبيعة وقدر محتوم؟

1-2-2-2ـ المؤسّسة الإجتماعية للزّواج :

لقد رفضت دي بوفوار التّمييز البيولوجيّ بين الرّجل والمرأة كما أسلفنا القول. لذلك بدأت تحفر في أعماق البنى الاجتماعية. هذا يعني أنّها لم تنطلق من حقائق الجسد التّشريحيّة أو البيولوجيّة. وإنّما من ذاكرة الجسد التاريخية والأنتروبولوجيّة إذا صحّ القول أي من الجسد الفاعل ومن الأدوار المسندة إليه في الواقع الاجتماعي المعاش.

ومما لا شك فيه ان دي بوفوار تعتقد جازمة أن المؤسسات الاجتماعية المهيمنة، تلك التي تقسّم الأدوار وتقسّم المهام وترسم الفضاءات هي التي تحدّد الأساس الذي تقبل فيه أو تردّ عضوية الفرد في المجتمع. وبذلك تكون هذه المؤسّسات هي التي تفرض مسبقا سياسة اللامساواة بين الأفراد.

فعن طريق الزواج وإنجاب الأطفال ومن خلال هذا الدور فقط تُقبل المرأة في المجتمع وتشرعن عضويتها من قبل القوى الفاعلة في المجتمع . ومن خلال حصر مكانة المرأة في هذا الدور الذي يتمثّل أساسا في الشأن الخاصّ يظهر التأثير العظيم لإحتكار الرجل فضاء السياسة والاقتصاد والثقافة وكل ما يتعلق بالفضاء العام.

فالزواج يجعل من المرأة أمّا وأمّا أوّلاً وقبل كلّ شيء. هذا يعني أنّ الزواج يجعل من الدّور البيولوجي للمرأة كأمّ دورا محتوما للدرجة التي تُحمل فيه هذه

الأخيرة على الاعتقاد بأنه هو نفسه دورها الثقافي ودورها الأساسي ودورها الأوّل والأخير.

وهذا الذي يجعل خطاب سيمون دي بوفوار ثوريّا إلى حدّ كبير من حيث أنّها تبيّن كيف أنّ الزّواج كمؤسّسة اجتماعيّة قائمة يكرس تقسيما صارما للأدوار بحيث يجعل كل ما هو ثقافي من اختصاص الرجل وكل ما هو طبيعيّ من اختصاص المرأة. فالسلطة كل السلطة تكمن في الثقافة ، فالثقافة تعني المعرفة وفي المعرفة تكمن القدرة على بناء المعاني.

علينا أن لا ننسى هذه المقولة وأن نعتبر أنّ المعرفة أو الفهم هو بذاته سلطة وأداة للسّيطرة والطّغيان والقهر والقمع. ألم يعرّف فوكو (Foucault)القمع على انه ليس مجرد منع، بل هو إقصاء وإسكات، وإعدام ما يجب قمعه بمجرد محاولة ظهوره؟ فالقمع بنظر فوكو يعمل وفق آليّة ثلاثية تجمع بين التحريم والتغييب والإسكات، حتى انه بإزاء الموضوع الذي يفرض عليه القمع لا شيء يمكن قوله أو رؤيته أو معرفته. فالقمع هو ما يحرم الموضوع من ماديته والذات من قدراتها. (Foucault, 1980).

وهي إذ تطرح هذه الفكرة فإنما لتركّز على البعد الأخطر والأعمق في تهميش مكانة المرأة وتغييبها بسبب أن هذه الآليات أصبحت تعمل كأيديولوجيا، بحيث يصبح تعريف المرأة مدرجا كقدر محتوم ومصير محسوم في الأنظمة العامة للإعتقاد. وذلك من خلال شرعنة هذه التقسيمات ودعم نظام الهيمنة ليس في تقسيم هذه الأدوار فقط بل أيضا في تأبيدها وجعلها عنصرا ثابتا في الهوية الخاصّة بالمرأة. هذه الايدولوجيا بالنسبة لمؤلفة **الجنس الثاني** هي أيضا إيديولوجيا ذكورية تعيد إنتاج الهيمنة بالشكل الذي يخدم المهيمن.

ولئن ركزت الكاتبة على هذه النقطة وجعلت منها خطوة البداية فلم تكن تعني أيضا الانتقاص من أهمية دور الأم أو التقليل من شأن الزوجة. ولكن كان جلّ نقدها موجها نحو ما حيك حول هذه الأدوار من بنى رمزية كانت على الدوام تُلحق المرأة بالبيولوجي والطبيعي وتماهي بينهما. في الوقت الذي تتخذ رمزية الرجل معنى الثقافة وهو برأيها ما كرّس هيمنة الرجال على النساء واستغلالهن تماما كما تفعل الثقافة في الهيمنة على الطبيعة واستغلالها وإخضاعها وترويضها حسب أهدافها ومراميها.

إن الزواج بنظر مؤلّفة الجنس الثاني أداةً ضخمة تعمل باستمرار ومنذ القديم على تكريس الهيمنة الذكورية. فبواسطتها ومن خلالها، يتم إقصاء النساء من الشؤون السّياسيّة والعامّة واستعمالهنّ كأدوات ووسائل لإعادة الإنتاج البيولوجي والاجتماعي.

لئن كانت مؤسّسة الزواج، هذه الآلية القديمة الحديثة قد ساهمت منذ القدم وتساهم باستمرار في فبركة امرأة الشأن الخاص على حساب امرأة الشأن العام، فإنّ العمل يساهم هو الآخر في هذا البناء السّوسيولوجيّ للمرأة.

1-2-2-3—تقسيم الأدوار والعمل :

من خلال ما تقدم من توضيح لآليتي الأسطورة والزواج ودورهما في بناء المفاهيم وصياغة الرؤى ورسم التمثلات حول المرأة فإنّه لا بدّ من الاعتراف بأن حقيقة المرأة كلغة وكمجاز وكمفهوم هي صناعة تاريخية. وانه إذا ما تمّ التسليم بتلك الحقائق فإنّه يصبح واضحا من أنّ آلية تقسيم الأدوار تكون على أهميّة بالغة في هذا المجال.

هذه المسألة تأخذ بالنسبة إلى دي بوفوار طابعاً قهرياً إن صحّ التعبير. فإذا كان يجب أن تكون المرأة أمّا قبل أيّ شيء، كان لا بد لها أن تلتزم بمفاهيم وصور وادوار وسلوكات تستمد تعريفها من الحقائق التي بنتها الثقافة الذكورية حول الجسد.

يعرّف لينتون (Linton) الدور الاجتماعي على انه مجموع الأنماط الثقافية التي ترتبط بمركز معيّن. وبذلك تتضمن الاتجاهات والقيم والسلوك التي يصفها المجتمع لكل فردٍ يحتلّ هذا المركز. (Linton, 1945).

ولئن ضمَّن لنتون في تعريفه للدّور والاتجاهات والقيم والسلوك فإنما أراد من وراء ذلك التأكيد على أن هذا التقسيم ليس مجرد توزيع اعتباطي للأعمال والأدوار والواجبات وإنما هو تعبير عن رؤية اجتماعية كاملة، بناءا عليها يتمّ تقسيم الوظائف والأدوار. ويتمّ تمريرها في الفضاء العامّ وعبر الحسّ العام المشترك لتكون أساسا لإنتاج وإعادة إنتاج رؤى وتمثلات تظهر في سلوكيات الجماعة وكأنها عفوية وطبيعيةّ وفوق المساءلة.

وقد وضّح لنتون هذه الفكرة من خلال بيانه لأصل التشابهات التي تقع من خلال تطبيع لشخصيّات معيّنة في المجتمع أصطلح على تسميتها بشخصيّات المركز. ولقدً قسّم المجتمع هذه الشخصيات حسب الأدوار والوظائف التي تقوم بها ووسمها بسمات مشتركة كأن نفرّق بين الرجال والنساء وبين الأطفال والشيوخ أو بين المهن والمكانة الاجتماعية. مما يؤكد على دور الثقافة وتبعا لذلك دور القوى الفاعلة في المجتمع في صناعة الفرد وبنائه ضمن تقسيمات صارمة للأدوار والوظائف الاجتماعية.

إنّ الحديث عن دور الرجال بالنسبة إلى دي بوفوار لا يشير إلى وجود ثغرة بين الحياة العامة والحياة الخاصّة بالنسبة إلى الذكور. فكلما احكمِ الرجل سيطرته على الفضاءِ العام والسِياسة والعمل، بدا أكثر حزما وتماسكا وبدت شخصيته أكثر توازنا وانسجاما. فالسمات الإنسانيّة الهامّة وذات المكانة والسّلطة تتصف بها شخصية الرجل وتتعلّق بدوره، فهو رجل السياسة وهو رجل الدين وهو القائد العسكري وهو القائد في الأسرة وهو الأب الحامي والراعي وهو صاحب القوامة والقرار وهو الإله على حد تعبير دي بيوفوار.

لكن التساؤل الكبير يبقى قائما حول دور المرأة ومكانتها وسمات نجاحها. " ربما لا تكون المرأة عبدا للرجل " تقول دي بوفوار ولكننا لا نستطيع أبدا أن ننكر على الأقل أنها تابعة له على الرغم من أن الهيمنة الذكورية المشرّعة لمكانة الرجل وسلطته تحاول في الوقت ذاته الإيحاء بضرورة تقدير الأم وتمجيد دورها، هذا

الدور الذي يتمثل أساسا في إعادة إنتاج الطبيعة من ولادة وتربية ورعاية وطبخ.

الم يقل بلزاك(Balzac) "عاملوا النساء كعبيد في الوقت ذاته أقنعوهن بأنهن ملكات" انه تأسيس لدور ومكانة المرأة ولكن بشروط الرجل.

لقد تمت صناعة أو فبركة أسطورة المرأة المحترمة الناجحة بنت الأصول على أنها تلك المرأة القابلة و القابعة والمستسلمة والخاضعة لنواميس العشيرة ولأوامر والي أمرها.

لقد أرادت دي بوفوار ان توضَح بأنه ليس من العدل الاكتفاء بتعريف المرأة من خلال جسدها كأنثى أو التحدث عنها من خلال دورها أو وظيفتها كزوجة أو كأمّ أو حبيبة لكي تكون "امرأة حقيقيّة". فنجاح المرأة الحقيقيّ هو غير هذا النجاح. (Debra, 2006: 249).

فالرجال اليوم يقبلون على الأغلب أن تكون المرأة نداً ومساوياً لهم في التعليم والعمل ولكنهم في الوقت نفسه يجبرونها على أن تكون أمّاً أولاً وقبل كلّ شيء كما أسلفنا القول. لقد تعلّمت المرأة واشتغلت خارج البيت لكنها بقيت رهينة تعريفها الأسطوري كأمّ وكربّة بيت . وبالنسبة لها فإنَ هذين الدورين او المصيرين الغير منسجمين سوف يبقيانها في حالة من الفصام والتردد وعدم الثقة (العتوم، 2010 ، ص 45) و هو مصدر ما يسبّب عدم اتزانها على حد تعبير دي بوفوار.

ولذلك تقول الكاتبة ان المرأة اليوم عندما اختارت أن تكون أكثر قدرة على العمل والحركة في الخارج وفي الفضاء العام ، حرصت في الوقت ذاته على أن تبدو أكثر إغراء في عيون الرّجال. مما سبّب لها هذا التردد وهذا التناقض وهذه الازدواجية.

وترى كارد (Card, 2006) أن هذا التقسيم للأدوار هو ما جعل دي بوفوار تقرّ بقسوة وبصعوبة ما تواجهه المرأة اليوم في محاولتها لرسم صورة المرأة الناجحة من خلال تقمّص كلتا المكانتين وكلا الدورين. مكانتها ودورها كفرد مستقل كما تفرضه الحداثة، ودورها كما رسمته لها أسطورة الأنثى وايدولوجيا التقليد. مما أنتج حالة من الضياع والانفصام.

فعمل المرأة خارج المنزل لم يعفها من أي من أدوارها التقليدية ولم يؤدّ إلى إعادة تقسيم اجتماعي للوظائف. فإن هي اختارت العمل خارج المنزل فعليها مضاعفة جهدها واجتهادها لكي توفّق بين الدورين وإلا فسوف تعتبر من النساء الفاشلات.

إنّ هذه اللغة القديمة والمتجذرة في بنية المجتمعات الذكورية هي التي تحدّث عنها بورديو (Bourdieu) في كتابه الورثاء حيث لاحظ ان النساء مهما بلغن من درجات التعليم فإنهنَ يعدن في آخر المطاف الى البيت Passeron,1990 (and Swartz, 1998), . لأنّ كل الآليات الفاعلة في المجتمع الذكوريّ تعمل على انتاج المرأة الأمّ ،وتحدّد لها مجال البيت بناء على اعتبارات تقسيم

الفضاءات. مع الحرص على ان تبقى المهن التي سمّاها بورديو بالشريفة بيد الرجال وتحت سيطرتهم. وهي الوظائف التي تتطلب القوة والحكمة والوجاهة. وهي على عكس الأدوار النسويّة التي تُختزل في اعمال التنظيف والطبخ ورعاية الأطفال وغيرها من الأعمال التي تصنّف بالدونية. وهي الحقيقة التي تحيل مباشرة الى فكرة الدور والمكانة وإلى معاني الرتبة والتدرج. فأنت شريف أو وضيع تبعا للدور الذي أوكل اليك . وتبعا لهذا التقسيم سوف يُحدّد بداهة حجم ما تملك من سلطة ومن قدرة على السيطرة والتحكم. أواستعدادا للإمتثال او الانصياع والخضوع للهيمنة.(Adkins and Skeggs, 2005)

كتابات كثيرة كانت قد تناولت بالدراسة هذه المسألة. ومن بين من هذه البحوث، يمكن أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب لفي استروس (Levi–strauss, 1949) حول القرابة حيث تعرّض بالتحليل إلى هذه الوضعية التي تجعل من الرجل ذاتا فاعلة ومن المرأة موضوعا أو أداة في أيدي الرجال. وهي وضعيّة قديمة قدم الحضارات، حيث أن المرأة شكّلت موضوعا وأداة للتبادل بين الرجال ووسيلة لإرساء علاقات دبلوماسية بين العشائر والقبائل. إنّ الهبة هي أساس للتّبادل كما يقول موس(Mauss, 1990) وأساس لإنشاء الثقافة. هبة البضائع والأراضي والنساء كانت دائما الوسيلة والأداة لإرساء التواصل وإقرار السلم بين الرجال المنتمين إلى قبائل مختلفة.

إنّ لم أهبك إمرأة أوإن وهبتك إيّاها فرفضت الهديّة هي لغة تعني قرع طبول الحروب التي قد تدوم مئات السّنين بين قبيلة وأخرى. فالسلم والأمن والتقدّم وانتاج الثقافة وتأسيس الحضارة، كلّ هذا على حدّ قول لفي استروس هو نتيجة التبادل: تبادل الكلمات والأشياء والزيارات والحيوانات والعبيد والنساء. فلا تقدّم ولا حضارة من دون هذا الإستغلال الفادح والهائل للعبيد والنّساء والمستضعفين في الأرض. إنّ هذه الحضارة او هذه الهيمنة لم تتأسس فقط عبر استغلال العبيدٍ والغرباء والمهاجرين والأطفال والنساء وإنما من خلال العلاقة بين الشعوب أيضا أي من خلال إستعمار الشعوب واستغلالهم. ألم يبيّن لنا أدوارد سعيد في بحوثه مثل الإستشراق، أو الثقافة والإمبريالية كيف أنّ صورة الشرق في العلوم والأدبيات الغربية كانت انعكاسا صادقا لفكر استشراقي تم بناؤه ضمن آليات ومقاصد الهيمنة. فقد نجحت الثقافة الغربية ليس فقط في فبركة ما سمّته بالشرق بل أيضا في اعادة انتاجه سياسيا، واجتماعيا وعسكريا وعلميا وفنيا. (Said, 1994 and 2002).

ينطبق الحال الى حدّ بعيد على ما يسمّيه بورديو(Bourdieu) بالعنف الرمزي الذي يشرّع دائما للهيمنة الذكورية. فليس للمرأة من خيار سوى استبطان العالم ورؤيته من خلال عيون الرّجال المهيمنين لا بل الدفاع عن هذه الهيمنة الى الحد الذي تصبح فيه المرأة متكلمًا فيها اكثر من متكلّم. (Bourdieu,2001).

وهذا ما أكّده أنتونيو غرامشي (Gramsci) (Crehan, 2002) وفرانتس

فانون(Frantz Fanon) اللّذان ركّزا على الإغتراب الثقافي وبيّنا كيف أنّ المستعمر يتبنّى منظومة المستعمر ويستبطنها حتى في مقاييسه للجمال. (Fanon, 1963: 163). فلا يعود الأسود جميلا حتى في عيون امّه. ونحن في هذا المقام نحاول فقط ان نلقي قليلا من الضوء على ما حاولت دي بوفوار تقديمه بالمقارنة مع غيرها من المفكرين الذين تناولوا قصة المهيمن عليهم والمقصيين والمهمّشين والمستضعفين.

هذه هي أهمّ الأفكار التي حاولت سيمون دي بوفوار طرحها في الجنس الثاني.

السؤال الذي يفرض نفسه الآن وبعد أكثر من ستين سنة من نشر هذا الكتاب هو تأثير هذا البحث السّوسيولوجيّ المتميّز وتداعياته في الزمن الراهن. ماذا تبقّى من هذا البحث؟ ماذا تحقق من هذه الأفكار التي دعت إليها مؤلفة الجنس الثاني؟ هل المرأة استطاعت اليوم أن تكتسح الفضاء العام؟ إلى أين وصلت المرأة اليوم في العالم الغربيّ وفي الوطن العربي؟ سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة برسم خارطة تبيّن مدى اكتساح المرأة للفضاء العامّ.

2— أطلس الجندر: المرأة والشأن العام في المجتمعات الغربيّة وفي الوطن العربيّ

2— سيمون دي بوفوار عند العرب

للبحث في مكانة سيمون دي بوفوار عند العرب، ارتأينا أن نوجه البحث على واجهتين رئيسيتين. في واجهة أولى، سنبيّن علاقة سيمون دي بوفوار بقضايا العرب عامّة وبقضايا المرأة في هذه الرّقعة من العالم على وجه الخصوص. وفي واجهة ثانية، سنقتفي أثر سيمون دي بوفوار عند العرب لنتساءل حول حضورها الرّمزي وحول مكانتها في عيون النساء العربيّات عامّة وعند الشّابات من الأجيال الصّاعدة على وجه التحديد.

2—1 سيمون دي بوفوار وقضايا الأمّة والمرأة العربيّة

2—1—1 سيمون دي بوفوار وقضايا الأمّة.

في **الثّقافة والإمبرياليّة**، حاول إدوارد سعيد (Said, 2004) أن يقوم ببناء علاقة بين المعرفة والسّلطة أو قل بين الكتابة والانتماء السياسيّ. ينطلق إدوارد سعيد في هذا الكتاب من افتراضيّة مفادها أن كل عمل إبداعي مهما كانت استقلاليته النسبيّة ومهما كانت المسافة التي تفصله عن الواقع فإنه ينتمي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بوعي أو بغير وعي إلى حلبة الصرّاع الاجتماعي وبالتّالي إلى رؤية معيّنة للعالم. إذا ما اقتفينا أثر إدوارد سعيد وتساءلنا حول هذه الرؤية للعالم أو قل حول الانتماء السياسيّ لمؤلفة الجنس الثاني ، فإنّه يتبيّن لنا من اللحظة الأولى أنّ سيمون دي بوفوار تحمل فكرا مناهضا للهيمنة الإمبريالية والاستعمار مثلها مثل سارتر وفانون.

وعلى الرغم من انتمائها إلى هذا المدّ التحرّري وما ينتج عن هذا الانتماء من

انحياز إلى قضايا **هؤلاء المعذّبين في الأرض** إذا جاز لنا أن نستعمل هذه العبارة لفانون، فإنّ سيمون دي بوفوار، مثلها مثل سارتر(Sartre) وفوكو(Foucault) ودولوز(Deleuze) وبورديو(Bourdieu)، قد لازمت الصّمت إزاء القضيّة الفلسطينية. وكان هذا الصّمت بطبيعة الحال مخيّبا للآمال كما بيّن ذلك إدوارد سعيد في إحدى مقالاته الصحفيّة. وعلى أيّة حال، فإنّ سيمون دي بوفوار قد احتضنت وشجّعت وساعدت من وقف مع الفلسطينيين ودافع على قضيّتهم مثل جون جوناي(Jean Genet) على سبيل المثال لا الحصر.

ومهما يكن من أمر، فإنّه لا يمكن أن ننسى ما قامت به سيمون دي بوفوار وما قام به سارتر من دعم ومساندة واحتضان للقضيّة الجزائريّة. لقد دافعت سيمون دي بوفوار عن القضيّة الجزائريّة بكل جد وحزم. فهي التي كانت وراء ذلك البيان الذي وقّع عليه مائة وواحد وعشرون مثقفا فرنسيا وهو بيان يطالب باستقلال الجزائر ويدعو الفرنسيين إلى العصيان المدني والى الوقوف ضدّ كلّ هذه الحروب الاستعمارية التي تحاك لاغتصاب الشعوب وافتكاك خيراتها. بيان كهذا لا يمكن أن يرفعه سوى مثقف مقاوم عنيد أتى ليواجه العالم، بيان كهذا لا يمكن أن يرفعه سوى مثقّف عنيد من نوع فولتير(Voltaire) وزولا(Zola) أو تشومسكي(Chomsky) أو سارتر(Sartre) أوفانون(Fanon) أو دي بوفوار.

2 ـــ 1 ـــ 2 سيمون دي بوفوار وقضايا المرأة.

ولم تكن سيمون دي بوفوار جزائريّة وعربيّة بهذا البيان فقط أو من خلال هذا البيان فقط وإنما أيضا باحتضانها لقضيّة جميلة بوباشا، هذه المناضلة الجزائريّة العنيدة التي تعرّضت لأنواع فضيعة من التعذيب من قبل ضبّاط فرنسيين عند اعتقالها. لقد اهتمّت سيمون دي بوفوار بهذه القضيّة كما لم يهتمّ بها أحد الى حدّ انّها لم تجعل منها قضيّتها الشّخصيّة فحسب ولا قضيّة أنصار الحريّة في فرنسا أمثال جزال حليمي(Gisèle Halimi) التي رافعت على هذه القضيّة أمام المحاكم ، وإنما أيضا قضيّة الفرنسيّين جميعا. ففي مقال لها بجريدة لموند (Le monde) الفرنسية، وقد نُشر فيما بعد كتابا تقول : " هل يواصل الرّجال الذّين استجوبوا جميلة ارتكاب جرائمهم البشعة؟ لقد حان الوقت الآن أن نثبت لهؤلاء انّه لا يمكنهم أن يدوسوا على القانون... عندما يرضى حكّامنا بما يحصل من جرائم ترتكب باسم الأمّة، فهذا يعني أنّ الشعب ينتمي إلى الأمة المجرمة، فهل نرضى لفرنسا أن تكون أمّة مجرمة؟ "[4]

هكذا وقفت سيمون دي بوفوار إزاء قضايا العرب وإزاء قضايا المرأة العربيّة. فهل مازالت هذه الصّورة ماثلة في عيون الشّباب وخاصّة في عيون الشّابّات في المجتمعات العربيّة الرّاهنة؟

2ـــ2 الحضور الرّمزي لسيمون دي بوفوار عند العرب :

لا نعني بالحضور الرّمزي مكانة سيمون دي بوفوار كفرد في قلوب الشّباب العربي ولا نعني به أيضا منزلة مؤلفة **الجنس الثّاني** عند نساء العرب من المثقفات وغير المثقفات وإنما نقصد بالحضور الرّمزي موقف الشّباب العربيّ من مشروع سيمون دي بوفوار حتى وإن لم يكن هذا الشّاب أو ذاك على اطلاع على كتاب **الجنس الثّاني** وحتى إن كان بعض هذا الشّباب لم يسمع بسيمون دي بوفوار على الإطلاق. المهمّ هو أن نذكّر هنا بهذا المشروع أو بهذه الرؤية التي يحملها **الجنس الثّاني** وأن نتساءل ما إذا كان هذا المشروع يتقاطع أو يختلف أو يتعارض مع مشروع الشباب العربيّ في الخط الرئيسيّ العام.

لقد بيّنا في الجزء الأوّل كيف أنّ هذا المشروع يهدف بالأساس إلى أمرين متلازمين. الأمر الأوّل يتعلّق باستقلاليّة المرأة و جعلها تتحوّل من موضوع إلى ذات أو إن شئت من أداة للتبادل، كما يقول ليفي استروس(Levi-Strauss)، الى ذات قادرة أن تتكلّم وأن تتكلّم بقوّة أي أن تكون لها وجهة نظر من خلالها تستطيع أن تعرّف نفسها و تعرّف العالم. أمّا الأمر الثاني فيتعلق بتحويل المرأة الأمّ إلى امرأة مواطنة أي بتحويل امرأة الطبيعة إلى امرأة الثقافة أو بلغة أدقّ من امرأة الشأن الخاص إلى امرأة الشأن العام، أي من امرأة تهتمّ أساسا وقبل كلّ شيء بالطبخ والإنجاب وتربية الأبناء إلى امرأة تهتم أوّلا وأساسا بالسّياسة وتسيير الحيّ وصناعة العلم والمعرفة.

فإلى أيّ مدى يمكن أن نقول أن هذا المشروع يمكن أن يتلاءم أو أن يتطابق مع مشروع الشّباب العربيّ عامّة والشّابات منهم على وجه الخصوص؟ يمكن لنا أن نجيب عن هذا التساؤل على واجهتين. على واجهة أولى يمكن أن ننطلق من إرادة الشّباب ومطالبهم وخياراتهم المعلنة والمتكرّرة. وعلى واجهة ثانية، لنا آن ننطلق من الوقائع والأحداث حتى يتيسّر لنا أن نقيس المسافة الفاصلة بين ما وقع انجازه على الأرض من مشروع سيمون دي بوفوار في المجتمعات العربيّة وبين جوانبه التي ما زالت لم تتحقق إلى حدّ هذه اللحظة.

2 –2 –1 ـــأطلس المرأة في الشأن العام في البلدان الغربيّة

الى حدّ سنة ألف وتسع مائة واربع وعشرين لم يكن يسمح للمرأة أن تتقدّم للبكالريوس في جميع أنحاء العالم. والى حدّ ألف وتسع مائة واربع واربعين لم يكن للمرأة الحقّ في الأنتخاب في بلد ذي ديمقراطية عريقة مثل فرنسا، والى حدّ الف وتسع مائة وعشرين لم تكن المراة، في الخطّ الرئيسيّ العام ، تشتغل خارج البيت وخارج ملكية العائلة. والى حدّ الثلاثينات من القرن العشرين، لم يكن التعليم مختلطاً (Gamble,2005). ولم تكن المرأة متواجدة في الفضاء العام. وذلك أنّ المرأة كانت في جميع المجتمعات لا تتعلم ولا تدخل المدارس المعدّة للرّجال، إذ انّ العلم سلطة والسّلطة لا يمكن ان يمتلكها الا من كانت له مكانة في الفضاء العامّ كرجال الدّين أو النبلاء الذين يهتمّون بتسيير الشأن العام.

لكن بعد الحرب العالمية الثانية، ظهر في المجتمعات الصناعيّة أوّلاً ثمّ في جميع انحاء العالم تحوّل عميق لم يسبق له مثيل : لقد أصبح التعليم اجباريّا وفتحت المدارس ابوابها لأبناء الفقراء وللنساء، فدخلت المرأة التعليم بكثافة وسرعان ما تعادلت مع الرجل في السنوات السبعين من القرن الماضي وخاصّة في كندا والنرويج والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا. ثم لم تكتف بهذا التعادل مع الرّجل فتميّزت عنه وتفوّقت عليه وسبقته منذ بداية التسعينات ومازالت الى حدّ الآن متفوقة في جميع مراحل التعليم، حيث ان نتائج الفتيات تميزت عن نتائج الفتيان في مرحلتي الإبتدائي والثانوي وفاقت نسبتهنّ نسبة الفتيان في كثير من الجامعات في العالم وخاصّة في المجتمعات الغنية التي يفوق فيها معدل دخل للفرد 18 الف دولار أمريكي. (اليونسكو، التقرير السنوي، 2009).

لكن بالمقابل كلّما تضاعفت نسبة الفتيات في الجامعة وفاقت نسبتهنّ نسبة الرّجال، اتسعت الفوارق بين النساء والرجال في الإختصاصات. فالرجال عادة ما يتخصصون في المواد التي تجلب المال والسلطة والجاه كالمواد التطبيقية والعلمية، لا بل مازالت الى حدّ الآن اختصاصات معيّنة حكرا على الرجال كالمدارس العليا للمهندسين. امّا الفتيات عادة ما يتوجّهن الى اختصاصات ادبية تهتمّ بالذوق وبالجماليات. فبالولايات المتحدة الأمريكيّة على سبيل المثال لا الحصر نجد امرأة واحدة مقابل 6,6 رجل في الهندسة، ومقابل 6,2 رجل في العلوم الطبيعية ، ومقابل 8,1 رجل في الهندسة المعمارية والإعلامية، ومقابل 3,1 رجل في العلوم الإجتماعية، ومقابل 2,1 رجل في العلوم التجارية والإقتصادية؛ لكن هنالك رجل واحد مقابل 5 نساء في مجال الصحّة، و 3,3 من النساء في مجال التربية، و 5,2 من النساء في مجال اللغات الأجنبية، وإثنتين من النساء في الآداب الإنجليزية و7,1 من النساء في الفنون الجميلة. (المرجع السابق).

هذا يعني انه رغم تواجدٍ المرأة بقوة وبكثافة في التعليم، ما زالت تتوجّه الى الإختصاصات الأقلّ حظا والأقل اهمّية والأكثر التصاقا بالأدوار التقليدية وبالفضاء الداخلي او الخاص. فرغم هذا الجهد ورغم هذا البذل ورغم هذا العطاء ورغم هذا النضال المتواصل من أجل التغيير ورغم تأهّلها وقدرتها على المنافسة، فإنها الى حدّ الآن لم تتمكّن من أن تنتزع اوتحتل مكانتها في الفضاء العام. فالنظام الإجتماعي الذي تمّ بناؤه من الرجال بمنطق الرّجال لمصلحة الرجال ما زال قادرا على إعادة انتاج نفسه. فكل الإحصاءات التي بين أيدينا تبيّن أنّ الرّجل ما زال يهيمن إن لم نقل يحتكر ميادين السّياسة والدّين والفلسفة والعلوم التطبيقيّة والصّناعات الكبرى. ففي هذه الأنشطة، تغيب المرأة تماما أو على الأقلّ يكون تواجدها متواضعا ومن دون دلالة. فهي تمثل في مجال السّياسة وفي مجال التصنيع والشركات العالميّة الكبرى، قرابة 48 بالمائة بكندا والنرويج وبلدان أوروبا الشمالية عموما وقرابة 15 بالمائة بأمريكا الشمالية أي بالولايات المتّحدة

الأمريكية على وجه التحديد وقرابة 7 بالمائة بفرنسا وقرابة 5 بالمائة بألمانيا وكذلك الحال بإسبانيا وإيطاليا وأقلّ من 3 بالمائة بالبلدان الآسيويّة والعربيّة والإفريقية مع درجات متفاوتة (اليونسكو، التقرير السنوي، 2009).

2—2 –2 –2 —أطلس المرأة في الشأن العام في الوطن العربي

أمّا في البلدان العربية فعلى الرغم مما تم إحرازه من تقدم كبير باتجاه تمكين المرأة، ما زالت النساء يواجهن تحديات جسيمة في حياتهن . ومن بين مجموع أطفال العالم غير الملتحقين بالمدرسة، تمثّل البنات نسبة الثلثَين. وعلى الرغم من أنّ عمل المرأة يمثل ثلثي المجموع الكلي لساعات العمل، إلاّ أنّ مجموع الدخل الجماعي للنساء العاملات لا يتعدّى ثلث المجموع العالمي. وتمثّل الفتيات والنساء نسبة 60٪ من الأفراد الأكثر فقراً في العالم في حين تشكلن أقل من 2٪ من البرلمانيين في العالم. (تقرير البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، 2009).

ويؤكد تقرير التنمية الإنسانيّة العربيّة الصادر عام 2005 تحت عنوان "نحو نهوض المرأة في العالم العربي"، أنّ عدم المساواة بين الجنسين يمثّل أحد أبرز المعوّقات أمام التنمية البشريّة في العالم العربي. وعلى الرغم من الضمانات القانونيّة المتوفرة لتكريس حقّ المرأة في المشاركة السياسيّة والاقتصاديّة، فإن أدوار النوع الاجتماعي النمطيّة المترسخة بشكل عميق تحدّ من فرص التحاق المرأة بالعمل وفرص مشاركتها في اتخاذ القرارات وهي تمثل المعدلات الأدنى في العالم. وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها منظمات المجتمع المدني التي تعمل في مجال الدعوة من أجل حصول المرأة على حقوقها السياسيّة، لا زالت المرأة متأخرة عن الرجل في مجال التمثيل البرلماني .كما تواجه المرأة في حال الأزمات تعقيدات مزدوجة كونها تقع ضحيّة ليس فحسب للحرمان من الحقوق ولكن لأعمال العنف كذلك. (تقرير برنامج الامم المتحدة الانمائي للدول العربية، 2010)

لماذا هذا التقابل الصّارخ بين ما تبذله المرأة من جهد وكدّ ومكابدة ونضال وتفوّق في الجامعة من جهة وتغييب لها من الفضاء العام من جهة أخرى؟ لماذا نضيع كلّ هذه الجهود هدرا من دون أن يستفيد منها البلد وينتفع بها المجتمع؟ لماذا تُنفق الأموال الطائلة لتعليم المرأة وجعلها قادرة على الإبداع في مجالات متخصّصة ثمّ نطالبها في الآن ذاته بالعودة إلى البيت وعدم المشاركة في الشأن العام؟ لماذا نستتر وراء التقاليد ونمانع لنقف عقبة كأداء ضدّ تواجد المرأة في الفضاء العامّ؟ لماذا نعمل على تنمية تخلّفنا ونواصل في استعمال لغة مزدوجة كما يقول اوريل. (Orwell): في كل يوم نطالب بتنمية مواردنا البشريّة وبالتعددية السياسية والاجتماعية والثّقافيّة والفكريّة ونطالب كذلك بالعدالة والديمقراطيّة والقضاء على التخلف بجميع أشكاله و لكنّنا في كلّ يوم نعمل بوعي أو بغير وعي على إعادة أنتاج الهيمنة

الرّجولية وعلى إقصاء المرأة من المشاركة في الشّأن العام وبالتالي على المحافظة على منطق العشيرة الذي يرى المرأة عورة يجب أن تستر وحرمة يجب إن تصان؟ كيف يمكن لنا أن ندخل إلى التّاريخ كجميع بلدان العالم و نشارك في الحداثة وتنسيب الحقائق؟ كيف يمكن أن نحقّق هذه المطالب المعلنة والمتكرّرة والمشروعة التي تنادي بها المرأة العربيّة الواعية والمثقفة اليوم والتي نادت بها مؤلفة **الجنس الثاني** منذ أكثر من ستّين عاما؟

الخاتمة : الجنس الثّاني لا يعطي حلولا بل يثير إشكاليات جديدة ويطرح على الواقع العربي أسئلة محرجة :

تتيح لنا هذه المحاورة حول مؤلّفة **الجنس الثاني** عند العرب أن نقيم نوعا من الحوار أو السّجال حول مكانة المرأة في المجتمعات العربيّة. وعندما يتأصّل عندنا هذا النّوع من السّجال ويصبح من تقاليدنا فإنّه سيفضي بالضّرورة - مثل ما أفضى في أوروبا وكندا والولايات المتحدة الأمريكيّة – إلى ميلاد مراكز بحوث والى خلق مراصد في كامل أرجاء المجتمع العربيّ تشتغل على مفهومي الجنس والجندر أي على مفهومي الطبيعة والثقافة في تكوين البشر.

إنّه من المفيد لفهم أنفسنا أن نبحث في الآليات والمصانع أو المؤسّسات التي من خلالها وبواسطتها يتمّ خلق المرأة كما يتمّ خلق الرّجل في مجتمعاتنا العربيّة الرّاهنة. لنا أن نقتفي أثر سيمون دي بوفوار في هذا المجال وأن نتساءل عن الجانب البيولوجي والجانب الثقافي فينا وان نساهم كعرب في البحث حول الجنس والجندر. هل الجنس يتمثّل في هذه الخصائص البيولوجيّة الموروثة التي لا تتغيّر أم أنها ليست سوى مجموعة من الإستعدادات التي يمكن لها أن تتبخر كالماء ويمكن لها أن تتحقق بواسطة الثّقافة وبطرق عدّة كما تبيّن ذلك إرّيجري في كتابها **الجنس ليس واحدا؟** (Irigaray, 2006). وهل الجندر أو النّوع هو هذه الهويّة المكتسبة والمفروضة علينا فرضا من قبل القوى الفاعلة في الصراع الاجتماعي ومن قبل المؤسّسات الاجتماعية والثقافيّة والسياسية من دون أن يتدخّل فيها الفرد ومن دون أن يكون له خيار لصناعة ذاته أم أنّ الجندر هو عبارة عن صيرورة نرسمها بأنفسنا لأنفسنا وباستطاعة المرء التدخّل في هذه الصيرورة وفي هذا التّاريخ لبناء نفسه بنفسه و بطريقة مختلفة في كلّ مرّة حسب اختلاف مشاريعه وأهدافه وطموحاته كما تقول بتلر(Butler, 1990) في كتاب حول **الاضطراب في الجنس** كان وراء جدل واسع وسجال مازال إلى الآن قائما في الأوساط العلميّة المختصّة في هذا الشأن؟

إنّ العرب في حاجة ملحّة لمثل هذه البحوث التي تحاصر المفاهيم الجاهزة والمعلّبة وتقطع مع السّوسيولوجيا العفويّة مهما كان مصدرها وتعمل على بناء إشكاليات جديدة ورؤى معمّقة حاملة لمشروع خلق نساء قادرات على الإبداع وعلى الحلم وعلى صناعة العلم والمعرفة وعلى تقلد مسؤوليّات جسيمة في مؤسسات المجتمع المدنيّ.

إنّ هذه المحاورة مع مؤلّفة **الجنس الثاني** تتيح لنا أن نتساءل على علاقة المرأة العربيّة بالشأن العام. إنّ قراءة **الجنس الثاني** بعيون عربيّة تفتح لنا المجال على أن نتساءل عن أسس التصنيف الاجتماعي عند العرب. كيف يتمّ في مثل هذه

المجتمعات التقسيم الاجتماعي لا فقط للعمل والمال ووسائل الإنتاج وثروات البلاد وإنما أيضا للثقافة والمعرفة والجاه والسّلطة والجمال والذوق؟ إنّ الذي يهمّنا هنا هو أنّ نبيّن أنّ هذا التقسيم الاجتماعي لكلّ هذه الحقول ولغيرها لا يتمّ فقط عبر الصّراع الدّائر بين الطبقات الاجتماعية وبين المدينة والقرية وبين الأجيال وإنما أيضا عبر الصّراع القائم بين الرّجل والمرأة. إنّ الذي يهمّنا هنا هو أن نبيّن كيف أنّ هذا التقسيم في المجتمعات العربيّة بين الرّجل والمرأة هو ذاته بين الدّاخل والخارج، بين الطبيعة والثقافة، بين النهار والليل، بين المدنّس والمقدّس، بين الوضيع والرّفيع أو لنقل باختصار شديد بين الشأن الخاصّ والشأن العام؟ لماذا هذا الغياب الواضح للعيان للمرأة العربيّة في الشأن العام رغم تفوّقها في المدرسة؟ لماذا تُعرّف المرأة في مجتمعاتنا بالغياب، غياب الوجه واليد واللسان، وبالمقابل يُعرّف الرّجل بالحضور بين القوم وفي الفضاءات العامّة وباحتكاره لكلّ ما هو رفيع ولكلّ ما هو شريف ولكلّ ما هو سام ولكلّ ما هو إلاهيّ كالدّين والسّياسة والثّقافة والفكر والخطابة والكرم وتسييرً الشأن العام؟

من هذا المنطلق، لا يمكن أبداً إرساء مواطنة وديمقراطيّة حقيقيّتين في هذا الجزء من العالم الذي عاش لقرون طويلة في ماسمّاه فيت فوجل بالإستبداد الشرقيّ، من دون أن تكون من الأولويّات عند العرب البحث في إشكالية المرأة العربيّة والشأن العام.

من هنا جاءت الحاجة أن تقتفي أثر فوكو (Foucault) مراكز بحوث ومراصد عربيّة يكون من مهامّها القيام بحفريّات حول هذه الرؤية المهيمنة الناطقة باسم السّلطة وباسم اللغة وياسم المعرفة والقائمة بصياغة الحقيقة وبإقامة الحدود بين النّاس وبصناعة امرأة عربيّة بهذا الشّكل المتخلف القديم المتجدّد الذي سبق أن تحدّثنا عنه وكأنها مواطنة من الدّرجة الثّانية مثلها مثل العبيد في ديمقراطية أثينا في القرن الثامن قبل ميلاد رغم ما وصلت إليه من كفاءة كما أسلفنا القول.

إنّ الحضور الرّمزي لسيمون دي بوفوار لا فقط في أوروبا وكندا والولايات المتّحدة وأمريكا اللاتينية وإنّما أيضا عند العرب يحفز الشابات العربيّات وخاصّة المتعلّمات منهنّ على أن ينحُون منحاها وأن يقتفين أثرها. لأوّل مرّة تقف أمامهنّ امرأة ليست ككلّ النّساء. لأول مرّة، تقف أمامهنّ امرأة لا مبالية بمنطق اقتصاد السّوق ورؤيته للمرأة كسلعة تُباع وتُشترى. لأوّل مرّة، تقف أمامهنّ امرأة تحرّض على العصيان المدني ضدّ النّضام الاستعماري الفرنسيّ وضدّ بلادها لتدافع عن امرأة عربيّة ثائرة ضدّ الظلم والمهانة مثل جميلة بوباشا او جميلة بوحيرد. لأولّ مرّة، تقف أمامهن امرأة لا تعرّف نفسها بما هو سائد أي بالأمومة أوّلا وقبل كلّ شيء وإنما تعرّف نفسها بامرأة الشأن العام أي بهذه المرأة التي تهتمّ بما لا يعنيها على حدّ عبارة سارتر أي بالاستعمار الأمريكي للفيتنام وبالاستعمار الفرنسي للجزائر وبكلّ المعذبين في الأرض على حدّ عبارة فانون. لأوّل مرّة، تقف أمامهنّ امرأة ترفض تاريخ النساء كما كتبه الرّجال وكما صاغه الأقوياء والمنتصرون وتحاول قراءته من جديد بعيون نسائيّة ومن وجهة نظر المستضعفين.

الهوامش:

1 أنظر مثلا

: Bergoffen, Debra, 2006, : *Simone de Beauvoir: (Re)counting the sexual difference,* Cambridge Companions Online © Cambridge University Press.

Card, Claudia (2006). *Beauvoir and the ambiguity of "ambiguity in ethics. cambridge companion to Simone de Beauvoir.* Cambridge : University Press

Tidd, Ursula (2004). Simone de Beauvoir. *Gender and Testimony.* Cambridge : University Press.

1 يمكن أن تعرّف المحاورة أو العلاقة التحاوريّة(The dialogism) عند باختين بحضور الآخر في خطاب الأنا المتكلمة، هذا الحضور الذي يساعد المتكلم على محاصرة الهيمنة والاستبداد بالرّأي وذلك بالاستماع إلى الأصوات المتعدّدة حول أيّ مسألة تكون رهن البحث. لتحديد هذا المفهوم بأكثر دقّة، أنظر مثلا إلى : Todorov, Tzvetan (1984).Mikhail Bakhtine : *The dialogical principe.* Translated by Wlad Godzich. Mineapolis : Univesity of Minescota Press.

1 من الناحية المنهجية، يرى الكثيرون أن سيمون دي بوفوار أبدت تأثراً واضحاً بالمدرسة الفينومونولوجية من حيث طرحها لواقع المرأة وآليات خلقها وصناعتها وتدجينها وفق آليات السلطة واستراتيجيات الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية، فأساس علمنا الاجتماعي، كما تقول الفينومولوجيا ، هي معرفة الظواهر التي يتم رصدها على أساس ما يمكن أن يشاهد في الفضاء العام. فالحقيقة ليست سوى تآليف لأجزاء متضاربة من الحقائق. كما اعتبرها آخرون وجودية مثلها مثل صديقها سارتر من حيث ايمانها بأن الإنسان صانع نفسه مهما كانت الوضعيّة التي يوجد فيها. وكلنا يعرف أنّ الفينومولوجيا لا تتناقض مع الوجوديّة ولا تتعارض معها. (Card, 2003)، (كريب، 1998).

1 عرّبنا هذه المقولة من النسخة الأنجليزيّة لكتاب سيمون دي بوفوار حول جميلة بوباشا. انظر الى قائمة المراجع.

البيبليوغرافيا العربية

اليونسكو، التقرير السنوي، 2009 . دبي.

ايان، كريب (1999)، النظرية الإجتماعية : من بارسونز الى هابرماس، ترجمة : محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، الكويت : عالم المعرفة، العدد(244).

العتوم، ميسون (2010) مفهوم المرأة في الخطاب التقليدي والحداثي في مجتمع مدينة عمان، الجامعة الأردنية، دراسة دكتوراه غير منشورة.

مسلّم، احمد سلمان (2001)، محاضرات في الأنثروبولوجيا، الرياض : مكتبة العبيكان.

.البيبليوغرافيا باللغات الأجنبية :

dkins, Lisa and Skeggo, Beverley (2005*). Feminism after Bourdieu.* Wiley : Blackwell.

Barnard, Alain and Spencer, Jonathan (1996). *Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology.* London : Routledge.
Bergoffen, Debra (2006). *Simone de Beauvoir: (Re)counting the sexual difference,* Cambridge : Companions Online © Cambridge University Press.
Bourdieu, Pierre. (2001). *Masculine Domination, Cambridge : Polity Press.*
Butler, Judith (1990). *Gender Trouble, Feminism and the subversion of Identity. New York, London : Routledge.*
Butler, Judith (1993). *Bodies that matter. On thes discursive limits of sex. New York and London : Routledge.*
Butler, Judith (2004). *Undoing Gender,* New York : Routledge.
Card, Claudia (2006). *Beauvoir and the ambiguity of "ambiguity in ethics. cambridge companion to Simone de Beauvoir.* Cambridge : University Press.
Crehan, Kate (2002*). Gramsci, Culture and Anthropology*. California : University of California Press.
De Beauvoir, Simone (2009). *The second sex*. Translated by Constance Borde and Malovany
De Beauvoir, Simone and Halimi, Gisèle (1962). Djamila Boupacha. The story of the torture of a young Algerian girl which shocked liberal French opinion. Translated by Beter Green. London : André Deutsch Press.
Fanon, Frantz (1963). *The wretched of the earth. Preface by Jean-Paul Sartre*. Translated by Constance Farrington. New York : Grove Press.
Foucault,Michel (1980) Power and Knowledge : Selected Interviews and Other Writings 1972—1977. Brighton : The Harvester Press.
Gamble,Sarah (2001),*The Routledge Companion to Feminism and Post feminism,* London and New York: Routledg.
Holmes, Mary (2007). *What is Gender? Sociological approaches.* London : Sage Publications.
Irigaray, Luce (1985). *This sex is not one,* Traduction Catherine Porter with Carolyn Burke. New York : Ithaca.
Lévi-strauss, Claude (1949) *The Elementary Structures of Kinship*. London : Eyre and Spottiswoode.
Lévi_strauss, Claude (1968). *Structural Anthropology*. London : Allen Lane, Penguin.
Linton, Ralph (1945). *The Cultural background of Personality*. London : D. Appleton-Century Co.

Malson, Lucien (1972). *Wolf children and the problem of human Nature.* Translated by Peter Ayrton and Joan White. New York : Monthly Revew.
Mauss, Marcel (1990). *The Gift.* London : Routledge.
Mead, Margared (1935). *Sex and Temperament in the Primitive Societies,* New York : William Morrow.
Merleau-Ponty, Maurice (1990) . *Phenomenology of perception*. Translated by Colin Smith, London : Routledge.
Passeron, Jean-Claude(1990). *Reproduction in Education, Society and Culture (Theory, Culture and Society Series).* London : Sage.
Said, Edward, (1978), *Orientalism*. London and New York: Routledge.
Said, Edward (1993). *Culture and Imperialism*. London : Vintage.
Sanday and Goodenough, 1990, *Beyond the Second Sex*, New Directions in the Anthropology of Gender, Edited. byPeggy Reeves and Ruth, Gallagher University of Pennsylvania Press, Philadelphia.
Sara , Heinamaa, (2000).*The body as instrument and as expression.* Cambridge : University Press.
Swartz, David (1998). *The sociology of Pierre Bourdieu*. Chicago : University of Chicago Press.
Tarrant, Shira (2006*). When sex became* Gender. London : Roudledge.
Tidd, Ursula (2004). *Simone de Beauvoir. Gender and Testimony.*
Todorov, Tzvetan (1984). Mikhail Cambridge : University Press.
Bakhtine : *The dialogical principe.* Translated by Wlad Godzich. Mineapolis : Univesity of Minescota Press.
Weitzer, Ronald (2000). *Prostitution, pornography and the sex industry. New York : Routledge*

الموسوعات المعتمَدة :

Barnard, Alan and Spencer, Johathan : *Encyclopedia of social and cultural anthropology,* London and New York : Routledge.
Ember, Carol and Ember, Melvin (2003). *Encyclopedia of Sex and Gender, Men and women in the word's cultures.* New York, London : Kluwer Academic and Plenum Publishers.
Malti-Douglas, Fedwa (2007). *Encyclopedia of Sex and Gender, volume I, II, III and IV.* New York, London : Thomson and Gale.
Pitts-Taylor, Victoria (2008). *Cultural encyclopedia of the body,* volume I and II. New York : Grennwood Press.
O.E.C.D. (2010). *Atlas of Gender and Developpement. How social norms affect Gender equality in non-O.C.D. countries. New York : O.C.D.E. Press.*
Kuper, Adam and Kuper, Jessica (2005). *The Social Science*

Encyclopedia, Second Edition, London and New York: Routledge.
Joseph, Suad (2007). *Encyclopedia of women and islamic cultures,* Volume I, II, III, IV. Leiden and Boston : Brill Press.
Worrell, Judith and all (2002). *Encyclopedia of Women and Gender, sex similarities and differences and the impact of society on Gender, volume one. New York :Academic Press.*
Wittsojal, Carl. oriental despotism, comparative study of total power, 1981, New York ,kmventaje

دور التكوين في تنمية الموارد البشرية في المؤسسة الجزائرية

د. بن يمينة السعيد – جامعة المسيلة- الجزائر

ملخص:
تحتاج المؤسسات على اختلاف أنواعها وأحجامها، إلى موارد بشرية مدربة ومؤهلة لتنفيذ كافة نشاطاتها وعملياتها، ومن الطبيعي أن تزداد الحاجة إلى تنمية الموارد البشرية، مع ظهور وظائف جديدة ومع اتساع استخدام المؤسسات لتكنولوجيا حديثة ومعقدة، فالتكنولوجيات الجديدة وما رافقها من تعديل أو تغيير في إنتاج وتسويق سلع وخدمات وابتكارات قائمة أو جديدة، أوجدت بحاجة ماسة إلى تنمية مهارات وقدرات الموارد البشرية العاملة وفرضت بالتالي على المؤسسات برامج تأهيلية وتدريبية، تواكب سد النقص الحاصل في المهارات القديمة وإكساب الأفراد مهارات جديدة، تواكب المهن الحديثة التي أفرزتها عوامل التكنولوجيا والمعرفة.

مقدمة:
يتمثل التكوين في مجموعة من الوظائف المخططة مسبقا والتي تستهدف تزويد العمال بالمعارف، المهارات، المواقف والتصرفات التي تمكن من تسهيل اندماجهم في المنظمة ومن تحقيق أهداف الفعالية فيها، وهو عملية مخططة في إطار الاستراتيجية العامة للمنظمة، وبالتالي يساهم في تطوير المورد البشري الذي هو عماد التطور لكل تنظيم ومجتمع.

مفهوم التكوين: أشار الدكتور « الشقاوي » في بحثه (التدريب الإداري للتنمية) إلى أن التدريب عملية مستمرة ويتعين على الموظف التعلم باستمرار لتطوير قدراته الإدارية على مدى حياته العملية وبمعنى آخر فالحياة العملية هي عملية تعليم مستمر [1]،وهذا يؤكد أن عملية التطور الإداري التقني تفرض على الفرد أن يكون مطلعا على كل جديد مدركا لأسرار مهنته وما يطرأ عليها من تغيير.

أما الكاتب البارز في تسيير الموارد البشرية Raymond Vatier أعطى تعريفا

يعتبر أكثر شمولا وهو "أن التكوين هو مجمل العمليات القادرة على جعل الأفراد والفرق يؤدون وظائفهم الحالية والتي قد يكلفون بها مستقبلا من أجل السير الحسن للمؤسسة بمهارة [2]".
بالإضافة إلى أنه عملية مستمرة تستهدف إجراء تغيير دائم نسبيا في قدرات الفرد مما يساعده على أداء وظيفته بطريقة أفضل، ويعرفه آخرون بأنه"إجراء منظم يتزود الأفراد من خلاله بالمعرفة والمهارة المتعلقة بأداء مهمة أو مهام محددة، ويمكن النظر إليه باعتباره أداة لإحداث التغيير في المعرفة والمهارات والاتجاهات أوالسلوك، فهو قد يعني تغيير ما يعرفه العاملون، كيفية أدائهم، اتجاهاتهم نحو العمل [3].
وهناك تعريف آخر للتكوين وهو: أن"التكوين هو تلك الجهود الهادفة إلى تزويد الموظف بالمعلومات والمعارف التي تكسبه مهارة في أداء العمل، أو تنمية وتطوير ما لديه من مهارات ومعارف وخبرات، مما يزيد من كفاءته في أداء عمله الحالي أوبعده لأداء أعمال ذات مستوى أعلى في المستقبل" [4].
وهو كذلك "عملية منظمة ومستمرة، محورها الفرد في مجمله، تهدف إلى إحداث تغييرات محددة سلوكية وفنية وذهنية لمقابلة احتياجات محدد حاليا

أومستقبلية، يتطلبها الفرد والعمل الذي يؤديه والمؤسسة التي يعمل فيها والمجتمع الكبير" [5].
ويعتبر هذا التعريف من التعاريف الشاملة في مفهوم التدريب وذلك للاعتبارات التالية:
أوضح هذا التعريف أن التكوين عملية منظمة، وهذا لأنه نشاط يقوم على أساس التخطيط والتنظيم، أي إتباع منهجية عملية مبتعدا عن انتهاج أسلوب المحاولة والخطأ.
أوضح التعريف أن التكوين عملية مستمرة، بحيث يكون ملازما للفرد منذ تعيينه حتى نهاية حياته العملية.
أبرز التعريف أن التكوين محوره الأساسي هو الفرد وبهذا يمكن أن نفرق بين التكوين والتعليم، فالأول يهتم بالفرد نفسه، أما الثاني فيهتم بموضوع التعليم.
أوضح التعريف أن التكوين عملية هادفة، فالتكوين يجب أن يكون له هدف دقيق ومحدد وواضح، إذ أن التكوين وسيلة وليس غاية في حد ذاته.

وقد عرفه SEKIOU على أنه " هو مجمل النشاطات، الوسائل، الطرق، الدعائم التي تساعد في تحفيز العمال لتحسين معارفهم و سلوكاتهم، وقدراتهم الفكرية الضرورية، في آن واحد، لتحقيق أهداف المنظمة من جهة، وتحقيق أهدافهم الشخصية والاجتماعية من جهة أخرى، بدون أن ننسى الأداء الجيد لوظائفهم الحالية أو المستقبلية [6].

التكوين والتدريب والتعليم والتنمية، ما الفرق؟:
من الناحية العملية يمكن التمييز بين التدريب والتعليم من حيث أن الأخير يعتبر أوسع نطاقا ويتم من خلال المؤسسات الأكاديمية مثل المدارس والمعاهد والكليات، ويستهدف في النهاية توسيع مدارك الفرد ومجالات المعرفة لديه، في حين يعتبر التدريب ضيقا من حيث النطاق ويستهدف تنمية قدرات الفرد في مجالات محددة للعمل، ويعرف باس (BASS) وفوهان (VAUGHAN) التعليم بأنه: "التغيير الدائم في السلوك والذي يحدث كنتيجة للممارسة أو التجارب السابقة" [7].
ويهدف التعليم أو التعلم الذي يطبق عادة على الدراسة التي يتلقاها الفرد في المدارس والجامعات إلى تزويد الفرد بحصيلة معينة من العلم والمعرفة في إطار ومجال معين، فهو يهتم بالمعارف كوسيلة لتأهيل الفرد للدخول في الحياة العملية، ولذلك فهو يركز على الموضوع وليس على الفرد، بينما يهدف التدريب إلى تغيير سلوكهم واتجاهاتهم في المؤسسة أو علاقاتهم في العمل، حيث أن محور العملية التدريبية هو الفرد نفسه وليس موضوع التدريب، لذلك فإن أسلوب التدريب أهم من موضوع التدريب في حد ذاته [8].
من ناحية أخرى يعتبر عائد التدريب مباشرا، بينما يتحقق هدف التعليم في الأجل الطويل، أما من الناحية الوظيفية فهما متزامنان، وتكمن صعوبة الفصل بين التعليم والتدريب في الحياة الوظيفية إلى النظر اليهما على أنهما متطلبان رئيسيان لتحقيق التميز في العمل.
بينما يختلف التدريب عن التنمية في المدى الزمني لكل منهما على الرغم من تشابه المفهومين من حيث الوسائل المستخدمة في التعلم، فالتدريب موجه بالحاجة اليومية، ويركز على وظيفة الفرد الحالية، إلا أن تنمية العاملين تركز على الوظائف المستقبلية في التنظيم، فمع تطور المسار المهني تبرز أهمية الحاجة إلى

مهارات وقدرات جديدة بمعنى تنمية قدراتهم المختلفة لتسهيل مساهمتهم في المنظمة[9].لتحمل المسؤوليات اليوم قبل أن تسند إليه مستقبلا.
والغرض النهائي لمحصلة الجهود في الاتجاهين (التدريب والتنمية) تظل واحدة وهي التعلم، فالتعلم يعتبر مطلبا أساسيا لجعل العاملين أكثر كفاءة وفعالية في أدائهم لوظائفهم الحالية أو المستقبلية.
أما التكوين والتدريب فيختلفان في أن الأول يعني كل أوجه التعلم التي يتلقاه الفرد من قيم ومهارات وثقافة عمالية وأفكار ومعلومات عامة بينما التدريب ينصب على التعلم في نطاق ضيق يرتبط بمهنة واحدة باعتبار ارتباطها بالجانب العملي ضمن ناحية واقعية[10].
وبالتالي فالتكوين" وسيلة للتطور مهنيا، للتكيف مع متطلبات المناصب ونجاح المشاريع المهنية الفردية، وفي هذا الإطار فهو أداة لتسيير مشواره المهني"[11].
وعادة ما يعتقد البعض اعتقادا خاطئا عن التدريب فينظرون له بنوع من السلبية العلمية مثل اعتبار التدريب أحد الخدع والحيل التي لا تقوم على أساس علمي سليم، كما أن بعض الإدارات تنظر له على أنه تكلفة دون أن يقابل ذلك عائد متوقع، وقد لا تهتم بعض المؤسسات اهتماما كبيرا به وبالتالي فالتدريب له أهمية كبيرة.

أهمية وأهداف التكوين:

المطلب الأول: أهمية تكوين الموارد البشرية:

تكمن الأهمية الأولى لتكوين الموارد البشرية، من خلال قيام حاجة فعلية لتدريب الأفراد، ونقلهم إلى مواقع الإنتاج والتغيير معا، الأهمية الثانية لتكوين الموارد البشرية تعبر عنها النتائج الملموسة التي يحققها التكوين في حال ارتكز على سياسات وقواعد واضحة ومدعومة من قبل القمة الإدارية، إذ أن الفاعلية والكفاية في الإنتاج والأداء؛ واللذان يعتبران مطلبين أساسيين يقعان في صلب واستراتيجيات إدارة المؤسسة العاملة، يتحققان غالبا عن طريق التكوين، كما أن الحوافز المادية والمعنوية التي ترفع من مستوى أداء وإنتاجية الأفراد تنمو وتزداد مع ارتفاع مستوى دوافع التدريب ومع تطوير وتحديث برامجه، الأهمية الثالثة للتكوين تتضح أكثر من خلال تحقيقه للأهداف المرجوة منه والتي يمكن تلخيصها في ما يلي[12]:

- زيادة في الإنتاج عن طريق ضمان التدريب لأداء الأفراد للعمل بكفاية وفاعلية.
- اقتصاد في النفقات التي يمكن أن تتكبدها المؤسسة، نتيجة التغيير أو الهدر أو الاستبدال في موارد معينة (آلات، معدات، مواد).
- تحفيز الأفراد وتوفير الدوافع الذاتية للعمل وذلك عن طريق مد الأفراد بالمهارات والقدرات التي تساعدهم على القيام بمسؤوليات الأعمال التي توكل إليهم.
- استقرار في دوران العمل بما يؤمن متابعة إنتاج المؤسسة لمشاريعها المختلفة، وبما يوفر الاستقرار الوظيفي للأفراد المدربين على تلبية حاجات وشروط مختلف مشاريع المؤسسة الإنتاجية.

إن نجاح المؤسسات وحتى المجتمع ككل، مرتبط بالضرورة بتكوين الأفراد فالتكوين يعتبر وسيلة للتنمية الاقتصادية والازدهار الاجتماعي، والتأمين ضد البطالة والشيخوخة وفقدان التوظيف وعدم ملائمة الفرد لعمله[13].

المطلب الثاني: أهداف التكوين:

لاشك أن الخطوة الأولى التي يجب التفكير فيها عند إعداد أي برنامج تكويني هي تحديد أهدافه بدقة ووضوح، لأن هذه الأهداف هي التي تساعد في رسم الطريق الذي يؤدي إلى تحقيقها، كما أنها تعتبر المقياس لتقييم النشاط بعد تنفيذه والحكم عليه بالنجاح أو الفشل في ضوء تحقيق هذه الأهداف أو العكس.

أولا: الأهداف العامة للتكوين:

لاشك أن أهداف أي برنامج تكويني تختلف من مؤسسة لأخرى تبعا لاحتياجات التكوين في كل مؤسسة وحسب اختلاف الظروف الإنتاجية لاحتياجات التكوين في كل مؤسسة وحسب اختلاف الظروف الإنتاجية و الإدارية المؤثرة في العمل في كل منهما.

وبالرغم من ذلك، فإنه يمكننا صياغة مجموعة من الأهداف العامة التي يجب أن تراعيها أي مؤسسة عند إعدادها للبرنامج التكويني.

- **الأهداف الإدارية:**

ويعني هذا النوع من الأهداف لخدمة الإدارة بكافة مستوياتها بحيث تعمل بكفاءة أعلى، وفيما يلي الأهداف الإدارية التي يجب أن يحققها أي برنامج تكويني بصفة عامة:

- تخفيف العبء على المشرفين[14]: لأن المشرف يحتاج إلى وقت أقل في تصحيح أخطاء العاملين الذين تم تدريبهم أو تكوينهم مقارنة مع غير المكونين، كما أنه لا يحتاج إلى الملاحظة الدائمة إلى هؤلاء العاملين المكونين، وذلك ثقة في قدراتهم ومهارتهم التي اكتسبوها عن طريق التكوين.
- تحقيق المرونة والاستقرار في التنظيم[15] : يقصد بالمرونة مواجهة التغيرات المتوقعة في المدى القصير، سواء تعلق الأمر بأنماط السلوك الوظيفي أو المهارات اللازمة لأداء الأعمال، أما الاستقرار فيقصد به قدرة التنظيم على توفير المهارات اللازمة لشغل الوظائف الأعلى بصفة مستمرة، ويصعب تحقيق ذلك دون أن تكون هناك سياسة واضحة للتكوين وبرامج معدة على أسس علمية.
- مساعدة الإدارة في اكتشاف الكفاءات لتحقيق مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب.
- تسهيل عملية الاتصال سواء كان من أعلى مستوى إداري إلى أسفله أو العكس، وإبلاغ العاملين بكافة المعلومات التي تتعلق بأهداف المؤسسة وسياستها ومراحل تنفيذ الأعمال حتى يقوموا بأعمالهم في ضوء هذه الأهداف والمعلومات.

- **الأهداف الفنية:**

ويتعلق هذا النوع من الأهداف بكافة النواحي الفنية في المؤسسة لضمان سلامتها سواء كان ذلك بالنسبة للآلات والمعدات التي تستخدمها، أو بالنسبة للأفراد العاملين فيها، أو بالنسبة للمنتج، ومن أهم هذه الأهداف نجد:

- ✓ تخفيض تكاليف صيانة الآلات وإصلاحها[16]: تساعد برامج التكوين على تخفيض تكاليف الصيانة وإصلاح الآلات لأن تكوين العامل على طريقة الإنتاج المثلى تساعده على تقليل الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها نتيجة جهله بطريقة وأسلوب العمل على الآلة.

- ✓ تخفيض حوادث العمل [17]: فأغلب الحوادث يكون سببها عدم كفاءة الأفراد فالتكوين يؤدي إلى تخفيض معدل تكرار الحادث، نتيجة فهم العامل لطبيعة العمل وسير حركة الآلات، إذ أن التكوين يعتبر صمام أمان يحيط العمل بحماية تعليمية وقواعد علمية وإرشادات عملية.
- ✓ التقليل من نسبة العادم أو التالف [18]: يساهم التكوين في التقليل من نسبة العوادم والمواد التالفة، لأن العامل المكوّن يكون أقدر على استخدام المواد بالكمية والكيفية المطلوبتين.

الأهداف الاقتصادية والاجتماعية:

إن تحقيق هذه الأهداف يؤدي إلى النهوض بالنواحي الاقتصادية للمؤسسة عن طريق تنمية القدرات الاقتصادية وتعظيم الربح في المؤسسة وضمان البقاء في السوق، وكذلك النهوض بالمستوى الاجتماعي للعاملين بما يتيحه التكوين من فرص أفضل للكسب أمام العاملين، وشعورهم بالأهمية والمكانة في المؤسسة.
ويمكن صياغة هذه الأهداف في عدة نقاط رئيسية كالآتي:

- ✓ زيادة الكفاية الإنتاجية [19]: حيث تنعكس زيادة مهارة الفرد والناتجة عن التكوين على ارتفاع الإنتاج، وانخفاض التكاليف، وهذا يعني زيادة الكفاية الإنتاجية.
- ✓ ارتفاع الربح: مع ارتفاع الإنتاج وانخفاض التكاليف يمكن أن تزداد مبيعات المؤسسة فيرتفع رقم أعمالها ويزداد بذلك ربح المؤسسة
- ✓ زيادة القدرة التنافسية للمؤسسة: تزداد القدرة التنافسية للمؤسسة عن طريق تحسين الإنتاج، وانخفاض التكاليف بواسطة تنمية كفاءة الأفراد، يمكن للمؤسسة رفع حصتها في السوق وبذلك تستطيع تحقيق أهدافها، النمو والبقاء.
- ✓ رفع معنويات الأفراد [20]: لاشك أن اكتساب القدر المناسب من المهارات يؤدي إلى ثقة الفرد بنفسه، ويحقق له نوع من الاستقرار النفسي، ولاشك أن وجود برنامج للعلاقات الإنسانية مع التكوين المنظم والمستمر للأفراد لتوفير القدر المناسب من المهارات يؤديان إلى رفع الروح المعنوية للأفراد.

الدراسة الميدانية:

تم اجراء الدراسة الميدانية بالشركة الجزائرية للاسمنت (ACC) تم تشكيلها في عام 2001 وتعد فرع مملوكة بالكامل للمجموعة OCI الاسمنت، في البداية كانت تابعة لمجمع اوراسكوم المصرية ثم بيعت لشركة لافارج الفرنسية، وهي أول شركة اسمنت مملوكة للقطاع الخاص في الجزائر وهي أكبر الاستثمارات الأجنبية في البلد خارج قطاع الاتصالات والصناعات البتروكيماوية.

وتقع في منطقة ولاية المسيلة، حوالي 215 كيلومترا جنوب شرق الجزائر العاصمة، ويعمل خطان اثنان لخطوط الإنتاج، بقدرة إنتاجية 2.5 مليون طن اسمنت سنويا لكل خط المصنع بطاقة إنتاجيه 5 مليون طن من الاسمنت في السنة، الأولى بدأت خط إنتاج الاسمنت في كانون الثاني / يناير 2004 والثانية بدأت

خط الإنتاج في منتصف عام 2005، وتم أخذ العينة الطبقية لذلك تم تقسيم مجتمع البحث إلى طبقات سوسيومهنية، حتى نضمن التمثيل المتوازن لكل الفئات، وتم أخذ نسبة 20 % من مجتمع البحث البالغ 721 فرد، وكان عدد أفراد العينة 144، وبنفس الطريقة تم أخذ نفس النسبة من كل طبقة (فئة سوسيومهنية)

الجدول رقم(01): ملائمة وسائل التكوين وعلاقته بالأقدمية

الأقدمية / ملائمة وسائل التكوين	أقل من 12 شهر		من 12 إلى 24 شهر		من 25 إلى 36 شهر		من 37 إلى 48 شهر		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
مناسبة	06	19.35	26	56.52	38	61.29	03	60	73	50.69
نوعا ما	15	48.38	15	32.60	22	35.48	02	40	54	37.50
غير مناسبة	10	32.25	05	10.86	02	03.22	-	-	17	11.80
المجموع	31	100	46	100	62	100	05	100	144	100

أغلب الأفراد العاملين يرون بان الوسائل التي يتم بها إجراء التكوين هي مناسبة وذلك بنسبة 50.69 بالمئة، ونجد أن هذا الرأي مدعم أكثر بالعمال الذين لديهم أقدمية في العمل كبيرة بين 25 إلى 36 شهر وتقارب فئة بين 37 و48 شهر بنسبة 60 بالمئة، ويقل هذا الاتجاه الايجابي عند العمال الذين لديهم أقدمية قليلة خاصة أقل من عام بنسبة 19.35 بالمئة.

إن اختيار المكان المناسب من أهم العوامل المساعدة في نجاح التكوين، ويرجع ذلك أيضا إلى حرص المسئولين في تحديد المكان بدقة وتهيئة المحيط المناسب (ضوء، حرارة، أجهزة) حتى يتم تحقيق الأهداف المرجوة من عملية التكوين.

بينما الذين يرون أن وسائل التكوين ملائمة نوعا ما فهم يمثلون نسبة 37.50 بالمئة، وهذا الرأي نجده مدعما أكثر عند الذين لديهم أقدمية لا تتجاوز السنة بنسبة 48.38 بالمئة، بينما الذين يرون أن وسائل التكوين غير ملائمة فهم يمثلون نسبة 11.80 بالمئة، أغلبهم من ذوي الأقدمية الصغيرة، خاصة الأقل من عام وذلك بـ 32.25 بالمئة، وهي تنعدم عند من ليهم أقدمية بين 37 إلى 48 شهر، نستنتج من كل ذلك انه كلما كانت الأقدمية كبيرة كلما كان هناك رضا عن وسائل التكوين، والعكس صحيح.

الجدول رقم(02):طريقة الاختيار لإجراء التكوين وعلاقته بالفئة السوسيومهنية

الفئة طريقة الاختيار للتكوين	إطارات		أعوان تحكم		أعوان تنفيذ		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
طلب شخصي	09	32.14	21	22.10	02	09.52	32	22.22
تعيين من الإدارة	11	39.28	72	75.78	18	85.71	101	70.13
مسابقة أو اختبار	08	28.57	02	02.10	01	04.76	11	07.63
المجموع	28	100	95	100	21	100	144	100

إن الشركة تقوم باختبار أفرادها لتكوينهم ويكون ذلك مرتبطا باحتياجاتها وأهدافها المتعلقة بالوظيفة التي يشغلها المبحوثين والأهداف العامة التي تسعى إلى تحقيقها، فقد تبين أن أكبر نسبة لاختيار المتكونين يكون من طرف إدارة المؤسسة، وذلك بنسبة 70.13 بالمئة ويزداد هذا الرأي كلما انتقلنا من الفئات الدنيا إلى الأعلى، حيث نجده عند أعوان التنفيذ يمثل 85.71 بالمئة وعند الإطارات 39.28 بالمئة، وقد يرجع ذلك إلى تقديرها للاحتياجات التكوينية للمؤسسة وهو ما يتماشى مع الطرق الرسمية في تحديد الاحتياجات التكوينية.

تقييم الاحتياجات التكوينية تتمثل في مدى الحاجة إلى التكوين من عدمه، فمن الممارسات الخاطئة قيام الشركة بتصميم وتنفيذ بعض البرامج التدريبية لا لشيء سوى لأنها مفضلة بين العاملين، أو تقوم بها الشركات المنافسة، أو وجود فائض في الموازن المخصصة للتكوين، وعلى ذلك فانه يجب اللجوء إلى التكوين في حالة واحدة فقط وهي توافر مؤشرات تدل على إمكانية مساهمة التكوين في حل مشكلات محددة أو رفع الكفاءة في مجالات معينة، وهو ما يتطلب إعداد تحليل كلي للتنظيم من أفراد وأنشطة وتكنولوجيا وأهداف.

بينما الذين يرون أن الاختيار لإجراء التكوين يتم بناءا على طلب شخصي فهم يمثلون 22.22 بالمئة وهي اكبر عند فئة الإطارات بنسبة 32.14 بالمئة، وهذه الطريق تعتبر من الطرق غير الرسمية في اختيار الأفراد لإجراء العملية التكوينية لان الإدارة هي الأدرى بتحديد احتياجاتها من التكوين بالنظر إلى ظروف العمل والإنتاج وحالة الموارد البشرية التي لديها.

الذين يتم اختيارهم للتكوين على أساس مسابقة أو اختبار يمثلون نسبة 7.63 بالمئة، وهي كبيرة عند فئة الإطارات بنسبة 28.57 بالمئة.

الفئات السوسيومهنية الدنيا هي الأكثر إتباعا للطرق الرسمية في اختيار للتكوين، الإطارات يميلون للطرق الرسمية وغير الرسمية ليتم اختيارهم للتربصات، لأنها في الغالب تكون فيها امتيازات مادية وترفيهية وحتى معنوية، بالإضافة إلى أن الإطارات الأكثر إلحاحا على إجراء التكوين لأنه يسمح لهم بتطوير مسارهم الوظيفي، وبالتالي يمكن أن ترفع من رصيدهم المهني حتى لو غادروا الشركة

الحالية إلى شركات أخرى، مع علمهم أن الشركة الجزائرية للاسمنت لديها من الإمكانيات المادية الكبيرة، والتي ربما لن يجدوها في شركات وطنية أخرى.

الجدول رقم(03): تحسن الأداء بعد إجراء التكوين ومبرراته

تحسن الأداء بعد التكوين / مبرراته		التكرار	النسبة المئوية %
نعم	زيادة المعارف والمعلومات	50	34.72
	ارتفاع الروح المعنوية	20	13.88
	التحكم في العمل	55	38.19
	تحسن العلاقة مع الزملاء	06	04.16
المجموع الجزئي		131	90.97
لا	عدم وضوح المادة التكوينية	07	04.86
	عدم كفاءة المكون	02	01.38
	الوسائل غير ملائمة	04	02.77
المجموع الجزئي		13	09.02
المجموع الكلي		144	100

تبدو الأسباب البشرية أكثرها تأثيرا واحتمالا في وجود فجوات الأداء، حيث تتباعد اهتمامات الأفراد ورغباتهم عن العمل المطلوب أو تختلف مكونات قدراتهم ومهاراتهم في المستويات المطلوبة وتضم مجموعة من الأسباب المادية لفجوة الأداء وكل ما يستعين به العامل من أدوات وتجهيزات ومواد وغيرها وما قد يعتبرها من نقص أو عيوب في التشغيل.

يعتبر أفراد المجتمع المبحوث أن أداؤهم تحسن بعد إجراء التكوين، وذلك بنسبة 90.97 بالمئة، و34.72 بالمئة يرون أن التحسن مس جوانب زيادة المعارف والمعلومات، بينما الذين يرون أن التحسن كان على مستوى العلاقة مع الزملاء لا يتعدى 4.16 بالمئة.

والميزة الأساسية لعمليات تشخيص الأداء هو تأكيد حقيقة مهمة بالنسبة لدور التكوين في تحسين الأداء هي معارف الفرد، لذلك يرى الكثير من الأفراد أن هذا التحسن كان على مستوى التحكم في العمل بنسبة 38.19 بالمئة من مجموع المبحوثين.

بل قد يكون سبب فجوة الأداء أمور مادية تنظيمية تقنية أو حتى بشرية تتصل بالميول والدوافع، وجميع تلك الأسباب لا يمكن علاجها إلا بالتكوين، إن تطوير الأداء هو الغاية النهائية التي تسعى إليها نظم إدارة الأداء، إذ تتعامل مع ظاهرة القصور التي كشفت عنها عمليات تشخيص وتحليل وتقييم الأداء بالمقارنة بأهداف وخطط الأداء، والهدف إذن من التطوير هو تحقيق التعادل والتماثل بين مستويات الأداء الفعلي وبين المستويات المستهدفة في خطة الأداء [21].

بينما يمثل الأفراد الذين يرون أنه لم يكن هناك تحسن بعد إجراء عملية التكوين 9.02 بالمئة، ويرجع 4.86 بالمئة من أفراد العينة سبب ذلك إلى عدم وضوح المادة التكوينية، ويرجع 2.77 بالمئة ذلك إلى أن الوسائل غير ملائمة أثناء عملية

التكوين مما أثر على نتائج العملية التكوينية، ويرجع 1.38 من أفراد العينة عدم تغير الأداء إلى عدم كفاءة المكون.
عموما يمكن القول أن طرق إجراء العملية التكوينية تحوز على رضا العمال بنسبة كبيرة، وان كان هذا التكوين يتم في مجال الوظيفة وتقنيات العمل، بينما يقل التكوين على المستوى الإنساني خاصة ما تعلق منه بعلاقات العمل والاتصال والقيادة.

خاتمة:

إن التكوين الفعال يعتبر أحد المداخل الرئيسية لوظيفة التسيير في المؤسسة فهو يحدد مكامن القصور في مستويات الأداء المنشود ويعمل على الرفع من مستويات الأداء حيث أنه يمثل أحد أدوات تصحيح الاختلال بين المستوى المنشود والمستوى الواقعي، وفي ظل التحولات السريعة التي يشهدها الاقتصاد العالمي وما صاحب ذلك من التطور المعرفي في مجال إدارة الأعمال وخصوصا في مجال التسيير يمكن للمؤسسة أن تعتمد على التكوين كأحد متطلبات التسيير الفعال في سوق مفتوح تسوده المنافسة ولا مكان للضعيف فيه، وهو مفتاح أساسي لكل عملية ترقية، فهما من العمليات المترابطة والتي تعمل على تحفيز الفرد على العمل وبناء مسار مهني طموح.

الهوامش:

[1]– عبد الرحمان الشقاوي: التدريب الإداري للتنمية- معهد الإدارة العامة- مصر- 1985، ص 09.

[2] –Raymond Vatier, Développement de l'entreprise et promotion des hommes, Entreprise moderne d'édition, 1984.

[3] – جمال الدين محمد مرسي، الإدارة الاستراتيجية للموارد البشرية "المدخل لتحقيق ميزة تنافسية لمنظمة القرن الحادي والعشرين، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 332.

[4] - زكي محمود هاشم، إدارة الموارد البشرية، جامعة الكويت، الكويت، 1989، ص 255.

5 - علي محمد عبد الوهاب، للتدريب و التطوير، محفل علمي لفعالية الأفراد والمنظمات، معهد الإدارة العامة، الرياض، 1981، ص 19.

[6] – Sekiou Lakhdar, gestion du personnel, les éditions d'organisation, paris, 1986.

7- عمر سالم الزروق، برامج العملية التدريبية، منشورات المعهد القومي للإدارة، طرابلس، 1989، ص 8.

[8] - عبد الكريم درويش، نظرة إلى التدريب في إطاره الصحيح، مجلة الإدارة، العدد الرابع، القاهرة 01 أفريل 1972، ص 43.

[9] - مصطفى أبو بكر، المدير المعاصر وإدارة الأعمال في بيئة العولمة المعاصرة، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003.

[10] - عبد الباقي صلاح الدين، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، مكتب العرب الحديث، الإسكندرية،1988، ص252 .

[11] – PERETTI, jean marie, tous DRH, les éditions d'organisations, Paris, France, Mai 1998,p175.

[12] - بلوط حسن إبراهيم، إدارة الموارد البشرية من منظور استراتيجي، دار النهضة العربية، بيروت، 2002، ص 239.

13 – SEKIOU LAKHDAR : Gestion du personnel, les éditions d'organisation ,3ème édition, Québec, 1990, p293.

14- عبد الرحمن عبد الباقي عمر، إدارة الأفراد، مكتبة عين الشمس، القاهرة، 1975، ص 206.

15- محمد عثمان، حمدي مصطفى المعاذ، المدخل الحديث في إدارة الأفراد، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 220.

16 - عاطف محمد عبيد، إدارة الأفراد، دراسة علمية وعملية، دار النهضة العربية القاهرة، 1966، ص 282.

17- حنفي عبد الغفور، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية دار غريب للطباعة والنشر، 1988، ص 259.

18- منصور فهمي، إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1973، ص 285.

19- عبد الغفار حنفي، مرجع سابق، ص 258.

20- نفس الرجع.

[21] - أحمد ماهر: إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية للنشر، مصر، 1999، ص 355.

تطور الثورة خلال المرحلة الأولى والصعوبات التي اعترضتها
1956.1954

د. مقلاتي عبدالله . جامعة المسيلة-الجزائر

ملخص :
في هذا المقال حاولنا دراسة تطورات المرحلة الاولى من مسيرة الثورة التحريرية، وبينا أهم الصعوبات التي اعترضتها وسبل مجابهتها، وقد سجلنا في خلاصة البحث أن مجموعات جيش التحرير الوطني الأولى تحملت العبء الأكبر في التأكيد على استمرارية الثورة بعد اندلاعها، فرغم ظروفها التنظيمية وقلة الإمكانيات والسلاح واصلت تنفيذ إستراتيجية عمل ثورية للحفاظ على شعلة الثورة ملتهبة. كما أن قيادة الوفد الخارجي بذلت جهودا كبرى وهي تعمل من أجل وحدة المعركة في الشمال الإفريقي وكسب الدعم العربي والدولي، وعلى الرغم مما يقال عن تقصير للوفد الخارجي في تأدية مهامه وخاصة مسألة التسليح فإن العمل العلني والسري الذي أنجز ساهم بفعالية في التعريف بالقضية الجزائرية سياسيا، وفي تشكيل تحالف شمال إفريقي موحد في وجه السياسة الفرنسية، وفي إرساء شبكات دعم لوجستيكية أدخلت كميات هائلة من الأسلحة.

مقدمة:

يمثل صمود الثورة بعد تفجيرها الرهان الحقيقي لنجاحها، وفي حالة الثورة الجزائرية يبدوا في تصورنا أن الإستراتيجية الواقعية التي نهجها القادة التاريخيون استطاعت أن ترسخ أقدام الثورة وتوطد دعائمها، وقد كانت مرحلة تحضيرية وتنظيمية لعمل ثوري دقيق وشامل، ومع ذلك اصطدمت الثورة بكثير من الصعوبات التي أعاقت سيرها، فهل استطاعت قيادة الثورة أن تتغلب على هذه الصعوبات وأن تصمد في وجه السياسة الفرنسية الهادفة لإجهاضها في المهد؟.

أولا : توسع نشاط الثورة في الداخل

سطرت قيادة الثورة إستراتيجية عمل في الداخل ترمي الى تثبيت جبهة التحرير الوطني سياسيا وعسكريا وإرساء حالة اللا أمن في البلاد ثم وصولا الى تحرير مناطق مستقلة، وقد اعتمدت في التسيير مبدأ اللامركزية والجمع بين العمل السياسي والعسكري، ووفقا لذلك خططت لقطع مسيرة ما بعد نجاح تفجير الثورة، وكان التعويل كما يبدوا من إستراتيجية العمل مركزا على قيادة المناطق في الداخل، حيث كان يتوجب عليها أن تصمد في مواجهة ردة الفعل الفرنسية وأن تحافظ على جذوة اشتعال الثورة ملتهبة([1]).

إن هدف غرس الثورة وتثبيتها يتطلب عملا ميدانيا نشطا، يرتكز على العمل السياسي في أوساط الشعب الحاضن الأساسي لهذه الثورة، وتعزيز القدرات العسكرية والمعنوية والتقنية لجيش التحرير الوطني، ونشر أفكار الثورة ومبادئها السامية والقائمة على مشروعية الكفاح المسلح من أجل تحقيق الاستقلال التام.

وأما مخطط نشر حالة اللا امن عبر كافة أنحاء الوطن فكانت تتطلب القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومؤثرة على الوجود الفرنسي، وذلك من أجل إرباكه وإرغامه على الاعتراف بخصمه والتفاوض معه، وكانت قيادة الثورة اعتمدت لقلة إمكانياتها على أسلوب حرب العصابات واعتقدت أن ذلك كفيل لإرغام العدو على إيجاد حل سياسي للمشكلة.

وسوف يتأخر موعد تحرير مناطق يستقل بها جيش التحرير الوطني لأسباب موضوعية، ولكن تجربة الاستقلالية بمناطق محررة أفادت في تجسيد مبادئ الثورة وسياساتها، وذلك بالشكل الذي يخدم أفكارها ويعزز التحدي والأمل في تحرير كامل الوطن([2]).

وعمليا واجه صمود الثورة في مرحلة الانطلاقة صعوبات جمة ترجع الى قلة التنظيم والاستعداد، فجل المناطق عدا منطقة الاوراس لم تستكمل التحضيرات التي تسمح لها بمواصلة العمليات المسلحة، وبالرجوع الى بعض شهادات الفاعلين ومحضر مؤتمر الصومام الذي سجل إمكانيات المناطق مع انطلاقة الثورة نلاحظ قلة في عدد المجاهدين (حوالي ألف مجاهد)، ونقصا في كمية ونوعية السلاح (غالبيتها بنادق صيد) وشحا في الميزانية([3])، وقلة الإمكانيات هذه مضافا إليها ظروف التشويش التي اندلعت فيها الثورة (انقسام الحزب ومنافسة مصالي) صورت لكثير من المناضلين أن تفجير الثورة يعد مجازفة أو عمل جنوني، وهو ما عبر عنه عبان عندما أعلم لحظة الإفراج عنه بإمكانيات الثورة المتواضعة وأحوالها التنظيمية، ولم يكن يعلم بحجم التحدي الذي قرر مفجروا الثورة رفعه([4]).

لقد كان يتوجب على المجموعات المفجرة للثورة أن تعود بعد عمليات فاتح نوفمبر الى ملاجئها النائية وتأخذ وقتها في التنظيم والاستعداد للمجابهة الحاسمة، وكان هذا الأمر مبرمجا، حيث كان التعويل خلال الستة أشهر الأولى في استمرارية الثورة على منطقة الاوراس، وقد تعهد قائدها ابن بوالعيد بهذا الأمر في الاجتماعات التحضيرية لاندلاع الثورة([5]).

ولهذا نسجل عموما تركز العمليات العسكرية خلال المرحلة الأولى في الاوراس، الأمر الذي صور للإدارة الفرنسية أن الثورة محصورة هناك ويمكن بالتالي وئدها بسهولة، وأما المناطق الأخرى فكانت تسارع الوقت لتركيز تنظيمها السياسي وبناء هياكلها العسكرية، وقد وضعت نصب أعينها تحقيق الأهداف الإستراتيجية الآتية:

- تحضير العمل السياسي ليكون أرضية للعمل العسكري، ويشمل هذا التحضير التعريف بأهداف الثورة ومبادئها، وكسب الأنصار لها، وتشكيل تنظيم سياسي قاعدي يضمن غرس جبهة التحرير الوطني في كل دوار وحي، ويلبي متطلباتها من دعم لوجستيكي وتجنيد وأخبار وقت الحاجة.

- تنظيم وتدريب فرق جيش التحرير الوطني لتقوم بواجبها على أكمل وجه، حيث وضعت شروط صارمة لتجنيد المصممين والقادرين على حمل السلاح، سواء كانوا مجاهدين أو مسبلين أو فدائيين، وتم تنظيم الفرق العسكرية وتدريبها على حرب العصابات، كما حددت الصلاحيات والأهداف، وكانت هذه الفرق تقوم بنصب الكمائن وتخريب منشآت العدو وتطهير الساحة من الخونة.

ومن خلال رصد نشاط المناطق السياسي والعسكري يمكننا أخذ فكرة عن طبيعة وتطور هذا النشاط الثوري. ففي منطقة الاوراس صمدت الثورة بعنفوانية وشموخ، وذلك رغم إجراءات الوأد العسكرية والسياسية والحصار المفروض عليها، لقد استمرت تلك الأفواج العسكرية المحضرة بشكل جيد في ضرب الأهداف الاستعمارية، وكان ابن بوالعيد بحكمته وأبوته موجها سياسيا وقائدا عسكريا، تمكن من غرس أفكار الثورة وتوحيد كلمة العروش، وزرع تنظيم الثورة ومده شرقا إلى النمامشة وسوق أهراس وغربا الى المسيلة وبريكة وجنوبا الى بسكرة وواد

سوف، وجند أعداد كبيرة من الأفواج المقاتلة، وقد حققت تلك الأفواج انتصارات باهرة في المعارك التي خاضتها، وكانت بحق معركة الجرف عنوانا على شموخ الاوراس، حيث تصدى المجاهدون بقوة إيمانهم وصبرهم لحصار القوات الفرنسية الشرس لمدة أسبوع كامل، ولم يكن اعتقال ابن بوالعيد في الحدود التونسية الليبية

بداية عام 1955 ليفتر نشاط الاوراس، فقد واصل جهاز الإدارة قيادة المعركة بنفس قوي، فأبدع شيحاني بشير بحكمته في تنظيم المنطقة ورفع المعنويات، حيث

بادر في الأسبوع الأخير من سبتمبر 1955 الى تنظيم أيام مفتوحة على الثورة بوادي هلال كان القصد منها التعريف بالثورة وتجنيد الشعب لخدمتها، وأظهر عباس لغرور وشيحاني بشير ولزهر شريط وزيان عاشور رباطة جأش وإقدام بطولي في المعارك التي خاضوها، وتشهد المصادر الفرنسية ذاتها على تزايد قوة ووتيرة العمليات العسكرية في الاوراس([6])، وقد تعرضت منطقة الاوراس في

النصف الثاني من سنة 1955 لأزمة قيادية، بدأت باغتيال شيحاني بشير وانتهت الى بروز انقسام جهوي بين جبهة خنشلة بقيادة لغرور وعجول وجبهة باتنة بزعامة عمر بن بوالعيد، وأدى الصراع بين الجبهتين قبل وبعد هروب مصطفى ابن بوالعيد من السجن الى تزعزع النظام وتقهقر النشاط الثوري، واستطاع ابن بوالعيد

أن يعيد لهذا النشاط وتيرته السابقة ولكنه اغتيل في مارس 1956 وهو يحضر اجتماع قادة المنطقة، وعاد التنافس من جديد ليبذر الفتنة التي بدأت تنخر نظام الثورة في الاوراس([7]).

أما منطقة الشمال القسنطيني فانه وعلى الرغم من الخسارة التي لحقت بقيادة وتنظيم المنطقة في الأشهر الثلاث الأولى إلا أن الثورة ركزت أقدامها، كما وسعت

نشاطها الذي ظهر جليا في هجومات 20 أوت 1955، وقد استشهد باجي مختار في وقت مبكر بعد أيام من اندلاع الثورة، وكان ديدوش يعول عليه كثيرا في إمداد المنطقة بالسلاح لإشرافه على منطقة سوق اهراس الحدودية وعلاقاته مع الثوار التونسيين، وبعد جهد مضني بذله ديدوش في التنظيم والتحضير السياسي وتشكيل

الأفواج العسكرية سقط شهيدا في معركة عين كركر يوم 18 جانفي 1955، واستمر خليفته زيغود على نهجه مستفيدا من الأخطاء السابقة، فقد أعاد إرساء التنظيم السياسي المكتشف وتفعيله، ودرب جنوده على حرب استنزاف طويلة المدى، وباشر تنفيذ هجمات وكمائن دقيقة حققت النتائج المرجوة منها، وكان من بينها كمين غونو قرب قالمة، وهندس زيغود فيما بعد هجماته المنسقة والشاملة ذات

الطابع السياسي، فقد اختار يوم الخامس جويلية 1955 لتنظيم سلسلة كمائن

على الطرق الرئيسية للمدن الكبرى، وخطط ليكون يوم 20 أوت من السنة ذاتها موعدا لهجمات تاريخية، وكان زيغود حكيما في تأكيده على ربط العمل المسلح بالقاعدة الجماهيرية ونقل المعركة من الأرياف الى المدن لتحقيق الانتصار السياسي على العدو([8]).

وفي منطقة القبائل عقد كريم بلقاسم اجتماعا تقييميا في 20 نوفمبر 1954، دعا فيه قادة النواحي إلى إرساء نظام قوي للثورة، وكسب أوساط الشعب لدعم الثورة، والقيام بين الحين والأخر بعمليات عسكرية ذات طابع استعراضي، هدفها إظهار قوة الثورة والتأكيد على استمراري، وفي بداية عام 1955 وعلى اثر استكمال الاستعدادات طلب كريم من قادة النواحي جمع بنادق الصيد من السكان وتنظيم أفواج وفرق الجيش وتكثيف العمليات العسكرية، ودخلت المنطقة مرحلة نشطة من العمل الثوري، وقد دبرت قيادة المنطقة عملية العصفور الأزرق، حيث سمحت لعناصر موالية لها قبول عرض التسلح الذي اقترحه "جاك سوستيل"، وبعد انضمام تلك المجموعات المسلحة لصف الثورة أفشت مخططها الذي نزل كالصاعقة على "سوستيل"، كما نجحت قيادة المنطقة في تأديب أعوان الاستعمار، وإلحاق الأضرار بممتلكات المستوطنين، وعلى صعيد آخر جابهت القوة المصالية التي شكلت بالمنطقة، وفرضت نفوذها على المنطقة الرابعة وعلى مدينة الجزائر التي اسند تسييرها الى عبان رمضان، وحققت المنطقة بذلك نجاحات معتبرة([9]).

وفي المنطقة الرابعة واجهت تنظيمات الثورة الأولى مشاكل عويصة إثر اكتشاف أغلب خلاياها بالعاصمة، وشغل هذا الأمر بال قائد المنطقة الذي قبل في مستهل شهر مارس 1955 قبول مقترح كريم بالاستعانة بعبان في الإشراف على العاصمة، وفي مناطق البليدة نظم سويداني وبوشعيب عدة عمليات عسكرية بمناسبة أعياد نهاية السنة الميلادية (ديسمبر 1954)، وقد وقع بيطاط في شباك الشرطة الفرنسية التي اعتقلته نتيجة خيانة نفذها سليمان لاجودان، وبادر كريم لتعيين أوعمران قائدا على المنطقة، وفي الوقت الذي بدأ فيه عبان يوطد نظام الفداء بمدينة الجزائر شرع اوعمران في توطيد دعائم الثورة بنواحي المنطقة، وقد باشرت المجموعة المسلحة بشن عمليات عسكرية ناجحة في المتيجة والبليدة والمدية والبويرة([10]).

وكانت المنطقة الخامسة متميزة عن المناطق الأخرى بقلة الخلايا الثورية وانكشاف جغرافية المنطقة وكثرة العيون بها، ولعل ذلك وقف أمام الفشل الذي ميز انطلاقة الثورة بالمنطقة، حيث استشهد رمضان بن عبدالمالك مبكرا واعتقل مسؤولون آخرون منهم احمد زبانة، ولهذا قرر ابن امهيدي تجميد النشاط إلى حين تجنيد الخلايا النائمة وإيجاد حل لمشكلة التسليح، وبحثا عن السلاح انتقل في بداية عام 1955 الى المغرب والى القاهرة، ووعد بقرب تسلمه لشحنات الأسلحة القادمة بحرا من مصر الى الريف المغربي، وكان عليه أن يقضي وقتا في التنسيق مع الثوار المغاربة لتوحيد المعركة، وبعد انتظار طويل وجهد مضني حدد تاريخ الثاني أكتوبر موعدا لانطلاق العمليات العسكرية في منطقة وهران وفي الريف المغربي، وفي نهاية عام 1955 عقد ابن امهيدي اجتماعا لقيادة المنطقة في جبل زكري، تقرر فيه استثمار التنسيق مع ثوار المغرب ونقل الثورة الى عمق المنطقة الخامسة([11]).

ويبدوا لنا واضحا أن إدارة المعركة في الداخل خلال المرحلة الأولى للثورة لم تكن بالأمر الهين، وذلك في ظل قلة الإمكانيات والمصاعب التي واجهت الثورة، وقد تحمل مفجروا الثورة مسؤولية تاريخية في ترسيخ قدم الثورة وإرساء نظامها، وهو ما سمح للثورة أن تمضي قدما في تحقيق أهدافها.

ثانيا: نشاط الوفد الخارجي

كلف وفد جبهة التحرير الوطني في الخارج برسم السياسة الخارجية وفق المبادئ المتفق عليها، وانطلاقا من القاهرة قام ابن بلة وخيضر وآيت أحمد ومساعديهم بنشاط حثيث للتعريف بالقضية الجزائرية، ويمكننا حوصلة نشاطهم في النقاط الآتية:

أ . بذل جهوداً معتبرة لتوحيد الأحزاب الوطنية، حيث التحق ممثلوا المركزيين بالجبهة (يزيد ولحول) والتزم الشيخ الابراهيمي بتأييد الثورة، وأبدى ممثلوا مصالي رغبتهم في التحالف مع الجبهة (مزغنة والشاذلي)، وفي 17 فيفري 1955 توجت الجهود الوحدوية بالمصادقة على ميثاق "جبهة التحرير الجزائرية"، والذي وقع عليه جميع ممثلوا التيارات السياسية الجزائرية([12])، ونص الميثاق على انضواء جميع الهيئات السياسية تحت لواء هذه الجبهة، والعمل بكل الرسائل لتحقيق أهدافها، ومبادئها المتمثلة أساسا في:

1- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير

2- الإيمان بوجوب توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاث: تونس، الجزائر، مراكش.

3- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع واشمل للأقطار المغاربية الثلاث بنظام يوضح، ومسؤوليات تحدد،وتهيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومراكش أن يضعوا أيديهم في يدنا، وان يعملوا معنا على تأسيس هيئة تنتظم الجميع([13]).

ويبدوا أن خلافات كثيرة أدت الى انفراط عقد هذا التحالف، خاصة أمام مراوغات المصاليين، وعدم التوافق على توحيد التوجهات السياسية بين مختلف الأطراف الفاعلة.

ب . توحيد جبهة الكفاح المغاربية سياسياً وعسكرياً، وقد دعمت مبادئ الثورة الجزائرية أفكار الأمير ابن عبد الكريم الخطابي التي كانت تدعوا إلى وحدة المعركة المغاربية، والتقت كذلك مع الاشتراطات المصرية التي ربطت دعمها بتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة، وعملت على إنجاح جهود التنسيق بين المناضلين الجزائريين والمغربيين والتونسيين([14]). وقد عمل الوفد الخارجي على إنجاح مهمة تسليح الثورة اعتمادا على التنسيق المغاربي، فعلى الجبهة الشرقية تعاون المسؤولون الليبيون مع ابن بلة والتونسيين من أجل شراء وتمرير الأسلحة، وتقرر أن تفعل الجبهة الغربية ويتم التنسيق أكثر مع المغربيين، خاصة وأن القضية المغربية عرفت تطورات حاسمة، وكان طموح توحيد الجبهتين عسكريا هدفا استراتيجيا

للثورة الجزائرية، ولهذا اجتمع ممثلو جبهة التحرير الوطني بالقاهرة مع علال الفاسي وعبد الكبير الفاسي في بداية عام 1955، وأكدوا على ضرورة تنسيق العمل المشترك وتفعيل نشاط الجبهتين الوهرانية (الجزائرية) والمغربية، مستغلين في ذلك الدعم المصري بالسلاح وتساهل الأسبان في تمرير الأسلحة([15])، وبعد نجاح المباحثات تم الإعداد لإنشاء جيش تحرير المغرب العربي، وهكذا تجسد حلم المناضلين المغاربة في توحيد المعركة ضد الاستعمار الفرنسي، إذ يذكر بوضياف أن وصول باخرة (دينا) في افريل 1955 جاء في ظرف كانت فيه : "الثورة بالقطرين يحدوها الأمل في مصير وحدوي لشمال إفريقيا"([16]).

وقد كان الأمل في مصير موحد لشمال إفريقيا يدفع بالمسؤولين الجزائريين إلى توحيد المواقف السياسية والجبهات العسكرية، وأثمرت مساعيهم نجاحا سياسيا وعسكريا باهرا، ففي الجانب السياسي كانت مهمة التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم لها صعبة للغاية حتى في الأوساط العربية والمغاربية، خاصة في ظل التعتيم والمنافسة المصالية لتنظيم جبهة التحرير الوطني الجديد، وفضلا عن مساندة جمال عبد الناصر ومحمد بن عبد الكريم الخطابي منح علال الفاسي وصالح ابن يوسف تزكيتهما للجبهة([17]). وانطلاقا من كسب الدعم السياسي لجبهة التحرير الوطني وانتهاء بتبني مواقف مشتركة حقق التوجه الوحدوي للكفاح المشترك نتائج مهمة في مؤتمر باندونغ، إذا كللت الجهود . كما خططت جبهة التحرير الوطني . بإرسال وفد موحد عن أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة ([18])، والقصد من ذلك رفع القضية الجزائرية إلى مصاف قضيتي تونس ومراكش لتأخذ حضها من الحل، وكذا توحيد قضايا المغرب العربي، وقد عبر مؤتمر باندونغ في بلاغه النهائي يوم 24 افريل 1955 عن مساندته لقضايا التحرير في شمال إفريقيا وتأييده لحق تونس والجزائر ومراكش في تقرير المصير وفي الاستقلال، ودعا الحكومة الفرنسية إلى حل القضية حلا سلميا بدون تأجيل ([19])، وعليه فقد جندت جبهة التحرير الوطني مختلف الفعاليات المغاربية والأحزاب الوطنية لخدمة إستراتيجيتها الثورية، وحققت في المرحلة الأولى نتائج مهمة على الصعيد السياسي.

وعلى الصعيد العسكري بعثت الثورة الجزائرية مشروع كفاح عسكري مغاربي، انخرطت فيه جيوش تحرير الأقطار المغاربية الثلاثة، وهو مشروع كان بمثابة حلم سعى لتجسيده الأمير ابن عبد الكريم الخطابي والوفد الخارجي للثورة الجزائرية([20])، وقد تجسد التنسيق بين جيوش حركات التحرير المغاربية في

الميدان، حيث كانت المناطق الحدودية التي تصل الجزائر بتونس والمغرب نقاطا إستراتجية في التواصل، واجتمعت رغبة المناضلين الجزائريين والمغربيين في توحيد جبهتي الريف المغربية ووهران الجزائرية، واللتين باشرتا عملا عسكريا مشتركا بدءا من يوم 2 أكتوبر 1955، حيث أعلن عن تأسس جيش تحرير المغرب العربي، واتخذت منطقة الريف الخاضعة للسيطرة الإسبانية منطلقاً للتزود بالأسلحة وتدريب المجندين وإقامة القواعد الخلفية [21]، كما شكلت منطقة طرابلس قاعدة إمداد متقدمة لمجاهدي المغرب العربي، وعمل بشير القاضي جنبا إلى جنب مع مسؤولي المقاومة التونسية والإخوة الليبيين من أجل توفير السلاح وتدريب المجاهدين وتنسيق العمل الوحدوي المشترك([22])،

وقد حقق هذا التنسيق المغاربي المشترك، وخاصة بين المقاومتين المغربية والجزائرية في بداية أكتوبر عام 1955 نجاحات باهرة، فقد كان لإستراتيجية مغربة الحرب التي تبناها الوفد الخارجي للجبهة نتائج ايجابية على الثورة الجزائرية وعلى الشمال الإفريقي، فقد فتح تجسيد الوحدة العسكرية ميدانيا جبهات عسكرية واسعة، وضرب بقوة الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا، مما جعل فرنسا تبادر إلى رسم سياسة جديدة منحت من خلالها الاستقلال لتونس والمغرب وحددت إستراتيجية جديدة لمحاصرة الثورة الجزائرية، وقد تفطنت جبهة التحرير الوطني لمخاطر هذه السياسة، لكن مساعيها في الدعوة إلى احترام الاتفاقات المبرمة ووحدة الكفاح باءت بالفشل، وعلى الرغم من تجسد الخيارات القطرية وبروز الحكومات الوطنية ظلت جبهة التحرير الوطني متمسكة بالدعوة إلى التنسيق والوحدة وفاءً لعقيدة الوحدة ومشروع الكفاح المشترك[23]

ج . كسب الدعم العربي الاستراتيجي: استعان الوفد الخارجي للجبهة بالدعم المصري المقدم من اجل تسليح وتموين الثورة، وكذا من أجل كسب الموقف العربي لدعم القضية الجزائرية، وقد أعرب الملك السعودي وملك ليبيا عن استعدادهما المبكر لدعم الثورة ماديا وعسكريا، وشرع في تجنيد الجامعة العربية والدول والمنظمات الجماهيرية العربية للتضامن مع القضية الجزائرية، وبذل الوفد الخارجي جهودا معتبرة في تفعيل هذا التضامن، وفي كسب المواقف السياسية لصالح مساندة القضية الجزائرية، وقد مثلت بحق الأقطار العربية العمق الاستراتيجي للثورة الجزائرية، فإضافة إلى صنوف التأييد والمساندة المختلفة اجتهدت هذه الأقطار بشكل جماعي وفردي في مؤازرة القضية الجزائرية على الصعيد الدولي.

د . كسب تأييد الدول الافرو . اسيوية: إدراكا من الوفد الخارجي للجبهة بأهمية كسب الموقف الدولي لصالح قضية الجزائر بذل جهودا جبارة لكسب مساندة الدول الأفروأسيوية، وكانت هذه الدول من قبل خاضعة للاستعمار وتعطف على قضايا التحرر، وقد بدأت تبحث عن تكتل لها يدافع عن قضاياها، واستغل الوفد الخارجي هذه السانحة ليحقق دعما معتبرا لقضيته، فعشية انعقاد مؤتمر باندونغ كثف من نشاطه واتصالاته مع مختلف الدول الفاعلة، وخاصة مصر واندونيسيا والهند، وخطط لتنسيق الموقف وعرض قضية الجزائر في إطارها المغاربي، وذلك لتكون في

مستوى القضيتين التونسية والمغربية، وفعلا توجت الجهود بمباركة مؤتمر باندونغ للمطالب الشرعية لأقطار شمال افريقيا الثلاث، وهو مكسب مهم استفادت منه القضية الجزائرية لتشق طريقها نحو التدويل في الأمم المتحدة، حيث طالبت الكتلة الافرواسيوية رسميا في 26 جويلية 1955 بإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، وشكلت المساندة الافرواسيوية الدعم الأساسي لنصرة قضية الجزائر في هذا المحفل الدولي([24]).

ويبدوا واضحا أن نشاط الوفد الخارجي الذي لم يقتصر على الجانب السياسي نهض بمسؤوليات كبرى في التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم العربي والدولي لها، وقد اهتم بإنجاح إستراتيجية مغربة الحرب من اجل مضايقة الوجود الفرنسي والاستفادة من الدعم اللوجستيكي المغاربي وتوحيد قضايا المغرب العربي الثلاث.

ثالثا. صعوبات المرحلة الأولى:

رغم النجاحات التي حققتها الثورة في مرحلتها الأولى إلا أن صعوبات جمة واجهتها. نذكر منها:

. قلة الإمكانيات المادية: حيث مثل عدم توفر الإمكانيات المادية مشكلا حقيقيا لقيادة الثورة، وخاصة المال وهو عصب حياة الثورة، وقد عالج قادة الثورة هذا المشكل بإمكانياتهم الخاصة، فسخروا أملاكهم الخاصة مثلما فعل ابن بوالعيد وابن طوبال، ولجئوا للاقتراض، حيث اقترض مثلا زيغود مبلغ خمسة عشر ألف فرنك للإنفاق على فرق المجاهدين، وقد بدأت تنتظم مسألة تمويل الجيش والجبهة عن طريق الاشتراكات والتبرعات، وكان الشعب سخيا. كما يؤكد ابن طوبال. في الإنفاق على ثورته([25]).

. مشكلة التسليح والتموين: ظلت مشكلة عدم توفر الأسلحة والتموين تشكل عائقا أمام تفعيل قدرات الجيش وتجنيد المناضلين، وذلك رغم وعود الوفد الخارجي بقرب الفرج، وقد اندلعت الثورة من دون أن تدخل أية قطعة سلاح من الخارج، وكان لابد من انتظار أواخر عام 1954 لتبدأ تتسرب بعض القطع، وكانت وتيرة دخول الأسلحة طيلة عام 1955 بطيئة، وخلال عام 1956 أدخلت شحنات معتبرة، لكنها وجهت لمناطق الحدود والاوراس من دون أن تستفيد منها المناطق الداخلية، ولهذا استمر العمل بمبدأ "خذ سلاحك من عدوك" وتم تحاشي المواجهات المباشرة مع العدو، وقد ساد تذمر بعض القادة من تأخر وصول الأسلحة ومن نقص التموين، وذلك على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها ابن بلة ورفاقه للإيفاء بالتزاماتهم([26]).

. شدة الطوق العسكري الفرنسي الذي شكل خناقا على المجاهدين في بعض المناطق، وخاصة في المنطقة الأولى، ويكفي أن نذكر أن الإدارة الفرنسية جندت كافة طاقاتها لوئد الثورة وهي في المهد، وسارعت للرفع من عدد جنودها في الجزائر، وشنت طوقا شديدا لمحاصرة الاوراس، ومنع انتقال عدوى الثوار الى المناطق الأخرى.

. استشهاد واعتقال عددً من قادة الثورة، حيث استشهد مراد ديدوش ورمضان بن عبدالمالك، واعتقل بيطاط وبن بوالعيد، واضطر ابن مهيدي اثر عجزه عن شن عمليات عسكرية بمنطقة وهران الى دخول التراب المغربي، في حين انشغل بوضياف عن مهمة التنسيق والتسليح بمشاكل تنظيم الجالية الجزائرية في فرنسا، وواجهت ابن بلة والوفد الخارجي صعوبات جمة في توفير الدعم الخارجي للثورة.

. مشكلة المصالية: شكلت معارضة مصالي لجبهة التحرير الوطني ودخوله في صدام معها مشكلة خطيرة، فقد رفض مصالي تأييد جبهة التحرير الوطني وخطط لسحب البساط من تحت قدميها، خاصة من خلال إسراعه بتشكيل "جيش الحركة الوطنية" ودعوة ممثليه في القاهرة للادعاء بأنه هو الذي يقود الثورة، وقد فشلت محاولات الصلح بين الطرفين وأعلنت الحرب التي شملت مناطق النفوذ في فرنسا وفي الجزائر، وخلفت هذه الفتنة كثير من الضحايا، واستغلتها الإدارة الفرنسية لخدمة أهدافها (حركة بلونيس)([27]).

. انعدام التنسيق بين قيادة الثورة: نظرا لاتخاذ مبدأ الاستقلالية في تسيير المناطق واستشهاد واعتقال بعض القادة وشدة الرقابة الفرنسية شهدت الثورة مشكلة تنسيق حقيقية، وقد كان مقررا أن يجتمع قادة الثورة في بداية عام 1955 لتقييم سير المرحلة لكن الاتصال انقطع، ولم يعد بالإمكان لمسؤولي ومجاهدي منطقة ما معرفة ما يحدث في المناطق الأخرى، ونتج عن عدم تنسيق المواقف كثير من البلبلة وعدم وضوح الرؤية، وقد تفطن عبان لأهمية الاتصال والتنسيق بين المناطق وبين قيادة الداخل والخارج واستطاع بجهوده أن يربط الاتصال([28]).

وهكذا يتضح لنا أن هالة التحديات التي واجهتها الثورة كانت كبرى، وأن قيادة الثورة في الداخل والخارج بذلت جهودا معتبرة في مجابهة التحديات وتليين الصعوبات، وبذلك استطاعت الثورة أن تدخل عام 1956 وهي أشد قوة وتلاحما في مجابهة المستعمر.

رابعا. عبان وجهود التنسيق السياسية في الداخل والخارج:

مثل انضمام عبان رمضان لصفوف الثورة في فيفري 1955 وتكليفه بمهمة الإشراف على مدينة الجزائر خطوة مهمة في تاريخ الثورة التحريرية، فبفضل شخصيته الكاريزماتية فرض نفسه كموجه لقيادة الثورة، وبفضل تكوينه السياسي والإيديولوجي أسدى للثورة خدمات جليلة.

فقد قام منذ مباشرة مسؤولياته في مارس 1955 بالدعاية اللازمة للتعريف بحقيقة الثورة وبأهدافها، ففي الوقت الذي كانت الدعاية الفرنسية تبث سمومها والبلبلة سائدة في أوساط المناضلين والشعب انتبه الى ضرورة تحرير بيان توجيهي، هدف من خلاله إلى إيقاظ ضمائر الجزائريين ودعوتهم للالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني، والى هز أركان السلطة الفرنسية، وتضمن البيان التاريخي المؤرخ بيوم فاتح افريل 1955 تأكيدا على شرعية الكفاح الجزائري، ودعوة لجميع الجزائريين لدعم جبهة وجيش التحرير الوطني، وتحذير صريح لكل من يحاول الإضرار بالثورة([29])، وقد صاغ عبان العديد من البيانات الموجهة للرأي العام المحلي

والدولي، ومن أهمها بيان جوان 1955، والذي استهله بالقول: "إن جبهة التحرير الوطني هي عين وأذن جيش التحرير الوطني، على مناضلي الجبهة أن يقوموا بالمستحيل لتسهيل مهمة الجيش على جميع المستويات. إن جمع المعلومات يجب أن يكون هو العمل الأول لكل عنصر في الجبهة. إن أفواجنا المسلحة لا يمكن أن تعمل بنجاح إلا إذا توفرت لها معلومات دقيقة. لذلك فإن عمل البحث عن المعلومات يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع عمل الدعاية اليومي..."([30])، وقد ضمنه توجيهات أخرى لمناضلي جبهة التحرير، منها التأكيد على الطابع الوطني لجبهة التحرير، فهي ليست صورة منسوخة لحركة الانتصار بل هي جبهة وطنية تجمع كافة الطاقات والشرائح، ورد البيان بحزم على سياسة "سوستيل" الإصلاحية، وفضح مفاوضاته مع العناصر المعتدلة ليخلص للتأكيد أن جبهة التحرير الوطني المكافحة وحدها تملك الحق في التكلم باسم الثوار، والى دعوة هذه العناصر (عباس، المركزيين...الخ) للالتحاق بصفوف الثورة([31])، ويبدوا واضحا أن الهدف من البيان كان استقطاب مختلف التوجهات السياسية والفئات الاجتماعية لجبهة التحرير الوطني.

ونهض عبان بمهمة الاتصال بقادة الحركات السياسية والشخصيات الليبرالية الفرنسية، وقد تفاوض مع عباس ومع الشيخ خير الدين والمركزيين وأقنعهم بالالتحاق بجبهة الثورة، وكانت له اتصالات مع المجموعة البرلمانية التي اقتنعت بمبدأ تقديم استقالتها في لفتة احتجاجية، ومع الليبراليين الفرنسيين الذين عملوا من أجل شرح القضية الجزائرية وكسب الدعم لها. وقد توجت جهوده بإنشاء التنظيمات الجماهيرية التي تخدم توجهات الكفاح الوطني، فأعلن عن إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 13 جويلية 1955، وعن الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956، وكذا الإتحاد العام للحرفيين والتجار الجزائريين في 14 سبتمبر 1956، وهذه الإلتحاقات بالجبهة مكنت الثورة من فرض نفسها والاستفادة من جميع الطاقات([32]).

وفي مدينة الجزائر أشرف عبان على إرساء نظام جبهة التحرير الوطني السياسي والعسكري، وبدأ باستقطاب العناصر الفدائية المصالية ثم كلف ياسف سعدي بإنشاء خلايا الفداء، والتي كان لها دور حاسم في إعطاء الهيبة لجبهة التحرير وإرساء تعليماتها، والرد على الأعمال الإجرامية لغلاة المستوطنين، وكانت معركتها الحقيقية تلك التي خاضتها عقب إضراب الثمانية أيام في بداية عام 1957.

ويرجع لعبان فضل ربط الاتصال بين قادة المناطق في الداخل وبين الداخل والخارج، فقد أرسل مبعوثيه الى زيغود صائفة عام 1955، والى قيادة منطقة وهران والاوراس، ووعدهم بقرب انعقاد مؤتمر وطني من أجل تنسيق الكفاح وتوحيده، كما تبادل مراسلات منتظمة مع قيادة الوفد الخارجي بالقاهرة كان لها الفضل في تبادل وجهات النظر وتنسيق المواقف وتوجيه التعليمات

الضرورية([33]). وعلى ضوء هذه الاتصالات صدرت الدعوة لعقد مؤتمر وطني جامع، وتكفل عبان بالتحضير لإنجاح المؤتمر، وخاصة ما تعلق بإعداد أرضية الميثاق التي أخذت منه جهدا ووقتا كبيرين.

الخاتمة:

ومما سبق استعراضه من تطورات عسكرية وسياسية للمرحلة الأولى من الثورة نخلص إلى تسجيل ما يلي:

- إن مجموعات جيش التحرير الوطني الأولى تحملت العبء الأكبر في التأكيد على استمرارية الثورة بعد اندلاعها، فرغم ظروفها التنظيمية وقلة الإمكانيات والسلاح واصلت تنفيذ إستراتيجية عمل ثورية للحفاظ على شعلة الثورة ملتهبة.
- لقد بذلت قيادة الوفد الخارجي جهودا كبرى وهي تعمل من أجل وحدة المعركة في الشمال الإفريقي وكسب الدعم العربي والدولي، وعلى الرغم مما يقال عن تقصير للوفد الخارجي في تأدية مهامه وخاصة مسألة التسليح فإن العمل العلني والسري الذي أنجز ساهم بفعالية في التعريف بالقضية الجزائرية سياسيا، وفي تشكيل تحالف شمال إفريقي موحد في وجه السياسة الفرنسية، وفي إرساء شبكات دعم لوجستيكية أدخلت كميات هائلة من الأسلحة.
- أنه وعلى الرغم من الصعوبات الحقيقية التي اعترضت سبيل الثورة خلال هذه المرحلة توفرت عوامل نجاح كثيرة ساعدت على صمود الثورة، وتعزى أسباب النجاح أساسا إلى عدالة القضية والتفاف الشعب حولها، وتفعيل جهود التنسيق والتواصل بين قيادات الثورة، والتحاق مختلف الأطراف السياسية والمنظمات الاجتماعية بصفوف جبهة التحرير الوطني.
- لقد أدى عبان رمضان بصفته منسقا وطنيا لجبهة التحرير الوطني دورا أساسيا في الإشراف على مدينة الجزائر، وفي تنظيم جبهة التحرير الوطني وكسب الأنصار لها، وفي التنسيق بين قيادات الداخل وبين قيادات الداخل والخارج، وهو أمر أضفى ديناميكية جديدة على تطور الثورة، وجعلها تتحدى المرحلة الصعبة المتمثلة في تثبيت نفسها وتحدي السياسة الفرنسية.

الهوامش:

[1] يمكننا أن نقرأ ملامح هذه السياسة في شهادة بوضياف : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 1999، ص.ص 886.887

[2] انظر بخصوص هذه الإستراتيجية شهادة بن طوبال، حوار مع جريدة **الجمهورية**، الجزائر، عدد يوم 29 مارس 1982، ص 5، وأحسن بومالي: **استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الاولى**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998، ص 67 وما بعدها

[3] انظر شهادة ابن طوبال، جريدة **الجمهورية**، المصدر نفسه، ص5، ومحضر مؤتمر الصومام

[4] خالفة معمري: **عبان رمضان**، ترجمة زينب زخروف، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 205

[5] شهادة بيطاط , Patrick Eveno et Jean Planchais, La guerre dAlgerie Dossier et temoinages , ed , Laphomic , Alger,1990, p 88 – 89

[6] ALLEG Henri et autres;**La Guerre d'Algérie** , ed ,Temps actuels Paris; T2, 1981,p 68

[7] انظر حول الموضوع ما كتبه محمد زروال ومحمد العربي مداسي، محمد زروال: **اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية، الولاية الأولى نموذجا**، منشورات وزارة

[8] انظر علي كافي: **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص . ص 69ـ 80، ومحمد العربي الزبيري: : تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، دار هومة، الجزائر، 2004، ص . ص 42

[9] يحي بوعزيز : **الثورة في الولاية الثالثة**، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص . ص 45 . 49، ومحمد عباس: **ثوار...عظماء**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص . ص 121. 122

[10] شهادة اوعمران، محمد عباس : **المرجع نفسه**، ص . ص 186..188

[11] شهادة ابن علا ، محمد عباس: **فرسان الحرية**، (شهادات تاريخية)، دار هومة، الجزائر، 2003، ص . ص 61.54

12 وقع على الميثاق ممثلون عن جبهة التحرير الوطني وجمعية العلماء المسلمين ومصالي الحاج واللجنة المركزية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

13 انظر فتحي الديب : عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص . ص، 76 .77، 644 . 645، والفضيل الورتلاني : **الجزائر الثائرة**، دار الهدى، عين مليلة، 1992، ص . ص، 219 . 221 .

[14] انظر بتفصيل، مقلاتي عبدالله: عبدالكريم الخطابي والثورة الجزائرية، **المجلة التاريخية المغاربية**، تونس، عدد 132، 2008، ص . ص 36ـ38

[15] انظرا عن هذا الاجتماع وما تمخض عنه، فتحي الديب : **المصدر السابق** , ص 73، وغلاب عبد الكريم : **ملامح من شخصية علال الفاسي**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1974 , ص 143 .

16 أنظر حوار محمد بوضياف : جريدة **الإتحاد الديمقراطي**، المغرب، عدد يوم 1 نوفمبر 1982.

[17] شهادة محمد يزيد المنشورة في ندوة **الدبلوماسية الجزائرية**، نضمها المركز ود ب ح و ث 1954،الجزائر، جوان 1996، منشورات المركز و د ب ح و ث، 1954،الجزائر، 1998، ص .109

[18] انظر رسالة الطيب سليم الى ادريس، الرشيد إدريس : **في طريق الجمهورية**، ط1 دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص، .377

[19] انظر بتفضيل عن مؤتمر باندونغ وقضايا المغرب العربي، جوان غليسبي: **الجزائر الثائرة**، ترجمة خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 143 .

[20] نركز أساسا على شهادة ابن بلة وبوضياف، أنظر، أحمد بن بلة : **مذكرات أحمد بن بلة**، ترجمة العفيف الأخضر، ط2 ، دار الآداب، بيروت، 1979، ص،99 وما بعدها. ومحمد بوضياف، جريدة **الإتحاد الاشتراكي**، عدد 1 نوفمبر 1984.

[20] انظر فتحي الديب: **المصدر السابق** ، ص 100 وما بعدها، وعبد الله الصنهاجي: **مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1986، ص. ص، 160.159

[21]Mohammed LEBJAOUI : **Verité sur le révolution Algerienne** ,ed; Gallimar, Paris, 1970 . P 135

[22] انظر تقرير محمد يزيد عن النشاط الخارجي لجبهة التحرير الوطني ، Mohammed Harbi, **Les Archives de la revolution Algerienne** ,ed, jeune Afrique ,Paris, 1981, p p 172 -174

[23] انظر شهادة ابن طوبال، حوار ، جريدة **الجمهورية**، عدد يوم 29 مارس 1982، ص 5

[24] انظر حول مشكلة التسليح ، احمد ابن بلة: **المصدر السابق**، ص98 وما بعدها، ومقلاتي عبدالله: **دور بلدان المغرب العربي وافريقيا في دعم الثورة الجزائرية**، منشورات وزارة الثقافة، دار السبيل، الجزائر، 2009، ج 1، ص 248 وما بعدها.

[25] انظر عن مشكلة الصراع بين الجبهة ومصالي، حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص. ص 143.127

[26] انظر محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص. ص 45.42

[27] عن نشاط عبان وبياناته انظر، خالفة معمري: **المرجع السابق**، ص 205 وما بعدها

[28] انظر المنشور كاملا، BELHOCINE Mabrouke: **Courier –Alger- le Caire** , **1955-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution** , Casbah ,Alger, 2000 ,p p 88- 89

[29] المصدر نفسه

[30] CHIKH. Slimane, **op cit**, p 243 et après

[31] اغلب الرسائل المتبادلة حفظت في كتاب مبروك بلحوسين _:BELHOCINE Mabrouke **op cit**

التنمية المستدامة للمجتمعات النامية (بين الحتمية والواقع)

د.فكرون السعيد - جامعة المسيلة-الجزائر

مقدمة:

إن كانت هناك سمات لعالمنا ومجتمعاتنا اليوم ، فلعل أهم سمة هي التغير والتحول وسرعة الانتقال من وضع إلى آخر .إن الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي اليوم يختلف بكثير عن الواقع بالأمس ، بحيث يبدوا وكأنه مجرد تاريخ ، ذلك أن سرعة التحول والتغير هائلة جدا فبالرغم من أن التغيرات الاجتماعية تتصف بالبطء ،إلا أن معدلات وقوعها ومدى تفاعلها وتأثيرها بالوحدات الأخرى قد تعني كل ما عرفه ووقف عليه التاريخ البشري في عالمنا هذا .

لقد كان العالم وحتى سنوات قليلة مضت يعيش على التوازن والتنافس القائم على التناقض بين إيديولوجيتين متنافرتين ، ولقد استمر هذا الوضع أربعين سنة من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حين بدى أول مظاهر انهيار إحدى هاتين الإيديولوجيتين وبروز الفكر الرأسمالي الحر بما احتواه من مفاهيم ومتغيرات، اقتصاد السوق،الديمقراطية،حرية المرأة والطفل،حقوق الإنسان...الخ

فاصبح لزاما على المجتمعات النامية باختلاف أوضاعها وقناعتها مسايرة هذه التغيرات والتحولات وفق عناصر اكثر و شمولية ، تهدف إلى وضع هذه المجتمعات في إطار عالمي اختلف في أهدافه و أبعاده ومكوناته عما كان قائما عليه في السابق.

إن البحث عن نموذج تنموي جديد في ظل الظروف الحديثة والمتغيرة ، وفي ظل عالم يتجه يوما بعد آخر إلى التكتل(تكتل نافطا ،الوحدة الأوربية ، شرق آسيا...) اصبح يفرض نفسه اكثر من أي وقت مضى بالنسبة للمجتمعات النامية وذلك حتى يتسنى لها مكانا محترما في عالم جديد تضبطه عناصر وعوامل اقتصادية وسياسية وثقافية جديدة تتصف باللاتجانس واللااتساق في القيم.

لقد اكتسبت مرحلة نهاية القرن العشرين قوة دفع هائلة لم يشهدها التاريخ من قبل وحدثت أحداث وتطورات عالمية ساهمت في ظهور بوادر أولية لنموذج تنموي جديد، ساهمت في تشكيله إلى حد كبير الوقائع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي عايشها العالم بشكل عام ومن أهمها يمكن ذكر مايلي:

1_انتهاء الحرب الباردة بين قطبي النظام العالمي.

2_تزايد التناقضات في المجتمع الدولي بين الاتجاه إلى التكامل (INTEGRATION) من ناحية ، وبين ظهور الانقسام والتشتت (FRAGMONTATION) من ناحية أخرى.

3_زيادة ظاهرة الاعتماد الاقتصادي المتبادل في العلاقات بين الدول ، واتضح ذلك اكثر عندما انعكس دور الدولة كقوة مركزية لصالح الشركات متعددة الجنسيات.

4_بروز ثورة عميقة في المعلومات والاتصالات والتي أعطت للإنسان قدرة كبيرة في التفاعل مع المجتمعات الأخرى.

5_اتساع حجم التكتلات الإقليمية والجهوية والدولية.

6_تبني منظمة الأمم المتحدة لبرنامج الإصلاح الاقتصادي الشامل يعتمد على برنامج خاص لمحاربة الفقر .

7_إزالة الحواجز الجمركية أمام انتقال عناصر الإنتاج.

هذه العوامل أعطت فرصة اكبر للمتغيرات الدولية للتأثير في اقتصاديات دول العالم وخاصة المجتمعات النامية ، وساهمت أيضا في بروز أزمات كان لها التأثير البارز في نوعية العملية التنموية لهذه المجتمعات ، والتي لم تعد تخضع لعوامل داخلية محلية وانما أصبحت تتفاعل بعوامل خارجية ، وما حدث لدول جنوب شرق آسيا سنة 1997 لخير دليل على ذلك [1].

وبالرغم من النظريات والاتجاهات التي جاءت من أجل تفسير وتحليل وإقتراح نموذجا في التنمية ، إلا أنها لم تعد قادرة في الوقت الحاضر على الإجابة على التساؤلات المطروحة على مستوى العالم ككل ، باعتبار أنها لم تعد قادرة على تفهم وإدراك واضح للقضايا الجوهرية والمصيرية التي أصبحت تفرض نفسها يوما بعد آخر.

فإذا كانت المجتمعات النامية تعيش تكوينا اجتماعيا متعدد الأنماط باعتباره سببا ونتيجة لظواهر ما يعرف بالتتاءات الثلاث [2] : **التخلف،التجزئة،التبعية ، الحروب** التي تطبع هذه المجتمعات فلا مناص أن تطرح قضية التنمية من خلال جملة من الأبعاد وفق الحقائق التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولكي نتبنى هذه الرواية الخاصة لا يسمح لنا من التأكد إلا على أن التطور والتقدم ما هو في حقيقة الأمر سوى عملية تفاعلية بين جملة من الاتجاهات والمعارف العلمية ، باعتبار إن المعرفة العلمية هي بالأساس عملية تأثير وتأثر،وبالتالي فان نفي هذه المقاربة المعرفية يعتبر نفيا للمنظور السوسيولوجي الدياليكتيكي لقضية التنمية والفقر بشكل عام.

إننا إذا راجعنا بدقة كل ما حدث خلال العقود القليلة الماضية ، فانه ينبغي الاعتراف بان تقدما اقتصاديا هائلا قد تم لدى 5/1 سكان العالم بينما نجد5/4 سكان العالم ما زالوا يعيشون في أوضاع مزرية ، هذه الأخيرة تشكل محتوى الفكر التنموي الواجب تحديده للمجتمعات النامية (الفقر،التهميش،الإقصاء،الأوبئة،الأمراض.....) ، ولكن إذا اعتبرنا أن هذه الحقائق ماهي في حقيقة الحال سوى نتائج لمحاولة إحداث مقاربة نظرية بين مفهومي التبعية/التحديث ، فانه يجدر الإشارة إلى المستقبل ، هل لهذا التباين في النمو أن يستمر ويزداد في ظل موارد طبيعية مستنزفة ومخاوف بيئية قائمة تهدد منجزات البشرية ومستقبلها؟ هذا اذا علمنا ان 75% من مداخيل التجارة العالمية هي بيد الدول المتقدمة 35 % منها بيد امريكا ولم يبقى للعالم الثالث سوى 25 %.

إن التنمية الحقيقية ليست هي التنمية الاقتصادية فحسب ، فكما هو واضح ان تلك التنمية قد تمت على حساب القاعدة الأساسية للموارد الطبيعية في المجال الحيوي لكرتنا الأرضية ، وهي تنمية لا تنبئ عن تمكنها من تحسين حياة الفرد ، فان ما حدث من نمو وتنمية اقتصادية قد حسن بالفعل من نوعية حياة الملايين من البشر في جميع أنحاء العالم ، ولكن وبعد أن بدأت بوادر انهيار وتدهور قاعدة الموارد الأساسية وبعد أن اكتضت المدن وازداد الإقبال على التوطن في الحضر وصارت الحياة اكثر عرضة للمشاكل والأزمات والأمراض الجديدة والآلام الاجتماعية ، فان مثل هذه التنمية الاقتصادية لم تعد هي الهدف أو الغاية [3] .

إن نموذجا آخر من التنمية اصبح اكثر مقصدا للدارسين والمهتمين،انه ذلك النموذج الذي يهدف الى سعادة الإنسان بتحسين نوعية حياته،ويساعده للتطلع الى الاستقرار والاستمرار،إنها التنمية المستدامة Développement durable.

إن مفهوم التنمية المستدامة ظهر بداية في الولايات المتحدة وهذا في بداية الثمانينات بعد المنعطف الذي أخذته حركة الخضر ، والذي اعترف بمشروعية التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، انطلاقا من عملية البحث على العلاقة بين التنمية والحفاظ على الموارد الطبيعية.

وفي شهر جوان من عام 1990 انعقد **مؤتمر الأرض بريودي جونيرو بالبرازيل**،حيث تم تحديد مفهوم التنمية المستدامة على كونها نموذج تنموي يتطلب على كل بلدان العالم اتباعه ، باعتباره يحقق الحاجات الحالية للمجتمعات بدون أن ترهق مستقبل الأجيال القادمة . واعتبر على انه مفهوم سياسي يتجاوز الاعتبارات الأساسية للسياسات العمومية ويفرض الحفاظ على البيئة ،وهذا على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية (الحفاظ على التنوع الثقافي) [4].

ومن أهم خصائص التنمية المستدامة نذكر مايلي:

1-أنها تنمية تعتبر البعد الزمني أساسي ، فهي تنمية طويلة المدى بالضرورة تعتمد على تقرير إمكانيات الحاضر ويتم التخطيط لها لأطول فترة زمنية مستقبلية يمكن التنبؤ خلالها بالمتغيرات.

2-أنها تراعي حق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية ،وتعمل على الحفاظ عليها.

3-أنها تقوم في المقام الأول على تلبية الاحتياجات الأساسية للناس وخاصة الفقراء (غذاء ، سكن ، عمل ، تعليم.....) ذلك أن المجتمعات الفقيرة في وسط عالم غني هي مجتمعات لا تملك سوى استنزاف مواردها الطبيعية لضمان الحياة وهو ما يهدد سلامة البيئة ، وهذه المجتمعات المحرومة هي معرضة اكثر للفوضى و الثورات.

4-تراعي التنمية المستدامة الحفاظ على المحيط الحيوي في البيئة الطبيعية سواء عناصره ومركباته الأساسية كالهواء الماء ، مصادر الطاقة.....الخ

5-أنها تنمية متكاملة ويعتبر تنمية الجانب البشري من اهتماماتها الأولى لذلك فهي تراعي الحفاظ على القيم الاجتماعية والاستقرار النفسي وحق الفرد والمجتمع في الحرية وممارسة الديمقراطية وفي المساواة والعدل.

6-أنها تحافظ على تعدد العناصر والمركبات المكونة للمنظومات الايكولوجية (الحفاظ على التنوع الوراثي للكائنات الحية بجميع أنواعها).

7-هي تنمية متكاملة تقوم على التنسيق والتكامل بين سياسات استخدام الموارد،واتجاهات الاستثمارات،والاختيار التكنولوجي والشكل المؤسسي،بما يجعلها جميعا تعمل بتناغم وانسجام داخل المنظومات البيئية بما يحافظ عليها،ويحقق التنمية[5].

إن قمة الأرض قد علمت المجتمع الدولي الكثير من الدروس المهمة وعن الكيفية التي يغير بها الأهداف السياسية ، والكيفية التي يحقق بها التعاون الدولي ولكن

كان يجب أن يكون لهذه الدروس مردودها وأثرها في أعمال المتابعة من جانب القمة العالمية للتنمية الاجتماعية [6].

فقد نص القرار الصادر عن الأمم المتحدة على أن هدف" مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة" هو تحديد الأعمال المطلوبة لوقف التدهور البيئي لكوكب الأرض ، وقد ساعد القرار على ضمان عدم الاستقطاب غير الضروري للعملية التالية بين الشمال والجنوب، وفي البداية كان هناك افتراض أساسي بان الدول النامية يجب أن تحصل على التقنيات البيئية المتميزة . أما العقبة الثانية فتمثل وجهة النظر القائلة أن الموارد المالية الجديدة والإضافية يجب أن توجه إلى الدول النامية لضمان مشاركتها الكاملة في الجهود الدولية لحماية البيئة ،وهو ما يعني أن الدول النامية يجب أن يحدد الثمن الذي يريده لهذا (تكلفة حصول المجتمعات النامية على التقنيات التي لا تضر بالبيئة) [7]، **باعتبار إن التقنيات التي لا تضر بالبيئة تعد مرادفا للتقنيات الحديثة.**

يبدو جليا انه لا توجد رؤية واضحة المعالم والأهداف بخصوص علاقة التنمية المستدامة والمجتمعات النامية،حيث يرى الكثير من الباحثين في هذا المجال أن نتيجة **مؤتمر الأرض كان عبارة عن سيناريو يشبه الكابوس يتم من خلاله تشجيع الدول النامية على اتباع النموذج الاقتصادي الصناعي للمجتمعات المتقدمة ،ومنه فرض على المجتمعات النامية جملة من الشروط التي تهدف إلى المشاركة في تخفيض تكاليف التنمية وخاصة في مجال البيئة ، حيث تعتبر المجتمعات النامية مجتمعات استهلاكية بالأساس ، بينما تقوم الدول الصناعية بتطوير تقنياتها لمعالجة أعراضها المرضية ، أما الأموال التي كانت تقدم لمساعدة الدول النامية على اقتناء هذه التقنيات فيما سبق فلن تقدم لها مستقبلا بمبالغ معقولة .**

إن وضع سياسة تنموية جديدة يتطلب في المقام الأول العمل على أيجاد حلول أولية للقضايا المطروحة بالمجتمعات النامية ، والذي لا يمكن الوصول إليها إلا بواسطة العمل على استيعاب كل العناصر التنموية وتفعيلها. كما أن ظهور نموذج صناعي جديد بالمجتمعات النامية اصبح أمرا ليس بالسهل ، ذلك انه يفرض :

1-توجيه ذكي وقوي للقوى التجارية التي تسمح بدفع سرعة التنمية الصناعية.

2-العمل على كبح نجاح النشاط غير المستديم.

3-البحث عن الطريقة السهلة للحصول على افضل المعارف الغربية وتوظيفها في اتجاه جديد.

يتضح مما سبق انه لا يوجد نموذج واضح المعالم والأهداف في مجال التنمية المستدامة وحتى أن مشروع التنمية المستدامة لا يمكن اعتباره نموذج قد يعتني بقضايا التنمية للدول النامية مهما كان مستوى تقدمها وتطورها. ذلك أن المعطيات المادية والاجتماعية التي جاء بها مشروع التنمية المستدامة لا يتوافق كلية مع ما عايشته وتعيشه المجتمعات النامية وقد يبرز ذلك جليا من خلال المساعدات المالية والنقدية التي تقدمها البلدان المتقدمة صناعيا للبلدان النامية والتي لم تصل إلى المستوى المطلوب (حد الكفاف) ، كذلك أن الدول الغنية لم تساعد في خلق علاقات تكامل بقدر ما ساهمت في احتكار المعارف والتجارب.

إن قضية تنمية المجتمعات النامية لم تصل بعد إلى المستوى العقول ذلك أنها في حقيقة الأمر لا تتحقق إلا عن طريق تحمل المسؤوليات وتوفر روح المبادرة ،حتى ولو تأخرت مساعدات الدول المتقدمة ، باعتبار أنها لا تمثل سوى مساهمة بسيطة لجهود المجتمعات النامية.

إن المجتمعات النامية ترجع سبب تخلفها إلى طبيعة الأنظمة المالية والنقدية والتجارية التي تخدم مصالح الدول المتقدمة ، وتتناسى في حقيقة الأمر الأسباب الداخلية لهذه المجتمعات كطبيعة الأنظمة الريعية والحكم الدكتاتوري والذي كان وراء الكثير من الأزمات والفوضى الداخلية كالتهميش والفساد والتبذير وغياب الاستراتيجيات والتي تعتبر بمثابة عوامل مهمة لم تساعد في تبني نموذج تنموي معين ومنه تصبح مشكلة التنمية لا تعد قضية اقتصادية او نقص الموارد المادية ولكن قضية سياسية وأخلاقية تمس طبيعة إنسان المجتمعات النامية بالدرجة الأولى.

الهوامش:

1) – أحمد هاشم اليوشع : البحث في مصادر الأزمة الاقتصادية في دول شرق آسيا ، مجلة شؤون اجتماعية ، جمعية الاجتماعيين، العدد 61 ، الإمرات العربية المتحدة ، الشارقة ، 1999، ص 37.

2)- قيرة إسماعيل و غربي علي : سوسيولوجية التنمية ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية 2001، ص 28.

3)- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي ، تونس 1992 ، ص 11 و12 .

4)- C. BOUNI : L'enjeu des indications du développement , notions , sciences et sociétés, vol 6 (3) , 1998 .

5)- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : التنمية المتواصلة والبيئة في الوطن العربي ، تونس 1992 ، ص 11 و12 .

6)- C. BOUNI : L'enjeu des indications du développement , notions , sciences et sociétés, vol 6 (3) , 1998 .

7)- إنجي كول : خطوات نحو التقدم الاجتماعي في الالفية الجديدة ، المجلة الدولية للعلوم ، العدد 126 ، ديسمبر 1999 اليونسكو .

صناعة الزعيم
(قراءة في العقل الماكيافيلي)

د.إسماعيل نوري الربيعي – جامعة العراق

ملخص:

ماذا تبقى من ماكيافيلي، سؤال يحضر بقوة، لا سيما حين يتم تكرار جملة (الغاية تبرر الوسيلة)، ليكون التفسير قائما على البعد عن الأخلاق، في الوقت الذي يتم فيه تجاهل مشروع السياسي القائم على فن صناعة الزعيم، أكد دارسو ماكيافيلي على مسألة الفصل بين الأخلاق والسياسة، لكن منهجه كان واضحا في ؛ المقدمات والنتائج، السعي إلى الحقيقة، الخبرة والمعرفة، العلاقة بين الأمير والرعية.

المصطلحات الأساسية:

الأمير ،الحاكم، الزعيم، الدولة، نظام الحكم، السلطة ،الدولة الاتحادية، السيطرة

مقدمة:

نيقولا ماكيافيلي Niccolo Machiavelli 1469-1530 سياسي إيطالي ولد في فلورنسا في أسرة عملت في مجال السياسة(نيقولا ماكيافيلي 2002)، توجه نحو الدرس والتحصيل في مجال القانون والأدب الإغريقي، أتاحت له مؤهلاته العمل في المجال السياسي، حيث تحصل على منصب أمين عام تنظيم العلاقات بين المدن الخاضعة لسلطة فلورنسا، وعضوية لجنة العشرة المسؤولة عن الشؤون العسكرية والعلاقات الدبلوماسية ، جرت عليه آراؤه السياسية الليبرالية المزيد من الضغوط ، لا سيما بعد وصول القوى المحافظة للسلطة ، مما حدا به أن يتجه لاعتزال الحياة السياسية والإقامة في الريف.

مثلت آراؤه السياسية صدمة للوسط الفكري، حيث قدم للعالم مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، والذي قام على تمثلات الفصل بين السياسة والأخلاق، مما شكل تصورا مسبقا عن توجهات ورؤى هذا الرجل والذي راح يوصم بالسلبية وسوء الطوية.وعلى الرغم من كتابته للمزيد من النتاجات العلمية والتاريخية إلا أن شهرة كتابه ((الأمير)) غطت على مجمل نتاجه الفكري الآخر، والذي تمثل في كتب (فن الحرب، المباحثات، تاريخ فلورنسا). اكتسب كتاب الأمير أهمية استثنائية في تاريخ الفكر السياسي العالمي لما تضمنه من آراء جريئة وصادمة.

المدركات الذاتية

يقدم ماكيافيلي كتابه إلى لورنزو الذي يدعوه بالعظيم نجل بيارو دي مديشي، مشيرا إلى جملة من المبررات والأهداف ،يضع فيها:

1. دلالة الولاء لصالح الأمير.
2. تقديم خلاصة معرفته بالسياسة.
3. التوكيد على عنصر الخبرة والتجربة الطويلة المباشرة.
4. التركيز على التاريخ باعتبار البحث عن العضة والدرس.

أما المنهجية التي يقترحها ماكيافيلي، فإنها تقوم على الآتي:

1. البحث التاريخي العميق في جلائل الأعمال التي اختطها عظماء التاريخ، سعيا لبلوغ خلاصات ونتائج يمكن الإفادة منها في التجربة السياسية المباشرة.

2. التركيز على اللغة المباشرة الخالية من المحسنات والجمل الطويلة المتداخلة ، فهي محاولة لبلوغ الحقيقة ، بأيسر السبل وأسهلها، من دون تركيب أو تعقيد.

3. الاعتراف الصريح بأن الكتاب يشتمل على نصائح مقدمة إلى الأمراء، ومن هذا لم يغب عليه الإلفات بأن هذا الأمر ليس من باب الغرور ، بقدر ما يقوم على الولاء وتقديم الخبرة والمعرفة.

4. الربط الصارم في العلاقة القائمة بين الأمير والرعية،فالسياسة لا يمكن لها أن تتبلور السمات الرئيسة فيها ما لم تقم على حالة التفاعل بين الطرفين.

ومن واقع الظرف التاريخي الذي أحاط بالمؤلف، فإن رؤاه وتصوراته حول أشكال الحكم، تبقى تدور في الشكل الجمهوري والذي يتخذ نوعا واحدا ، والشكل الملكي الذي يعمد إلى التفصيل فيه، من حيث الوراثة ، أو المملكة الناشئة حديثا، أو الممالك الملحق بحكم ملكي أكبر نفوذا وقوة سياسية.أما بالنسبة للحفاظ على الملك فإن التركيز يقوم على الملكيات الوراثية تلك التي تكتسب طابع القوة والثبات مقارنة بالملكيات الناشئة حديثا. هذا بحساب أن الحكم الوراثي يشكل عاملا داعما لاستمرار الحكم بإزاء توجهات الرعية،تلك التي تسعى نحو التكيف ومضمون الحكم واستمراريته(Najemy 1996) ، والشرعية هنا تبقى بمثابة الحصن الحامي للحكم ، في حالة توفر التزام الحاكم بالرشاد والحكمة والبعد عن استفزاز الرعية، والعمل على كسب حبهم سعيا للخلاص من حال التبدل الذي يطرأ على الحكم، فالتبدل يفتح الطريق إلى التبدل الذي لا ينقطع.

أسباب الاضطراب

تعكس طبيعة الدولة المختلطة، إلى بروز حالة الاضطراب، فالتبدل والتغيير في رأس السلطة يفتح الطريق نحو توسيع أفق الرغبة في الحصول على الاستقرار وتعديل الأوضاع العامة، لكن الاصطدام بالواقع يفسح الطريق أمام ثورة الرعية بحساب المقارنة المباشرة بين السيء والأسوأ(Baron 1961).والتمييز هنا يتم عند مجال تحديد مجال القوة، تلك التي تضيع أهميتها في حال غياب تعاطف السكان معها، والأمر دائما يقوم على حالة المنافع المتوقعة من الحكم الجديد، أما خيبة الأمل فإنها تكون بمثابة المثير والدافع الأبرز لإثارة المشكلات غير المتوقعة.

قد لا يتوقف الأمر عند مجال التبدل المباشر في نظام الحكم على صعيد تغير الحاكم.بل قد تبرز الأحداث عن بروز نموذج الاتحاد، والذي يتجلى من خلال فعل الضم والإلحاق من قبل دولة أقوى على أخرى أضعف.حيث تكون الخطوة الأهم في هذا الفعل وقد استند إلى أهمية القضاء على الأسرة الحاكمة السابقة للدولة التي تم ضمها، مما يعكس حالة من السكون والترقب من قبل السكان، وتبقى مهمة الأمير الجديد تقوم على أهمية إصدار قوانين جديدة في الإدارة وتنظيم الضرائب، بما يتناسب و الدولة الأم التي تمكنت من فرض سيطرتها، بالإضافة إلى أهمية نقل مقر حكمه إلى الأرض الجديدة في سبيل أن يكون قريبا من الأحداث المفاجئة

والاضطرابات التي من الممكن أن تحدث، ومعالجتها بالسرعة الممكنة. وكل هذا لا يمكن أن يتم دون الاستناد إلى استحداث مستعمرات ، يتم لها استجلاب جالية خاصة ، تكون بمثابة القوة المدنية الساعية إلى بث فكرة الخنوع والخضوع لصالح الحاكم الجديد، والتذكير بقوته وسلطانه.حتى يخلص المؤلف إلى فكرة مفادها ((الاحتفاظ بالحاميات بدل الجاليات يكلف الأمير نفقات أكبر تستنزف جميع موارد الدولة))(ماكيافيلي 2002، 63).

تبقى سياسة المحتل حاضرة في فكر ماكيافيلي، حيث الإشارة المباشرة إلى أن الضعفاء من أهل البلاد المحتلة سيقفون إلى جانبه، باعتبار حالة العداء للقوى التي كانت تتحكم بالبلاد، ومن هذا فإن التركيز يبقى على أهمية انتقاء صغار الوجهاء، والذين سيبقون في مدار من الضعف ، حيث الحالة التي لا تسمح لهم بالتفوق وتشكيل تهديدا للحكم الجديد، مما يتيح للمحتل من تعزيز قوته وسيطرته ونفوذه.إنها السياسة التي اختطها الرومان في تعاملهم مع البلاد المفتوحة، حيث ثالوث ؛ (المستعمرات والجاليات والاعتماد على صغار الوجهاء).

الدولة والشر المحدق بها، تلك الفكرة التي تستدعي حضورية المعرفة، سعيا إلى تحديد الشر في سبيل تلافيه، إنها المشاركة بين المتابعة الدقيقة والرقابة الحصيفة والوعي التام بإمكانات البلاد، والتحسب لكل طارئ، مما يولد حسا تنبؤيا، يكون موجهه نحو محاصرة المشكلات والعمل على معالجتها، قبل أن تتفاقم وتتحول إلى إشكال يعسر التعامل معه.إنها المعرفة المتطابقة مع وعي التجربة (Von Vacano 2007)، فالحرب على سبيل المثال حث لا يمكن تجنبه، لكنه قابل للتأجيل، فيما يكون السؤال حول هذا التأجيل، وفائدته، في أي طرف يصب؟ تبرز هنا حدة التكثيف للطبيعة النفسية والغريزة البشرية في الوصف الذي يعتمده المؤلف، حيث التركيز على ثنائية(القادر والعاجز)، وعقد المقارنة المباشرة في الثناء الذي يحظى به القادر والناجح واللوم والتقريع الذي يناله المخذول والخسران.وفي هذا فإنه يستدعي نماذج التاريخ الحاضرة بوصفها أدلة لا يمكن الخروج من سطوتها ، إنها المحاولة الأولية نحو ترسيم معالم تاريخ عالمي عبر بوابة معياري الفشل والنجاح، هذا الذي يبقى متسيدا على فكر ماكيافيلي.بل أن تحديد معالم النماذج في سهولة الاحتلال وصعوبته بالنسبة للبعض من الكيانات السياسية المعاصرة له، تبقى حاضرة في تمثلاته المباشرة للنموذج العثماني على سبيل المثال، محددا عسر مهمة احتلالها عبر تمييز معالم القوى السياسية والاجتماعية السائدة، بل أن خارطة العلاقات تبرز لديه بوضوح ملفت، استنادا إلى الآتي:

1. قوة المكانة التي يتحلى بها أمراء البيت العثماني.

2. صعوبة قيام ثورة شعبية، باعتبار أن طبيعة العلاقة القائمة بين السلطان والرعية تقوم على تمثيل يقوم على حد زعم المؤلف بـ (العبودية).

3. استحالة الاعتماد على القوى الخاضعة في قيادة أمر التبديل والتغيير.

4. يبقى الأمل معقودا على أسرة السلطان العثماني في التغيير، لكن القضاء على المتآمرين يبقى أمرا ممكنا وميسرا بحكم الرقابة والسيطرة المباشرة.

بالمقابل يتم تقديم النموذج الفرنسي بوصفه قابلا وبيسر للاحتلال ، وبناء على المعطيات التي يطرحها وفق النسق التالي:

1. إمكانية التواصل مع أحد النبلاء، ما يمثلونه من مركز قوة في المملكة الفرنسية.

2. حالة الرفض والتنافس القائم لدى النبلاء والطموحات الشخصية في سبيل الوصول على قمة هرم السلطة.

3. تعدد مراكز القوى ، يمكن أن تكون بمثابة المفتاح ، للتفاهم مع القوى الأجنبية، وتسهيل مهمة التغيير، بغية الانفتاح على تفاهمات لاحقة.

4. يبقى أمر السيطرة على نموذج كالفرنسي، يقوم على تعددية مراكز القوى، صعبا ومريرا، إذ تبقى القيادات القادرة على تأجيج الثورات قائمة بشكل لا يعرف الانقطاع أو التوقف.

السبيل إلى السيطرة

مفهوم السلطة لدى ماكيافيلي، يبقى يدور في فلك الهيمنة المباشرة على الرغم من الخيارات التي يقدمها، وبالقدر الذي يحاول فيه التملص وبدهاء ملفت حول المواجهات المحتملة بين الأمير ورعيته، فإن الحسبة المنهجية ، تكون وقد اتخذت مسارها الخارجي، حيث يتم اختيار نموذج خارجي قوامه السيطرة على شعب أو بلد آخر، وما على الأمير القيام به.واضعا خياراته الثلاثة، والتي لا تخرج عن قوام ، تجريد الآخر من كل قوة محتملة، أو السعي إلى إقامة الأمير في مناطق التوتر بغية المباشرة بالعلاج السريع للمشكلات الناشبة(Ingersoll 1968)، أو الاكتفاء بأخذ الجزية باعتبار دلالة الولاء دون المس بالقوانين والأعراف السائدة.ولكن تبقى مسألة الضمانات التي يبحث عنها السياسي، في سبيل السعي إلى فرض السلطان والهيمنة، ليكون التوجه نحو التبشير بالسيطرة استنادا إلى إرساء منطق المواجهة المباشرة بين طرفي العلاقة، (اهدم أو تكون أنت عرضة للتهديم)(ميكافيلي 2002، 77) ، فمن يتعرض للاحتلال لابد أن يسعى لنيل استقلاله وحريته باعتبار استدعاء الأعراف والتقاليد والمفاهيم الأساسية السائدة.وإذا أراد الأمير تسهيل مهمة الهيمنة فإن السبيل الأهم في هذا يمر عبر بوابة((مزقهم شر ممزق، وفرقهم في كل صقيع)) فالفرقة والتقسيم ستكون بمثابة الوسيلة التي تضعف إرادة الشعب المحتل في اختيار الزعامة القادرة على قيادة التحدي، ولا يغيب عن خاطر المؤلف التوقف عند النموذج الجمهوري والذي لا يتردد عن وصفه بالحيوي والتمسك بالحرية، وعليه فإن نصيحته التي يقدمها لمواجهتها تقوم على خيارين لا ثالث فيها، حيث التدمير التام أو الإقامة المباشرة فيها وإحكام السيطرة والمراقبة عليها.

مشاكل النظام الجديد

بين التنظير والتنفيذ يتبدى عنصر الفشل بثقله على الواقع، وهذا ما يواجه المصلح صاحب الرؤية الجديدة، تلك العلاقة المتداخلة بين أصحاب المصالح القديمة، والذين يمثلون نذر الخطر الداهم ، وخور العزيمة والتردد الذي يغلب على الأنصار والأتباع الجدد، والخوف من الأعداء، والمبرر الذي يستند إليه المؤلف يقوم على فرضية(شكيّة الجنس البشري في كل ما هو جديد، إذ أن الإنسان لا يؤمن بالجديد، إلا بعد أن يختبره اختبارا علميا وحقيقيا)(ميكافيلي 2002، 82) . إنها العلاقة التي يترسمها حول العلاقة بين النموذج الإصلاحي الجديد والاعتماد على القوة سعيا إلى النجاح ونأيا عن الفشل، فالمصلح يتعرض إلى الهجوم من قبل

الرافضين والأعداء، فيما يكون أنصاره في أشد حالات الخور والضعف، ومن هذا يكون عرضة لمداهمة الخطر. وما بين الرجاء والقوة تبقى القدرة على تنفيذ الإصلاح رهنا بإرادة القوة. ((وهكذا أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلحين قد احتلوا وانتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلحين)) (ميكافيلي 2002، 82).إنه المبحث الساعي نحو تحليل الذهنية المحركة للمجتمعات والشعوب، حيث الاختلاف القائم ، وطريقة السعي نحو طرح الأفكار وإقناع الشعوب بها. لكن هذا الاقتناع يبقى في غاية العسر، ومن هذا يتبدى مبدأ القسر والفرض والإرغام، في سبيل الحصول على احترام الناس للأفكار الجديدة.

النظام الممنوح من الآخرين

فرصة الوصول إلى سدة الحكم ، قد تتوفر لصالح أحد أفراد الرعية من عامة الشعب، لكن هذه الفرصة تبقى مرهونة بطبيعة التحديات الكبيرة التي يواجهها الحاكم الجديد.ولعل المفارقة تكمن في ظهور المشكلات لا في بداية الحكم ، بقدر ما تظهر عندما يتم ثبات الحكم وظهور ملامحه، لتظهر الاعتراضات والتي تمس دائما شرعية الحاكم الجديد. النوع الآخر من الأنظمة يقوم على بروز حالة المساعدة من الآخرين، حين تقدم دولة إلى إقامة دولة جديدة عن طريق التحالفات السياسية، أو عن طريق شراء العلاقة بالمال. ذلك النموذج الذي يقى يعاني وبشكل دائم من عدم الاستقرار والفوضى والاضطراب(Mattingly 1958)، هذا بحساب انعدام القدرة في المحافظة على السلطة، باعتبار أن الوضع الذي باتوا فيه ، لا يؤهلهم لمواجهة التحديات، بحساب ((النقص الفاضح في معرفة طريقة الحكم)) تلك المعرفة التي يجعل منها ماكيافيلي بمثابة المفتاح الأصل في العلاقة الساعية للمحافظة على السلطة بالنسبة للنظام الجديد.، ليضيف إليها عوامل لاحقة من نوع؛ الحاجة إلى قوات داعمة تمتاز بالوفاء والإخلاص، لكن طبيعة النشأة السريعة ، تجعل منها عرضة للأخطار واحتمال النهاية السريعة.

الوضيع حين يصل إلى سدة الحكم

يربط ماكيافيلي بين السلطة و الأصول الأخلاقية وليس الطبقية للحاكم، ليعمد إلى تحميلها المزيد من الشرور والمخاطر، مستندا في هذا إلى الشواهد التاريخية التي يستحضرها بمثابة الدليل على صدق مقولته.إنه الترصد للشر والقسوة البالغة التي يتميز بها الرجل الطموح في سبيل بلوغه أعلى المراتب السياسية.، فيما يكون الصعود وكأنه الغاية القصوى والهدف الأسمى في نظر الطامح، حتى وإن مارس العنف البالغ، موجها جل قواه نحو الإفلات من معونة الآخرين، وساعيا بكل ما يستطيع للخلاص من تبعات الدستور، والذي يمثل قيدا يجب الإفلات منه، إنه الغدر الذي يميز مجمل الفعاليات المصاحبة للعهود والوعود ، بل وحتى المناقشات مع الأطراف المقابلة.وهي الخطى الطامحة من دون التفكير بالعواقب(Parel 1972)، وهكذا يكون النزاع الداخلي سمة لحكم الوضيع، الساعي نحو تحقيق الانتصار وبأي ثمن.العلاقة القائمة بين الوضيع والسلطة بحسب ماكيافيلي، تقوم على التناقض الفاضح الذي يستشعره الوضيع، حتى لتقض عليه مضجعه، ومن هذا فإن توجهاته القصوى تقوم على تكريس روح المغامرة، والتطلع نحو خلق المشكلات ولا ضير من اصطناع التهديدات والمخاطر، الوضيع هنا يتم تلخيص صفاته الرئيسة في ؛ قتل مواطنيه، خيانة أصدقائه، عدم احترامه للعهود والمواثيق، عدم تمسكه بدين أو عقيدة. تلك السمات قد توصل صاحبها إلى ما يروم ولكنها تبقى بمثابة اللعنة ((قد يصل المرء إلى السلطان، ولكنه لن يصل إلى المجد))

(ميكافيلي 2002، 98). تبرز روح الإدانة من قبل ماكيافيلي لنموذج الوضيع ، بل أن الصورة النمطية التي شكلها جمهور المتلقين حول ماكيافيلي بوصفه مفكرا براغماتيا لايقيم للأخلاق وزنا، سرعان ما تتهاوى ، بفعل روح العاطفة الملفتة للنظر، التي يقوم عليها المبحث المتعلق بالوضيع والسلطة.

الحكم المدني

الوصول إلى سدة الحكم بوصفها تجربة تقوم على التنوع، حيث يتم ترصد المزيد من الأنواع، فيما تكون أساليب الوصول إليها لا تعتمد فقط على القدرة والكفاءة بقدر ما يحتل المكر مساحته الواسعة في طريقة الوصول.لكن الداعم والراعي يقوم على طرفين، الأول ويتمثل في النبلاء الذين يعمدون إلى اختيار أحدهم وإيصاله إلى منصب الإمارة، في سبيل مواجهة قوة الشعب وضغوطه، إنها المحاولة الساعية لفرض النفوذ والهيمنة، داخل المصالح الواحدة، لكن هذا النوع من الإمارة يبقى رهنا بإرادة النبلاء، الذين يشعرون بفضلهم على الأمير، ومن هنا يتبدى عنصر العجز لديه، في عملية التوفيق، بين الرغبات والغايات التي تعن على مجموع النبلاء، حتى يكون احتفاظه بسلطته في غاية العسر والصعوبة(Soll 2005).أما بالنسبة للأمير الذي يرقى إلى الإمارة بمساعدة الشعب، فإن الغاية الأصل فيها تقوم على محاولة الشعب للإفلات من هيمنة وطغيان النبلاء أصحاب المصالح الكبرى.إنها الرغبة بالحصول على الحماية عن طريق السلطة من البطش وتنامي قوة المتنفذين الساعين إلى الاستغلال، وهكذا يكون الأمير المنتخب من قبل الشعب في موقع أقوى وأكثر رصانة، حيث تخف المنافسة، فيما تكون مساحة العدالة أوسع في سبيل الحصول على رضا الشعب، ومن هذا تكون الخلاصة التي يضعها المؤلف؛ ((إن هدف الشعب أنبل من أهداف النبلاء، فهؤلاء يريدون أن يظلموا، وأولئك يريدون مجرد وقاية أنفسهم من ظلم الآخرين)) (ميكافيلي 2002، 104).

القانون والقوة

((القوانين توجد حيث تتوفر الأسلحة القوية)) (ميكافيلي 2002، 117). القوة التي يترصدها المؤلف تقوم على قدرة الأمير في التوفيق بين قواعد الدفاع والهجوم بصورة متوازنة، أما في حال فقدان هذا التوازن فإن المآل لن يكون سوى الخراب والدمار.ويبقى السؤال عن الحفز والتحريك، فمن ذا الذي يؤثر بمن ؟ ومن يكون له التوجيه والقدرة على الحسم؟، فالتجارب التاريخية تفصح عن توجه البعض من الأمراء إلى إعداد الجيش الخاص والذي يكون قوامه من المرتزقة ، تلك القوة التي يقوم ماكيافيلي بتعداد مساؤها، ما بين الخطورة ، وتهديد الاستقرار، والانقسام، والطموحات البعيدة عن النظام، والنكث بالمواثيق والعهود، وادعاء الشجاعة في السلم والجبن في الحروب، عدم مراعاة دين أو حرمات، وفقدان الولاء، والعبء الثقيل الذي تمثله على الأمير(Strauss 1978). القوة التي يترصدها المؤلف تبقى مرهونة بكفاءة الأمير وقدرته على المبادرة، فالقيادة لا بد أن تكون بيد الأمير، وعلى الجمهوريات اختيار قادتها من بين أبنائها لا من الغرباء، لكن الأهم في كل هذا يبقى مقترنا بتحديد صلاحيات القائد من خلال القانون. ((فتجارب

التاريخ تشير إلى أن الأمير المسلح هو القادر على تحقيق التقدم))(ميكافيلي 2002، 120).

الاستعانة بالأجنبي

لا يختلف وضع جيش المرتزقة عن الاستعانة بالقوات الأجنبية في سبيل تحقيق البعض من الأهداف، فالخطر الداهم يبقى دائم الحضور((إذا خسرت فأنت المهزوم، وإذا انتصرت، فقد غدوت أسيرها)) (ميكافيلي 2002، 125). هما الخياران اللذان لا يستبان منهما سوى المرارة والخذلان باعتبار الخضوع لسيطرة الأجنبي. وتبقى مسألة الاستعانة بالأجنبي تقوم على سيطرة الأجنبي، تلك السيطرة التي تكون عواقبها أشد خطورة من تداعيات الاعتماد على المرتزقة، هذا بحساب اتحاد تلك القوات وولائها لصالح قوة أخرى ، مما يعني الدمار العام والشامل.والأمير الحصيف الذي يسعى إلى التروي والتعقل عليه أن يرضى بخسارة المعركة، بدلا من الحصول على انتصار يحققه له الآخرون، الذي يطالبون بحقوق وامتيازات ، تجعله يتحسر أيام القوة السابقة.

بين المديح واللوم

في المسعى الذي يميز تطلعات الإنسان نحو ارتباطه بالصفات الحميدة، تبرز حالة من التداخل في التوفيق بين الشجاعة الكرم والفروسية والنيل والسماحة والإيثار، ومحاولة البعد عن صفات الشح والمكر والبخل والأنانية، وبين المديح واللوم يبقى الأمير يعيش حالة السعي نحو التحلي بالفضائل ، لكن الواقع يبقى يفصح عن الطبيعة الإنسانية ، ومن هذا تتبدى أهمية مسعى الأمير إلى البعد عن الفضائح، تلك التي تكون بمثابة الوسيلة التي يوجهها المناوئون والمعارضون لحكمه ، في سبيل التشهير به ، والنيل منه.فالكمال أمر عسير بلوغه كونه يتقاطع والطبيعة الإنسانية، وعلى الأمير أن يعي بما يتطابق وملكاته وإمكاناته، التي تؤهله للإمارة الناجحة والمتماسكة(Seung 1993).فالسخاء على سبيل المثال قد يتحول من فضيلة إلى رذيلة في حال تمسك الأمير بهذه الصفة، فقد يعمد إلى التضحية بالمزيد من الفضائل في سبيل تعميق هذه الدالة ، والتي قد تحوله إلى فارض للضرائب الثقيلة ، وربما يقوم بالابتزاز، أو قد يقدم خدماته لصالح فئة صغيرة على حساب الأغلبية، مما ينجم عنه تصاعد الاعتراض من قبل الشعب، وتحول عاطفتهم نحوه إلى كراهية. والبعد عن التوصيفات الجاهزة ، تأتي من خلال العمل والوقت، بل أن الأمير يستطيع القيام بالمزيد من المشاريع من دون أن يعمد إلى إثقال شعبه بالضرائب. فمن ينفق من أموال الآخرين يكون في منأى عن المخاطر، في حين أن الإنفاق المباشر من الأموال الخاصة قد تجعل من الأمير عرضة للخطر((ومن الأفضل أن تكون بخيلا، فهذا يعرضك للتحقير دون الكراهية، على أن تكون مرغما أن تصبح لصا سلابا، مما يعرضك للتحقير والكراهية معا)) (ميكافيلي 2002، 141)، إنها الإشارة إلى البحث عن أخف الأضرار، من خلال التمعن العميق في العلاقات التي يفرزها الواقع، من دون التطلع إلى ركوب الصورة المثالية، والتي قد تكلف الأمير حكمه.

بين الرحمة والقسوة

لا يتردد ماكيافيلي من الوقوف إلى جانب الرحمة في سياسة الأمير، لكنه يستدرك حول أهمية استعمالها، فالقسوة تأتي بالنظام والوحدة انطلاقا من القراءة التاريخية لمجمل التجارب السياسية التي يستقرؤها.بل أن المسعى نحو الوحدة

والولاء تكون فيها القسوة في أشد الحالات رأفة إذا ما قورنت بالرقة والتردد، تلك التي ينجم عنها الفوضى والاضطراب وسفك الدماء.
السؤال المركزي هنا يقوم على ((إذا كان من الأفضل أن تكون محبوبا، أكثر من أن تكون مهابا))(ميكافيلي 2002، 143) . لتكون الإشارة إلى أهمية تفضيل الخوف على المحبة، هذا بحساب حالة التقلب التي تميز النفس البشرية، فالناس تحاول تجنب الخطر، والأمير الذي يركن إلى وعود الناس يعرض مستقبله السياسي إلى الخطر، فالمتزلفون إلى الحكم لا يتورعون عن النكث بالعهود إذا ما أحسوا بالخطر الذي يداهم الأمير، والانفضاض من حوله، بل أن الإساءة تكون سهلة من قبل الناس تجاه الأمير المحبوب، في حين يتردد الناس ألف مرة في توجيه الإساءة نحو الأمير الذي يخافون.
في وسع الأمير تجنب الكراهية، حين يتعامل مع الرعية بما ينسجم ومصالحهم، ودون التعرض لما يملكون((من السهل على الإنسان أن ينسى وفاة والده، ولكن من العسير أن ينسى ضياع إرثه وممتلكاته))(ميكافيلي 2002، 145) . والطريق نحو وحدة الإمارة وتنظيمها وقدرتها على أداء الواجب ، إنما يمر عبر بوابة الصرامة التي يتحلى بها الأمير.((فالناس يحبون تبعا لأهوائهم، ويخافون وفقا لأهواء الأمير))(ميكافيلي 2002، 146).

الحفاظ على العهود

الصدق والشرف والنبل، ثالوث يقدمه ماكيافيلي كتمهيد للفكرة الصادمة التي يستنتجها من تجارب العصر، حيث الإشارة إلى أن الأمراء البارزين في التاريخ، ما بلغوا أرفع المناصب إلا عن طريق؛ نكث العهود، الاعتماد على المكر والخديعة، الضحك على عقول الناس، الانتصار على الأمراء المخلصين والأوفياء.إنها الفصل بين الطبيعة الإنسانية التي تتلازم مع القانون(Pocock)، والطبيعة الحيوانية التي تميزها القوة.وعلى الأمير أن يعي جيدا، أهمية التوفيق بين الطبيعتين. فالحفاظ على العهد إذا كان مآله يؤدي إلى الإضرار بمصالح الأمير، فإن الأجدر يقوم على نكث العهد، والمسوغ للتنكر يمكن أن يتم تقديمه عبر المزيد من المبررات، وللأمير أن يقدم نفسه ؛عطوفا رحوما، حافظا للعهد، إنسانيا نبيلا، مخلصا، متدينا، ولكن إن استدعت الظروف أن يقدم الأمير نفسه عكس ذلك، فلا ضير . إنه الحرص على التظاهر(Sydney 2005)، من خلال محاولة التأثير في الناس ((الناس يحكمون بعيونهم أكثر من أيديهم)). وعلى الأمير أن يعي جيدا معادل القوة والنفوذ، والتي تتبدى في ؛ رأي الكثير يطغى على رأي القليل من الناس، والقليل سيعاني من التردد بحساب ((إن الغاية تبرر الواسطة)) (ميكافيلي 2002، 150) ، والعامة تدهشهم المظاهر، فيما يكون رأي النخبة معزولا عن الناس.
بين الاحتقار والمهابة ، يقف الأمير على معترك الطريق، حيث أهمية تمسكه بقراراته، والناس تخشى التآمر على صاحب السمعة المتسمة بالقوة والصرامة، حتى أن هيبة الحكم وسلطة القانون، تجعل من المتآمر في أشد حالات التردد، بل أن الأصدقاء يتحلقون حول الأمير الذي يحظى بالسلاح والقوة، مقرونا برضا الشعب وعدم دفعه إلى درجة اليأس.

الأعمال الكبيرة

يترصد ماكيافيلي نموذج فرديناند ملك أراغون وأسبانيا، الذي وجه الحكام نحو الانشغال بالحروب فيما كان مسعاه نحو تركيز القوة، السياسية والدينية ،

((وتحت ستار الدين، عمد إلى الاضطهاد الديني، فطرد العرب من مملكته، وسلبهم كل ما يملكون، وليس هناك من مثل أتعس ولا أكثر شذوذا من هذا))(ميكافيلي 2002، 151) . وهنا تبرز مدى الإدانة التي ينهجها ماكيافيلي للمؤسسة الكنسية وطريقة تحالفاتها مع المؤسسة السياسية والعسكرية، التعاسة والشذوذ هيأت لأمير تستر بالديانة المسيحية، للقضاء والتنكيل بمجموعة بشرية ، كان لها الدور التاريخي البارز وعلى مدى ثمانية قرون في التفاعل الحضاري الحي النتاج الإنساني ،إنه الترصد لشغف الأمير بالحصول على النتائج، في سبيل تركيز مجال الاستقرار الداخلي وإدهاش رعيته.فيما يتصدر الحسم موضوعة الأمير ، إذ عليه أن يكون صديقا مخلصا أو عدوا لدودا بعيدا عن الحياد في العلاقات الدولية.فيما يكون من المهم نأي الأمير عن الدخول في قضية مع إمارة أخرى بالضد من إمارة ثالثة. أما على الصعيد الداخلي فإن الرعاية للخبرات والكفاءات تحتل مكانة وأهمية استثنائية في فكر ماكيافيلي، الذي يؤكد على ضرورة الاهتمام بالمبدعين، وتشجيع التجارة والزراعة، وإشغال الرعية بالأعياد والمناسبات، والتقرب إلى النقابات والطبقات، مقدما الجلال والوقار كسمة أساسية في الحكم.

أنواع العقول

في ترصد طريف يوغر ماكيافيلي في قراءته للعقل البشري، حين يقسمه إلى ثلاثة أنواع ؛ عقل لا يحتاج مساعدة، ويدعوه بالممتاز، وعقل يحتاج المساعدة وهو جيد، وثالث لا يقوم على المساعدة أو بدونها وهذا لا جدوى منه. وتمييز حكمة الأمير تتم عن طريق طبيعة اختياره لوزرائه. الذين ترتبط أهميتهم بمدى ولائهم وارتباطهم بالأمير، وبالمقابل فإن ولاء الوزير ينبع من مدى تقديم الأمير ؛ المال، والتكريم، والعطف، والشرف، والمسؤولية.إنها العلاقة التقابلية، القائمة على الثقة والولاء والتشريف.إنه البحث عن الحكمة ، تلك التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الحرية والصراحة، ولكن في الموضوعات التي يسأل عنها الأمير فقط، كي يكون توجيه التفكير بطريقة الأمير لا بطريقة المستشار، إنها علاقة الصراحة والإخلاص، والتي ينتج عنها إصدار القرارات التي لا تقبل التراجع(ميكافيلي 2002، 175). والنصح والإرشاد يبقى رهنا بإرادة الأمير، بعيدا عن النصائح المجانية التي يسعى الكثير إلى إسدائها تحت مسمى الولاء والإخلاص.

الناس والرفاهية

الحاضر أكثر أهمية من الماضي، فالناس تفكر في أحوالها المباشرة ، ومن يضمن لهم الازدهار والرفاهية والعيش المستقر، يحصل على الولاء والطاعة والدفاع عنه. إنها المعادلة التي يفرضها الواقع المباشر، حيث سعي الناس إلى الحياة المستقرة المزدهرة ، والتي تضمن لهم الأمن والاقتصاد الفعال والدولة الناظمة الحاكمة المستقرة.ولكن تبقى التوازنات التي تحدثها النخب ومدى تأثيرها في الحياة السياسية، حيث أهمية سعي الأمير إلى ضمان ولاء العامة من الشعب والنخب.فالحكم لا يقوم على التواكل بقدر ما يستند إلى التفكير الجاد بالتحولات والطوارئ والقادمات من الأيام (Whelan 2004). سبيل الحكم لدى ماكيافيلي يقوم على المقدرة الشخصية ، هي ولا غيرها ، مفتاح الفشل والنجاح في السياسة والحكم.

الهوامش:

1. نيقولو مكيافللي،(2002) الأمير، ترجمة خيري حماد، تقديم كريستيان غاوس، تعليق بنيتو موسوليني،ط 24، بيروت ، دار الآفاق الجديدة.

2. Baron, Hans,(1961) Machiavelli: the Republican Citizen and Author of The Prince(pp 217-253)". English Historical Review lxxvi (76)

3. Ingersoll, David E(1968)"The Constant Prince: Private Interests and Public Goals in Michiavelli".(pp 588-596) Western Political Quarterly (21) (December 1968).

4. Mattingly, Garrett,(1958) Machiavelli's Prince: Political Science or Political Satire?".(pp 482-491) The American Scholar (27) , (Autumn 1958).

5. Najemy, John M(1996), "Baron's Mach iavelli and Renaissance Republicanism".(pp 119-129) American Historical Review. (101,1)

6. . Parel, Anthony ,(1972) "Introduction: Machiavelli's Method and His Interpreters". The Political Calculus: Essays on Machiavelli's Philosophy(pp. 3–28). Toronto .

7. Pocock, J.G. A.(no year). The Machiavellian Moment: Florentine Political Thought and the Atlantic Republican Tradition.(p91) Princeton..

8. . Seung, T.K.(1993). Intuition and Construction: The Foundation of Normative Theory,(pp133-43) New Haven: Yale University Press.

9. . Soll, Jacob,(Publishing)(2005)The Prince: History, Reading and the Birth of Political Criticism.(p32) University of Michigan Press.

10. Strauss, . Leo.(1978) Thoughts on Machiavelli(p63). Chicago: University of Chicago Press.

11. Sydney, Anglo,(2005) Machiavelli - the First Century: Studies in Enthusiasm, Hostility, and Irrelevance,(p29) Oxford University Press.

. 12. von Vacano, Diego ,(2007) "The Art of Power:Machiavelli, etzsche and the Making of Aesthetic Political Theory9p37)," Lanham MD: Lexington.

13. Whelan, Frederick,(2004) Hume and Machiavelli Political Realism and Liberal Thought(p62). Lexington.

الإصلاحات الجامعية بين النظرية وواقع الممارسة

"مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي –ل.م.د-أنموذجا".

أ. بتقة ليلى- جامعة المسيلة-الجزائر

الملخص:

الجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات للوصول إلى مرتبة (منظمة متعلمة)شهدت العديد من الإصلاحات آخرها مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي"ل.م.د" 2004-2005الذي يهدف إلى تقديم تكوين نوعي لضمان إدماج مهني أحسن وكذا انفتاح الجامعة على العالم الخارجي وهذا إيمانا منها بالدراسات التي تؤكد ارتباط نوعية التعليم بالنجاح في الحياة العامة والاستفادة من الفرص التي يتيحها المجتمع .

فمن خلال هذا المقال أحاول الإجابة على التساؤل المطروح من خلال إجراء نظرة تحليلية للإصلاح الجامعي وبالتحديد مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" والمتمثل في :هل الإصلاحات الجامعية وبالتحديد مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد حقق الهدف الذي من أجله وجد وساهم فعلا في تحقيق نقلة نوعية للجامعة الجزائرية من خلال البدائل التي جاء بها لحل الأزمة التي تعانيها هذه الجامعة ؟

مقدمة:

الجامعة هذه المؤسسة التي أثارت ومازالت تثير الكثير من الجدل عن دورها ومكانتها في المجتمع فمنهم من حاول إقصاءها حين جعلها في أبراج عاجية بعيدة كل البعد عن المجتمع وهذا بحجة قدسية وحرمة هذه المؤسسة وأن مايجري بداخلها ومن يقومون عليها هم نخبة المجتمع وهناك من فتح الجامعة على مصراعيها لكل متغيرات المجتمع حتى أصبحنا لا نفرق بين الجامعة والمجتمع فكلاهما واحد فنجد مثلا كل ما يحدث في المجتمع يحدث في الجامعة وما مظاهر الشغب والعنف والفساد إلا نموذج عن هذا النوع من التصور لكن هناك مدخل آخر يتناول الجامعة من خلال قيادتها للمجتمع وفعلها فيه ذلك أن مسألة الارتباط والتفاعل بين الجامعة والمجتمع أصبحت إحدى المؤشرات الأساسية لتقدم أو تخلف مجتمع من المجتمعات هذا التفاعل الذي أنشأ لنا ما يعرف اليوم بمجتمع المعرفة أو مجتمع التعلم فلم تعد الجامعة اليوم مجرد مؤسسة للبحث والتأطير بل تعد إحدى المحركات الأساسية للتنمية المستدامة بشقيها الاجتماعي والاقتصادي والتي لا تتحقق إلاّ بفضل تنمية العنصر البشري.

ولذلك فقطاع التعليم العالي يحظى باهتمام متزايد في معظم المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء لدوره الرائد والفعال إن فعلا استغل كما ينبغي وأخذ بعين الاعتبار التغيرات والتحولات التي يمر بها المجتمع وانطلاقا من أن مساعي التغيير والإصلاح من السنن المؤكدة في حياة المجتمع وأنساقه ومؤسساته فإن محاولات التطوير والتحديث في المنظومة التعليمية الجامعية ضرورة تقتضيها بل تفرضها ما يضطرب به المجتمع من تحولات داخلية ومتغيرات خارجية والتي أفرزت العديد من النظريات والتوجهات الفكرية التي تنشد الإصلاح والتغيير لمواكبة التطور الحاصل والارتقاء بالجامعة من مؤسسة علمية مخرجاتها مجموعة من الأرقام إلى منظمة متعلمة تسعى إلى توفير فرص التعلم المستمر واستخدامه في تحقيق الأهداف وربط أداء الفرد بالمنظمة وتشجيع البحث والحوار والمشاركة والإبداع كمصدر للطاقة والقدرات والتجديد والتفاعل مع البيئة أي أنها منظمة تسهم في التنمية الشاملة للفرد من خلال تحقيق الأسس التي صاغها "دايلور":"تعلم لتعرف،تعلم لتعمل،تعلم لتتعايش مع الآخرين".

والجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات للوصول إلى هذه المرتبة (منظمة متعلمة)شهدت العديد من الإصلاحات آخرها مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي"ل.م.د" 2004-2005الذي يهدف إلى تقديم تكوين نوعي لضمان إدماج مهني أحسن وكذا انفتاح الجامعة على العالم الخارجي وهذا إيمانا منها بالدراسات التي تؤكد ارتباط نوعية التعليم بالنجاح في الحياة العامة والاستفادة من الفرص التي يتيحها المجتمع وكذا الاندماج في المجتمع بل هناك دراسات أثبتت وجود علاقة قوية بين التحصيل العلمي والبطالة والدخل في كل بلاد العالم المتقدم وهذا انطلاقا من وجود علاقة بين المؤهلات والمشاركة في سوق العمل والدخل والعكس صحيح .

إذن النقاش لا يدور حول هل نصلح أولا ذلك أنه كما أشرنا سابقا أنّ الإصلاح ضرورة وسنة من سنن التغيير بل النقاش يدور حول مضمون الإصلاح لهذا من خلال إجراء نظرة تحليلية للإصلاح الجامعي وبالتحديد مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" نطرح التساؤل التالي :هل الإصلاحات الجامعية وبالتحديد مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد حقق الهدف الذي من أجله وجد ؟

فمن خلال هذا المقال أحاول الإجابة على التساؤل المطروح من خلال ربط نوعية التعليم التي جاء بها الإصلاح الجامعي والتي تحدد نوعية المخرجات وأيضا من خلال توضيح الفرق بين الجامعة كمفهوم تقليدي والجامعة كمنظمة متعلمة ودور الإصلاحات الجامعية في الانتقال من المفهوم التقليدي للجامعة إلى المفهوم الحديث لها لنتطرق بعدها إلى تحليل مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث

العلمي"ل.م.د" والتطرق إلى البدائل التي يطرحها هذا النظام لحل الأزمة التي تعانيها الجامعة الجزائرية وهل نجح في تحقيق هذه النقلة النوعية؟.

➢ تمهيد:

قبل الشروع في مضمون الدراسة يجب تحديد الفرق بين المفهوم الكلاسيكي للجامعة والمفهوم الحديث لها حتى نستطيع الحكم على الإصلاحات الجامعية خاصة "مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي –ل.م.د- " هل فعلا حققت النقلة النوعية للجامعة الجزائرية أي ما يعرف اليوم بالمنظمة المتعلمة أو العكس.

1-مفهوم الجامعة:

في هذه الدراسة ننتقل من التعريف الكلاسيكي للجامعة الذي يضعها في إطار تاريخي جامد يمنعها من التجدد والانفتاح على المجتمع وينظر لها من باب أنها مؤسسة تعمل في إطار اختصاصها لها الحق في منح شهادات تتعلق بميادين الدراسة فيها .

وهذا إيمانا منا من أن الجامعة"ليست خارج الكيان الاجتماعي العام لأي عصر بل داخلها وليست شيئا منعزلا وليست شيئا تاريخيا لا يكاد يتأثر بالقوى والمؤثرات الجديدة إنما تعبر عن العصر كما أنها عامل له أثره في الحاضر والمستقبل"[1] .

إلى النظرة الحديثة للجامعة بكونها منظمة متعلمة والتي تعني:"بأنها المنظمة التي طورت القدرة على التكيف والتغير المستمر لأن جميع أعضائها يقومون بدور فاعل في تحديد وحل القضايا المختلفة المرتبطة بالعمل. "[2]

وتبحث منظمات التعلم وتشارك وتتصرف بشكل مستمر من خلال تعلم الأفراد والجماعات فيها وتسهل ثقافة التعلم التي تتضمن المعتقدات والسلوكيات والافتراضات والاتجاهات نحو عملية التعلم المستمر .[3]

كما ينظر إلى منظمة التعلم على أنها نوع من النظام الذي يشجع على التحول من خلال عملية التعلم.[4]

بالإضافة إلى أنها المنظمة التي يعمل المنتسبين إليها على جميع المستويات الفردية والجماعية لزيادة قدراتهم للوصول إلى النتائج التي يهتمون في الواقع بتحقيقها.[5]

ويتطلب بناء منظمات التعلم جهودا مستدامة وهادفة وهذا يحتاج إلى تبني أنظمة للتفكير تتصف بالشمولية والتكامل يتم تصميمها وتطويرها وإدامتها بشكل

مستمر من خلال الرؤية والقيم والاتصالات واختبار السياسات والهيكل التنظيمي والأساليب والإجراءات للتأكد من مدى انسجامها وملاءمتها.[6]

من التعاريف السابقة نرى أنّ الجامعة كمنظمة متعلمة تسعى بشكل مستمر لأن تكون وسط حيوي يتفاعل فيه الجميع من أجل:

- زيادة قدراتهم للوصول إلى النتائج التي يهتمون في الواقع بتحقيقها أي الربط بين مقررات الجامعة ومتطلبات سوق العمل.

-القدرة على التكيف والتغير المستمر .

-ترسيخ وتسهيل ثقافة التعلم التي تتضمن المعتقدات والسلوكيات والافتراضات والاتجاهات نحو عملية التعلم المستمر.

-تشجيع التعلم والتعاون والحوار والاعتراف بالتداخل بين الأفراد والجامعة والبيئة الخارجية .

-وبالنظر إلى مفهوم الجامعة كمنظمة متعلمة نجده يتوافق مع الهدف من وراء مشاريع الإصلاح والمتمثل في :[7]

أ-تقديم تكوين نوعي لضمان إدماج مهني أحسن.

ب-التكوين للجميع وعلى مدى الحياة.

ج-انفتاح الجامعة على العالم .

2-مراحل تطور إصلاح التعليم العالي في الجزائر:

2-1:المرحلة الأولى :1962-1970مرحلة التسيير التلقائي:

عرفت هذه المرحلة انعدام الإطارات العربية حيث حاولت الحكومة الجزائرية إيجاد نوع من التوافق بين الجامعة المفرنسة وبين بعض التخصصات الوطنية الجديدة فعلى العموم هذه المرحلة جاءت بهدف توسيع التعليم الجامعي وإجراء بعض الإصلاحات وإنشاء بعض الفروع المعربة إلا أن البرامج المقررة والهياكل الإدارية لم تتغير كليا.[8]

2-2-المرحلة الثانية:1970-1977مرحلة الشروع في الإصلاحات:

وتبدأ هذه المرحلة من سنة 1971 وهو العام الذي يتم فيه إنشاء الوزارة المتخصصة للتعليم العالي والبحث العلمي وإصلاح التعليم العالي لذا تسمى هذه المرحلة بمرحلة ما بعد الإصلاح الجامعي أين شرع في تنفيذ خطة إصلاح التعليم العالي ابتداء من العام الدراسي (1971-1972) على مستوى البنية القاعدية والتأطير والمناهج الدراسية ومختلف البرامج الاجتماعية والثقافية وذلك لإتاحة الفرصة

أمام أكبرعدد من الطلاب لبلوغ الأطوار العليا من نظام التعليم وقد تم وضع هذا الإصلاح الجامعي في ظروف خاصة تتصف بنوع من الاستعجال الذي يجد ما يبرره تاريخيا في ضرورة العمل بسرعة وإتقان لبلوغ الأهداف المسطرة حيث أن الإصلاح الجامعي 1971 كان القصد منه السماح للجامعة بتكوين الإطارات التي تحتاجها البلاد في التنمية وبأقل التكاليف الممكنة مع السهر على نوعية التعليم وذلك من خلال إلغاء السنة الإعدادية في جميع الجامعات والمدارس العليا وزيادة السنوات الدراسية في بعض التخصصات العلمية وأيضا إلغاء الامتحانات السنوية وتعويضها بامتحانات نصف السنوية واعتماد نظام المراقبة المستمرة للمعارف بالإضافة إلى تحويل جميع المناهج الدراسية في الجامعات والمدارس العليا إلى نظام الوحدات وإدخال مفاهيم بيداغوجية جديدة كالقياس(وحدة تعليم تشمل مجموعة متجانسة من المعارف النظرية والعلمية) كما كان الإصلاح يطمح إلى تحقيق ديمقراطية التعليم والتي تعني حسب نصوص الإصلاح ضرورة تجنب السقوط في التعليم الإنتقائي المفرط في التنظير الذي تحتكره نخبة اجتماعية متميزة.[9]

2-3-المرحلةالثالثة:1978-1989 مرحلة إعادة النظر واستمرار الإصلاحات:

وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الخريطة الجامعية والتي ظهرت عام 1983 في صورة أولية ثم عدلت عد ذلك عام 1984 بأكثر دقة وتفصيل وتهدف إلى تخطيط التعليم الجامعي إلى آفاق سنة 2000 حتى يستجيب إلى احتياجات الاقتصاد الوطني بقطاعاته المختلفة وتحديدها من أجل العمل على توفيرها وتعديل التوازن من حيث توجيه الطلبة إلى التخصصات التي يحتاجها سوق العمل الوطنية كالتخصصات التكنولوجية والحد من توجه الطلبة يفوق احتياج الاقتصاد الوطني كما تم تحويل المراكز الجامعية إلى معاهد وطنية وتحويل معاهد الطب إلى معاهد وطنية مستقلة مع المحافظة على سبع جامعات كبرى فقط غير أن الإصلاح في هذه الفترة قد أفرز بعض السلبيات كالانفجار العددي للطلبة والذي نجم عنه نمو غير متناسق في التسيير وضعف التحكم في الهياكل البيداغوجية وفي استعمال سلك المدرسين وعجزا في التأطير بالإضافة إلى التعليم غير الملائم والمحتوى الضعيف للتكوين خاصة فيما يتعلق بالأعمال التطبيقية والتدريبات الميدانية التي لم تكن لها علاقة وثيقة بالتشغيل وقد أوضح تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي حول هذا الشأن أن مستوى التأطير في التعليم العالي انخفض كما ونوعا خلال هذه الفترة فعلى مستوى نوعية المؤطرين لوحظ نقص في عدد الأساتذة المتحصلين على شهادات ما بعد التدرج (محاضرون وأساتذة) وذلك مقارنة مع عدد الطلبة المسجلين وأما على مستوى الكم فقد انخفضت نسبة

التأطير إلى معدل أستاذ واحد لكل 96 طالب عام 1985 كما أن التعليم المقرر في السنوات الأخيرة من الطور الثانوي لم يعد ملائما في خطوطه العريضة للتعليم المقرر في الأطوار الأولى من التعليم العالي وفي هاته المرحلة حدثت عدة محاولات للإصلاح الجامعي وذلك بإدخال تعديلات على مستوى التدرج والتقييم وفتح شعب جديدة للتكوين وكان من نتائجها انطلاقة ديناميكية شملت التفكير ثم إعداد النصوص الخاصة بالتعليم العالي وتم اتخاذ القرارات الخاصة بإنشاء أجهزة للتشاور والتنسيق بين القطاعات لتطوير العلاقة بين التكوين والتشغيل خاصة في الميادين العلمية والتكنولوجية والتسييرية باعتبارها الإطار القانوني التطبيقي الذي يساعد على بعث التشاور وإعداد القدرات التي تضمن تنسيقا أكبر فيما يخص التعليم العالي ولكن رغم كل الإجراءات التي أدخلت فإن النقائص كثيرة ولا تزال قائمة ويجب تداركها وخاصة التدهور الخطير لنوعية التعليم الجامعي والكم الهائل للطلبة والنمو العشوائي للهياكل ونظام التسيير.[10]

2-4-المرحلة الرابعة:مرحلة الانفتاح والاستجابة للتأثيرات الخارجية 1990-1999:

رغم النتائج المحققة من الإجراءات الإصلاحية في الفترات السالفة الذكر إلا أنها أفرزت بعض السلبيات فنتج عنه انفجار عددي إلى عدم التناسق في التسيير وضعف التحكم في الهياكل البيداغوجية وعجز في التأطير إضافة إلى ذلك فإنّ الجامعة الجزائرية لم يكن من الممكن أن تنعزل عن مؤثرات وضغوطات التوجه الاقتصادي الذي أملته جملة من الظروف الداخلية والخارجية.

وما ميز هذه المرحلة هو استمرار التطور فيما يخص المعطيات الكمية المتعلقة بإعداد الطلبة وأعضاء هيئة التدريس وكذا الهياكل الجامعية ومنذ عام 1994 ضبطت استراتيجية جديدة من قبل الوزارة المعنية أساسها منح استقلالية أكبر لمؤسسات التعليم العالي لممارسة مختلف النشاطات التي ينبغي أن تكون مطابقة للمتطلبات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للبلاد في ظل تطور التكنولوجيا والمعرفة الانسانية وقد شكلت لهذا الغرض ست لجان وثلاث فرق عمل من طرف وزير التعليم العالي في 29 نوفمبر 1994 ويناير 1995 على التوالي أوكلت لها مهام تحضير إصلاح المنظومة التعليمية في سياق يشمل تطابق المنظومة التعليمية مع متطلبات اقتصاد السوق.[11]

وفي هذه المرحلة بدت معالم السياسة الإصلاحية لقطاع التعليم العالي بإتباع نظام الكليات.

2-5-المرحلة الخامسة من 1999 إلى يومنا هذا:

نظرا للإختلالات التي عرفها القطاع في هذه الفترة في مجال التأطير والتكوين والتسيير فقد تم اعتماد هيكلة جديدة تمثلت في تطبيق إصلاح جديد في 2004-2005 عرف باسم نظام "ل.م.د"(ليسانس.ماستر.دكتوراه) وقد تم تطبيقه تقريبا على كل المراكز والتخصصات على مستوى الوطن .

3-مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي –ل.م.د-أنموذجا ومدى تحقيقه للنقلة النوعية للجامعة الجزائرية.

3-1-لمحة عن نظام "ل.م.د":

يعتمد نظام "ل.م.د" في هيكلته على ثلاث مراحل مثلما تدل عليه التسمية وفيمايلي شرح مبسط لهذا النظام:[12]

مثلما سبق ذكره هناك ثلاث مراحل في نظام "ل.م.د" كل مرحلة تتوج بشهادة جامعية:

-مرحلة أولى:ويقصد بها شهادة البكالوريا +3 وتتوج بشهادة الليسانس .

-مرحلة ثانية: ويقصد بها شهادة البكالوريا+5 وتتوج بشهادة الماستر.

-مرحلة ثالثة: ويقصد بها شهادة البكالوريا+8 وتتوج بشهادة الدكتوراه .

وفي كل مرحلة من هذه المراحل تنظم المسارات الدراسية فيشكل وحدات تعليم تجمع في سداسيات لكل مرحلة حيث يكون الانتقال سداسي وتتميز وحدة التعليم بكونها قابلة للاحتفاظ والتحويل وهذا يعني أنّ الحصول عليها يكون نهائيا ويمكن استعماله في مسار تكويني آخر يمكن هذا الاحتفاظ وهذا التحويل من فتح معابر بين مختلف المسارات التكوينية ويخلق حركية لدى الطلبة الذين بإمكانهم متابعة الدراسة في مسار تكويني جامعي ناتج عن اختيارهم هم .

كما أن نظام ل.م.د يحتوي على ثلاثة مبادئ وهي:

الرسمله(capitalisation)، الحركية (mobilité)والوضوحية.(lisibilité)

الرسمله تعني أن الوحدات الدراسية المكتسبة لا مجال لإعادتها حتى لو تم تحويل الطالب من مؤسسة لأخرى، و تمكنه من تحويل رصيده (القروض) عندما يغادر مؤسسته الأصلية.

الحركية (mobilité)تمكن الطالب أو الطالبة من تحويل ملفه البيداغوجي وتسجيله في أي مؤسسة جامعية في الجزائر أو خارجها. الوضوحية (lisibilité)تمكن لسوق العمل أن يقارن بسهولة شهادات -ل م د -في إطار التشغيل .

تهدف مسارات شهادة الليسانس والماستر أساسا إلى إكساب معارف ومهارات لازمة لكل من التأهيل لمهنة ما وبحوزته تكوينا مزدوجا ففي هذا الإطار هناك مسارين للتكوين أحدهما يهتم بالمسار البحثي الأكاديمي والثاني تكوين مهني يسمح لصاحبها بالاندماج المباشر في عالم الشغل وتحدد برامجها بالتشاور الوطيد مع القطاع المشغل ، والشكل التالي يوضح هيكلة نظام –ل.م.د- أو ما يعرف بهندسة نظام ل.م.د :

هندسة نظـــــام ل.م.د

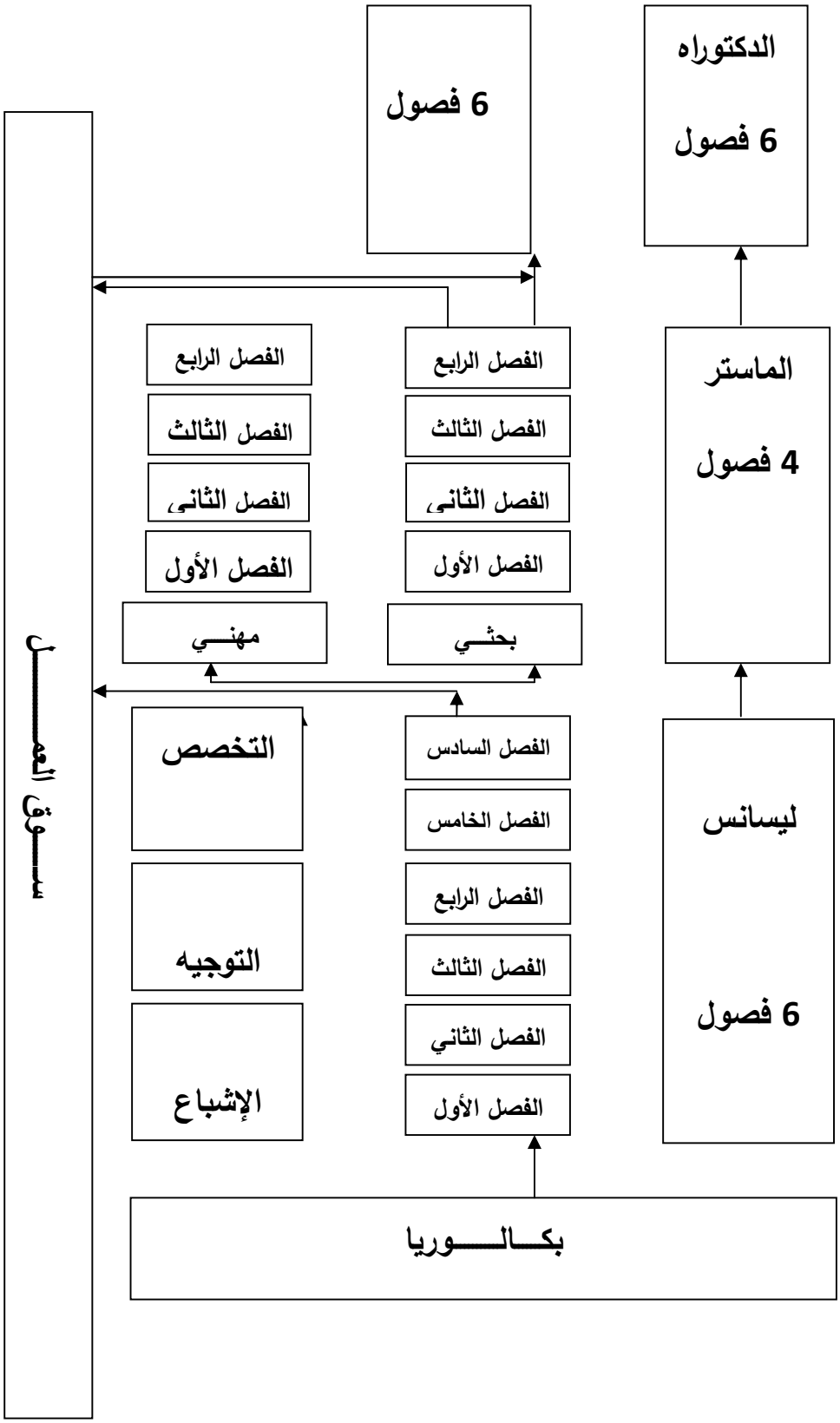

فالقصد من هذا الإصلاح وضع هيكلة جديدة ترمي إلى:[13]

-ضمان تكوين نوعي من خلال الاستجابة للطلب الاجتماعي المشروع على التعليم العالي.

-تحقيق تناغم حقيقي مع المحيط السوسيو اقتصادي عبر تطوير كل التفاعلات الممكنة ما بين الجامعة وعالم الشغل .

-تطوير آليات التكيف المستمر مع تطورات المهن .

-تدعيم المهمة الثقافية للجامعة من خلال ترقية القيم العالمية لا سيما منها تلك المتعلقة بالتسامح واحترام الغير في إطار قواعد أخلاقيات المهنة الجامعية وآدابها.

-تشجيع التبادل والتعاون الدوليين وتنويعهما .

-التفتح أكثر على التطورات العالمية خاصة تلك المتعلقة بالعلوم والتكنولوجيا .

-التفتح والتنافسية اللتان أصبحتا تميزان أنظمة التعليم العالي حيث تستأثر الأنظمة الأكثر نجاعة باستقطاب أفضل الكفاءات والاستفادة من خدماتها .

-إنشاء فضاءات جامعية إقليمية ودولية (فضاء مغاربي،أورومتوسطي...) تسهل حركية الطلبة والأساتذة والباحثين من مختلف الأقطار ومن ثم تشجيع التبادلات العلمية والتكنولوجية والثقافية على مستوى التعليم والبحث .

3-2-مدى نجاعة نظام "ل.م.د" في تحقيقه للأهداف المسطرة التي جاء بها:

في هذا الجزء نحاول تحليل نظام" ل.م.د" من خلال الإجابة عن التساؤل التالي:

هل مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد ساهم فعلا في إحداث نقلة نوعية للجامعة الجزائرية ؟.

نحن سابقا ربطنا الانتقال النوعي للجامعة الجزائرية من المفهوم الكلاسيكي لها إلى المفهوم الحديث-منظمة متعلمة- بمدى نجاعة الجامعة في تحقيق:

أ-تقديم تكوين نوعي لضمان إدماج مهني أحسن.

ب-التكوين للجميع وعلى مدى الحياة.

ج-انفتاح الجامعة على العالم .

فمما سبق وجدنا أن نظام "ل.م.د" نظام مرن ومتفتح يتيح للجميع وفي كل أطوار الحياة مهما تنوعت المستويات والدوافع المعبر عنها الفرصة للشروع في تكوين ما أو إتمامه أثناء أو بعد فترة مقدرة في عالم الشغل ويمكن الحصول على نفس الشهادة بطرق مختلفة التكوين الأولي أو التكوين المستمر أو التكوين بواسطة التدريب أو المصادقة على محاصيل التجربة.

فمن الجانب النظري يمكن القول أنّ ماجاء به نظام "ل.م.د" يحقق المؤشرات الثلاث التي تعتبر كمقياس للمفهوم الحديث للجامعة والتي حددناها سابقا .

- فبالنسبة للمؤشر الأول:

الذي يفرض أنه حتى يكون مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد نجح فعلا في الانتقال النوعي للجامعة يجب عليه أولا أن :

-أن تقدم الجامعة من خلال هذا النظام تكوينا نوعيا لضمان إدماج مهني أحسن .
ولهذا نجد أن نظام "ل.م.د" قد سعى لتحقيق هذا الشرط من خلال :
-مضمون هذا النظام الذي يرتكز على رؤية أكثر انسجاما بخصوص توفير التكوينات تكون هذه العروض على شكل "مجالات" وتنظم في شكل مسارات نموذجية .
ففيما يخص مجالات التكوين نجد أن العرض الجديد للتكوينات منظم داخل مجالات كبيرة ويعد المجال عبارة عن تجمع تخصصات عدة على شكل مجموعة منسجمة من ناحية المنافذ المهنية التي تؤدي إليها - والتي كانت تعرف سابقا بالشعب- ضمن كل مجال تعرف بعض المسارات النموذجية التي هي عبارة عن تخصصات أو اختيارات منسجمة مع وحدات التعليم التي تحددها الفرق البيداغوجية على أساس هدف معين ويتم اعتماده من طرف الوصاية وبإمكان مختلف المسارات المعروضة أن تحتوي على تمهيدات لمختلف الاختصاصات وكل تخصص يحضر لمهنة ما كما تمكن من جهة توجيه الطالب توجيها تدريجيا حسب مشروعه المهني أو الشخصي والأخذ بعين الاعتبار من جهة أخرى تنوع الجمهور وحاجياته ومحفزاته .
بالإضافة إلى أن الدروس تنظم على شكل وحدات للتعليم وهي عبارة عن مجموعات للتعليم منظمة بطريقة بيداغوجية منسجمة وحسب منطق الانتقال بهدف بلوغ كفاءات ملموسة تقدم هذه الوحدات في مدة قدرها ستة أشهر وتنقسم إلى ثلاث أنواع الأولى تسمى بالوحدة الأساسية (تشمل المواد الأساسية لمواصلة الدراسة في الشعبة المعنية)والثانية بالوحدة الاستكشافية(تشمل المواد التي تمكن من توسيع الأفق المعارفي للطالب وتفتح له منافذ أخرى في حالة توجيهه)والوحدة الثالثة هي وحدة التعليم الأفقية(تجمع مواد تعليم كاللغات والإعلام الآلي وتكنولوجيات الإعلام والإتصال التي تسمح بتوفير أدوات ضرورية لاكتساب ثقافة عامة وتقنيات منهجية تسهل الاندماج والتكييف المهنيين مع محيط يتغير باستمرار).

وبالرجوع إلى مبادئ هذا النظام نجد مبدأ الوضوحية (lisibilité) الذي يمكن لسوق العمل أن يقارن بسهولة شهادات الأ ل م د في إطار التشغيل .

وهذا مما يعني أنّ هذا النظام بتقديمه لتكوين نوعي يضمن إدماج مهني أحسن ذلك أن هذا التكوين قد روعي فيه متطلبات البيئة الخارجية وبالتحديد سوق العمل لهذا نجد أنّ هذا النظام من خلال عروض التكوين يكتسي إما توجها أكاديميا أو مهنيا بينما يرتكز عرض التكوين في الماستر بشكل قوي على مخابر البحث التابعة للجامعة وتنقسم بدورها إلى أكاديمية ومهنية أي أن الشرط الأول قد تحقق.

- لما نرجع للشرط الثاني والمتمثل في أنّه:

- حتى يكون مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد نجح فعلا في الانتقال النوعي للجامعة يجب أن تقدم الجامعة -من خلال هذا النظام- التكوين للجميع وعلى مدى الحياة.

دائما من خلال تحليل محتوى هذا النظام نجد أنه نظام مرن متفتح يتيح للجميع وفي كل أطوار الحياة مهما تنوعت المستويات والدوافع المعبر عنها الفرصة للشروع في تكوين ما أو إتمامه أثناء أو بعد فترة مقدرة في عالم الشغل ويمكن الحصول على نفس الشهادة بطرق مختلفة التكوين الأولي أو التكوين المستمر أو التكوين بواسطة التدريب أو المصادقة على محاصيل التجربة.

ومنه فالشرط الثاني أيضا قد تحقق.

- أما فيما يخص الشرط الثالث والذي مفاده :

حتى يكون مشروع إصلاح التعليم العالي والبحث العلمي "ل.م.د" قد نجح فعلا في الانتقال النوعي للجامعة يجب أن تنفتح الجامعة -من خلال هذا النظام- على العالم .

أيضا من خلال تحليل مضمون هذا الإصلاح نجد أنّه قد حاول الخروج بالجامعة من المحلية إلى العالمية من خلال :

اعتماد الجامعة الجزائرية لنفس النظام القائم في الدول الأوروبية والذي وضع خصيصا لتسهيل الانتقال من دولة لأخرى وذلك أنّ وحدة التعليم قابلة للاحتفاظ والتحويل وهذا يعني أن الحصول عليها يكون نهائيا ويمكن استعماله في مسار تكويني آخر.

وهو مضمون المبدأ الثاني للنظام والمتمثل في:

الحركية (mobilité) التي تمكن الطالب أو الطالبة من تحويل ملفه البيداغوجي وتسجيله في أي مؤسسة جامعية في الجزائر أو خارجها.

والهدف من وراء هذا المبدأ هو إنشاء جامعة جديدة تتسم بالحيوية والعصرنة في استماع لمحيطها ومتفتحة على العالم .

وبهذا يكون هذا الشرط أيضا قد تحقق إذن يمكن القول –نظريا-من خلال تحليل مضمون

هذا الإصلاح المتمثل في نظام "ل.م.د" أنه قد ساهم فعلا في إحداث نقلة نوعية للجامعة الجزائرية.

➢ لكن بالنظر إلى واقع الجامعة الجزائرية الحالي مع تطبيق هذا النظام وبعد تخرج الدفعات الأولى في ظله لا يوحي بأن هذا النظام قد حقق فعلا الأهداف التي وجد من أجلها كإصلاح بل بالعكس قد زاد الأمر سوءا والشاهد الأمور التالية:

- الإضرابات التي شلت جل الجامعات الجزائرية عند تطبيق هذا النظام.
- المستوى العلمي للطلبة بقي مراوحا لمكانه ولم يتحسن.

إذن السؤال المطروح مالعائق الذي يحول دون هذا النظام لأن يحقق الأهداف التي من أجلها وجد خاصة بعد تحليلنا لمضمونه من الناحية النظرية ؟

والإجابة تكمن في النقاط التالية:

✓ أولا- يتطلب النظام"ل.م.د" إمكانات هامة من حيث التجهيز والتأطير والتي لم تراع عند تطبيقه فكان الأجدر هو إيجاد مرحلة عبور بين النظام القديم والنظام الجديد تتم فيها إعداد وتأهيل إطارات الجامعة-من خلال الدورات التكوينية والتربصات والملتقيات...الخ- لاستعاب هذا النظام من ناحية التدريس والتقييم وهذا انطلاقا من أن فاقد الشيء لا يعطيه فكيف ننتظر نجاح هذا النظام والقائم على تطبيقه جاهل به بالإضافة إلى تجهيز الجامعة بما يخدم هذه المرحلة.

✓ ثانيا- عروض التكوين خاصة المهنية منها يجب أن تتم بواسطة شراكة حقيقية مع القطاع المستعمل أي أن مخرجات الجامعة يجب أن تكون متماشية مع متطلبات سوق العمل وهذا الذي يغيب عن الجامعة الجزائرية-عنصر الشراكة-.

✓ ثالثا- مضمون النظام غير واضح ومفهوم عند الطلبة وبالتالي يجب شرح وتوضيح النظام للطلبة بشكل ميسر يسمح لهم بفهم النظام وبالتالي التأقلم معه ذلك أن الغموض الذي أحاط بالنظام هو السبب الرئيس في اضراب الطلبة واحتجاجهم عن هذا النظام فالجاهل بالشيء لا يقدره.

خاتمـــــة:

الجامعة لن تحدث التغيير ولن تستطيع قيادة المجتمع إلا بعودتها إلى وظيفتها الأصلية والانتقال من مرحلة الكم إلى الكيف أي لا تكون مجرد حاضنة ومخرجة لمجموعة من الأرقام ولكن إلى كفاءات فاعلة وواعية وأيضا النظر إلى الطالب على أنه شريك حقيقي في عملية التنمية والنهوض بالجامعة وبالتالي بالمجتمع وليس مجرد متلقي لمادة تعليمية معينة أي باختصار أن تنتقل الجامعة من المفهوم الكلاسيكي لها (التعليم فقط) إلى المفهوم الحديث لها (منظمة متعلمة).

والإصلاحات التي قامت بها الجامعة الجزائرية وخاصة الإصلاح الأخير "نظام – ل.م.د- لا يمكن لها أن تجني ثماره إلا بالأخذ بعين الاعتبار أنّ نجاح كل إصلاح

مرتبط بالوقوف الفعلي على نقائص واحتياجات الجامعة والتي تحول دون أدائها لمهمتها بالشكل المطلوب وكذا بطرق تطبيقه بالإضافة إلى الانتقال من النظرة الأحادية إلى نظرة الشراكة بين الأطراف الفاعلة والتي يهمها أمر الجامعة.

الهوامش:

1-مراد بن أشنهو:نحو الجامعة الجزائرية"تأملات حول مخطط جامعات,ديوان المطبوعات الجامعية,الجزائر,1981,ص.4

2-نجم عبود نجم:إدارة المعرفة"المفاهيم والاستراتيجيات والعمليات,مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع,الأردن,2005,ص.12

3-Knutson, K. A., Miranda, A. O. and Washell C. The connection between school culture and leadership social interest in learning organizations. The Journal of Individual Psychology, 61 (1): 25-36. 2005.p .4.

4-Mallet, L. Organizational learning, coordination and incentive. European Journal, 5: 10-16. 1995.p.13.

5-Karash, R. Learning-Org Dialog on Learning Organizations. 2002.p.8.

6-Rastogi, Building a Learning Organisation, Wheeler Publishing . 1998.p.6.

7-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:وثيقة إصلاح التعليم العالي,الجزائر,2004,ص6.

8- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:وثيقة إصلاح التعليم العالي,الجزائر,1997,ص3.

9- المرجع نفسه,ص5.

10-وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:حصيلة العشرية 67-68 ,1980,ص217.

11-الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية:مراسيم تنظيمية,ع60, 1998,ص.5,4

12- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:وثيقة إصلاح التعليم العالي,مرجع سابق,ص8,7.

13- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي:وثيقة إصلاح التعليم العالي,2007,مرجع سابق,ص.13.

ثقافة الرجل الأزرق وواقعه بين المرأة كمؤنث حقيقي والصحراء كمؤنث مجازي"

أ.سعيدة درويش- جامعة باتنة- الجزائر

المقدمة:

الإنسان في حوار دائم مع الطبيعة يسألها فتجيب، أو ترجئ الجواب إلى زمن آخر، يجمع فيه هذا الكائن الاجتماعي مفاتيح أخرى لعوالم وأسرار يكتشف كنهها كلما حان وقت التجلي والبوح والاعتراف. والصحراء بفضاءاتها الشاسعة ورمالها الانسيابية الهادئة الثائرة، ومناخها ذي العنفوان والسطوة، تلقي بسحرها الأزلي وتعويذتها العجيبة على الإنسان، تحاوره، فيزيد تعلقه بها، ويختارها موطنا حاضنا له، ولا يقبل بالبديل عنها...

هذه العلاقة بجدليتها تشبه - في جوهرها- شغفا كبيرا وقديما بين المؤنث والمذكر. لقد آثر الإنسان التارقي أن يقيم حضارته خارج حصار أسوار المدن، وتوحد مع الصحراء، ذلك المؤنث المجازي، توحدا عنوانه الحب والإخلاص والتبجيل، ولكنه وهب حبا أكبر للمؤنث الحقيقي ألا وهو "المرأة التارقية"، فهي بوقارها ولحافها الأصيل المنتقى الألوان، وحليها الفضية المعجونة بالأسرار، وطلاء أصابعها الأزرق الجميل، صاحبة المكانة الرفيعة في المجتمع التارقي، تعزف (الإمزاد) المسكون بالأساطير والترانيم، الذي ابتكرته بعبقريتها الإبداعية المتفردة، وتشارك الرجل في الرأي العام وصناعة القرار، وتتمتع بحقوق لا يمنحها للمرأة إلا مجتمع محب ومقتنع بدورها في بناء الحضارة. ومن هنا انبثقت إشكالية المداخلة المقترحة والموسومة ب: " ثقافة الرجل الأزرق وواقعه بين المرأة كمؤنث حقيقي والصحراء كمؤنث مجازي" ، حيث يطرح التساؤل حول العلاقة بين كل من المرأة والصحراء كمتغيرين هامين ومختلفين، يجتمعان فقط في كونهما مؤنث يمجده التارقي ولا يستغني عنه، وبالتالي يمكن صياغة التساؤل بشكل آخر: هل ثمة تعاضد بين المؤنث الحقيقي وهو المرأة، والمؤنث المجازي وهو الصحراء، في صياغة ثقافة التارقي وواقعه؟ أو هل يمكن أن يكون ثمة تواطؤ بين المؤنثين ضد الرجل لانتزاع السلطة من بين يديه؟، وإذا كانت جلسات الشاي عند التوارق لها فلسفتها المتعلقة بالحياة والموت، فكيف لا تكون لهم فلسفاتهم الكثيرة والمتنوعة في موضوعات أخرى أكثر أهمية، بل يمكن القول بأنها مصيرية.وبغض النظر عن الصعوبة التي تعتور بيئة ومعيشة التوارق، إلا أن حياتهم ما زالت محط اهتمام الباحثين في الأنتروبولوجيا والمهتمين بالتنوع الثقافي باعتبار أن الثقافة التارقية أنموذجا متفردا يتضمن نظما اجتماعية متميزة تشكل فيما بينها تساندا وظيفيا يظهر في شكل ثقافة تجعلهم منسجمين مع البيئة التي يعيشون فيها، فللصحراء سحرها، وللأنوثة أسرارها، ولعالم الرجل الأزرق بريقه، وعليه، فإن هذا الموضوع يحاول الكشف عن بعض العلائق الموجودة بين عناصر المجتمع التارقي من حيث المكان والإنسان والفكر، كما يحاول تحليل مجموعة من الرموز والسلوكيات في المجتمع التارقي.

التوارق من الناحية الأثنولوجية

اتفقت الدراسات على نبل أخلاق التوارق وشجاعتهم ووصفهم الملازم لهم، وهو كونهم الأحرار الذين لا يمكن لهم العيش تحت وطأة ضيم، أو حكم خارجي يستهدف إلغاء شخصيتهم أو يحاول طمس معالمها. والحقيقة أن التوارق أصحاب هوية واضحة المعالم، وهي هوية متسقة مع ثقافتهم، وتعبر عنها تعبيرا دقيقا، ف"الحياة الاجتماعية تشكل نظاما متكاملا تترابط كل عناصره فيما بينها بشكل متناسق، بما يتفق مع القاعدة الأنتروبولوجيا الثقافية التي تقول إن القيم والعناصر المكونة للنظام الثقافي متمثلة ومختزنة بأمانة في أعماق الفرد، وتشكل برنامجا خفيا يضبط سلوكه وينظمه بشكل آلي يقوم في الغالب على الفعل ورد الفعل" [1]، وذلك ما يبدو متحققا في ثقافة التارقي

وسلوكه كفرد يحتكم إلى مرجعية جماعية، وهذه المرجعية التي تطبع الحياة الاجتماعية بكاملها استمدت خصوصيتها من جملة من المواضيع المتعلقة بالناحية الأثنولوجية:

التسمية والأصول: اختلف المؤرخون في اسم التوارق فمنهم من يرى أنه مشتق من " ترك " و ذلك بأن العرب المغاربة اعتنقوا الإسلام فترة من الزمن ثم ارتدوا عنه عدة مرات، فسموا" التوارق"،و ذهب ابن خلدون إلى أن سبب تسميتهم " التوارق " أنهم تركوا دين المسيحية معتنقين الإسلام. كما ذهب بعض المؤرخين إلى أن كلمة " التوارق " مكونة من مقطعين " توا " بمعنى شعب و " رق " اسم المكان ، فيكون " التوارق " بمعنى " شعب رق" و هناك تفسير آخر لكلمة " التوارق " ورد في رواية لعب فيها الخيال دوره، وتبقى لها دلالتها الرمزية والأنتروبولوجية، حيث تعني التسمية المتروكين. و البعض يرى أنهم كانوا جل سفرهم ليلا لأنهم يطرقون الليل و الصحراء، وفي رواية أخرى أنهم ينتسبون إلى طارق بن زياد، ولكن التسمية يرجح أنها تأتي من "تماشق" أو "تمازغ" وتعني بلغة البربر "الرجال الأحرار" أما المفردة فهي تأتي من "تارقة" أو "تارغا" وهي منطقة فزان بجمهورية ليبيا. و تجمع جل الدراسات أن أصول التوارق ترجع إلى صنهاجة التي يصل عدد قبائلها إلى أزيد من سبعين قبيلة أشهرها جداله ولمثونة و مسوفة قدمت من اليمن و الجزيرة العربية إلى شمال إفريقيا. و يفيد مصدرآخر إلى أن التوارق أو أحفاد " التين هينان " يرجعون في الأصل إلى هذه الشخصية التاريخية، لذلك تعتبر "التين هينان" السلف الأموسي لكل القبائل النبيلة، و الملكة الأولى لمملكة التوارق.

اللغة والموطن: " التماشاق " لغة التوارق و حروف هذه اللغة تسمى "التيفناغ " و تجعل منهم أحد الشعوب الإفريقية النادرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد . فلغة التوارق التي يسمونها " تماهق " أو " تاماشاك " هي إحدى اللهجات العربية القديمة، ومعناها بالتارقية الحروف التي تنسب إلى الفينيقيين، وحروف "التيفناغ" تكتب من اليمين إلى اليسار في العادة ، و يضع بعض التوارق حرف (+) التاء على رقاب الإبل تسمية لها و هي الحرف الذي تبدأ به كلمة " توارق " و" تماشاق " . وقد ذهب الكثيرون من كتاب الغرب إلى أن هذا الشكل هو الصليب يستعمله التوارق لأنهم كانوا قبل الإسلام نصارى.

وينتشر التوارق في الصحراء الكبرى ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي و شمال النيجر و شمال تشاد و جنوب غرب ليبيا و جنوب شرق الجزائر . كما تنتشر مجموعات منهم ببوركينافاسو و نيجيريا و نستطيع أن نقول إنهم ينتشرون وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس و درج في ليبيا و اوباري و غات إلى تمنغست بالجزائر و جانت و تيمياوين و برج المختار على حدود مالي و تينبكتو بمالي و إلى طاوة بالنيجر و اقيقمي على بحيرة تشاد و ابشه في شرق تشاد تتناثر قبائل التوارق في هذه الصحراء، يتكون موطن التوارق من الواحات و الوديان التي تشق جبال الطاسيلي (غات : جانت) و الهقار (تمنغست) وأيير (اقدز)، و اضغان (لكيدال)، حيث تبلغ القمم علو3000 م [أ]، إلا أن الجزء الأكبر من التوارق يعيشون في منطقة السهول و المراعي الفسيحة.

التوارق والمؤنث المجازي(الصحراء): فلسفة بحجم الأفق الأزرق

اللوحة الثقافية: الصورة النمطية للتوارق

ينظر الغربيون إلى التوارق، نظرة تمنحهم صورة نمطية تميزهم عن باقي الشعوب بل وحتى عن باقي البدو، وكنتيجة لتلك النظرة المأخوذة بذلك التميز:

أولا: احتكر التوارق صورة البدو الرحل في الصحراء، فبالنسبة لكثير من كتاب الغرب، تتموضع جملة من المعادلات: فالصحرء= البدو الرحل= التواررق، فكل الشعوب الصحراوية الأخرى من رحل أومستقرين تعد مقصاة من مخيال الغربيين الصحراوي، ويلاحظ أيضا أن توارق الأهقار هم فقط وحدهم المحظوظون في ذلك المخيال.

ثانيا: لا وجود لتارقي مستقر أو قار في مكان واحد في ذلك المخيال الغربي، وإذا وجد فهو زائف ومفتعل في ثيمة(موضوع) مصادرة، فالتوارق هم الرحل ضمنيا، وأي وجود لنمط آخر يعد فاقدا للنقاء الأصلي لما ينبغي ان يكون عليه التارقي.

هذه الثقافة المتميزة والمتفردة استطاعت أن تفتك إعجاب الآخر الأوروبي، بل وتفتنه إلى درجة الشعور بالغضب إزاء الطرف الثالث الموجود كوسيط بين التوارق وأوروبا، هذه العلاقة "الثلاثية" كما أسماها Paul PANDOLFI، في مقال له ينتقد فيه الكثير من الأدبيات الفرنسية على وجه الخصوص على طرحها المناور والمغالط فيما يتعلق بالتوارق ومرجعياتهم الأثنية، فلقد حاول الكثير من الكتاب إثبات ذلك التشابه وذلك الانتماء الثقافي والاجتماعي الأوربي للتوارق؛ إذ حاولوا بكل استماتة وجرأة فصل التوارق عن أصولهم الإفريقية والعربية والأمازيغية ، والإسلامية. وهو يعتقد أن أية دراسة أو تحليل - في الماضي أو الحاضر- يكتفيان بمجرد الوصف لصورة التوارق الغرائبية، دون طرح للتساؤل حول سبب اهتمام الغرب بهم وحول سبب إعطائهم ذلك التمثيل، يعد مجانبة للأهم وللتحليل في حد ذاته. فلا بد – حسب رأيه دائما- من فك رموز ذلك التمثيل لصورة نمطية تعد الأفضل بين باقي صور الثقافات المجاورة لثقافة التوارق، فصورة العرب الذين يجاورون التوارق من جهة الشمال، وصورة الشعوب السوداء لإفريقيا الساحلية من جهة الجنوب، تتسم بالسلبية.[iii] وعليه، فالصورة النمطية للتوارق في الغرب -قديما وحديثا- صورة تقدير كبير ومكثف وفوق ذلك شامل وخالد، وقد مست أهم ما يتعلق بالتوارق ك (ثيمات) في تلك الصورة، فسر اللثام والترحال يوحي للغرب بفكرة التجوال والحرية، والنبل والحكمة والبساطة الخاصة بشعب من المفترض أن يعيش في تناضح مع وسط بيئي صعب. لقد افتتن الغرب بكل ماهو تارقي، لدرجة جعلتهم يحمِّلون خصائص ورموز التوارق أكثر مما تحتمله لأجل غاية واحدة هي إثبات انتماء التوارق إلى أوربا وثقافتها، لقد كرس الكثير من الكتاب والمؤلفين هذه الفكرة مثل: GAUTIER و[iv] STEFANINI[v] و BANAMY و DEMOULIN، وقد سمحوا لأنفسهم أن يستخدموا مؤشرا واحدا ليؤسسوا مسلمة انطلقوا منها لإثبات التقارب الأوربي التارقي؛ إذ نظروا إلى التوارق على أساس أن:

- التوارق أصحاب بشرة بيضاء ولون أعين الكثير منهم أزرق، ثم راحوا يبررون لونهم الأسمر بجملة من المبررات كاللون الذي تمنحه الشمس لسكان الصحراء على العموم وبالنيلة التي يطلون بها وجوههم وأيديهم لتقيهم من البرد والحرارة، بالإضافة إلى كونهم -حسب ذلك الطرح دائما- لا يغتسلون وذلك كفيل بمنحهم اللون الأسمر والذي ليس أصيلا فيهم.
- الإسلام مجرد قشرة وطلاء كما هو الشأن بالنسبة للإسلام في أوربا، وقد حاولوا في مقارباتهم تقوية هذا الطرح من خلال جملة من المعطيات لتأكيد الأصل الأبيض للتوارق حيث استدلوا بالصليب الموجود في عصا التارقي ونقوشه على مسيحية التوارق.

- إقطاعية المجتمع التارقي وأرستقراطيته المستشفة من كون التوارق كانوا أسياد الصحراء وكانت فيهم الطبقية التي تجعلهم قريبين من إقطاعية أوربا العصور الوسطى حيث يقول VERMALE : " تعود إلى الحياة –أو تقريبا- إقطاعيتنا الفرنسية القديمة بعاداتها، ومؤسساتها، ورمزيتها للشرف..." ويفند PANDOLFI ذلك كله بتأكيده على كون تلك الكتابات في هذا الشأن هي من طرف عسكريين يبررون فكرة الاستيطان، أو من طرف زملاء لأيديولجيين يحنون إلى الأرستقراطية الفرنسية [vi].

وهكذا يتوضح أن التوارق مكسب ثقافي تفتخر به أي دولة، بل وقد تحاول بعض الدول سرقة الموروث التارقي وتبنيه، فإذا كان المحلل الأجنبي الذي تحركه الغيرة على الموروث الإنساني، ويؤلمه تزييف الحقائق، فإنه من واجب الجميع الاعتكاف على دراسة هذا العالم المليئ بالأسرار.

التكيف لا التكييف: رحلة عشق واصطبار:

قسم بعض الباحثين البيئة إلى قسمين رئيسين: البيئة الطبيعية و البيئة الحضارية. والإنسان واحد من مكونات البيئة يتفاعل مع مكوناتها بما في ذلك أقرانه من البشر، ولعل فهم الطبيعة ومكونات البيئة والعلاقات المتبادلة فيما بينها يمكن الإنسان من إيجاد وتطوير موقع أفضل لحياته وحياة أجياله من بعده، وفي ذلك الحيز المكاني بشقيه الطبيعي و المشيد، يتشكل ويتكون حيز آخر يلتحم فيه المادي والمعنوي لأجل تكوين نوع آخر من البيئة له علاقة بالإنسان من الجانب الحضاري والاجتماعي، فينبثق ما يسمى بالبيئة الاجتماعية كإطار من العلاقات يحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره، ذلك الإطار من العلاقات الذي هو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعاتٍ سواء بين أفرادها بعضهم ببعض في بيئة ما، أو بين جماعات متباينة أو متشابهة معا في بيئات متباعدة، وتؤلف أنماط تلك العلاقات ما يعرف بالنظم الاجتماعية، واستحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية لكي تساعده في حياته فعمّر الأرض وغزا الفضاء، وعناصر البيئة الحضارية للإنسان تتحدد في جانبين رئيسيين هما:

- **أولا**: الجانب المادي وهو كل ما استطاع الإنسان أن يصنعه كالمسكن والملبس ووسائل النقل والأدوات والأجهزة التي يستخدمها في حياته اليومية.

-**ثانيا** الجانب غير المادي و يشمل عقائد الإنسان و عاداته وتقاليده وأفكاره وثقافته وكل ما تنطوي عليه نفس الإنسان من قيم وآداب وعلوم تلقائية كانت أم مكتسبة [vii].

ومن هذا المنطلق كان تواجد التوارق في الصحراء الكبرى أجمل صورة لذلك التناغم بين الإنسان والطبيعة، لقد عرف الإنسان التارقي حقيقة البيئة التي اصطفاها موطنا له، وأحبها حبا لا مزايدة فيه ولا تنازل. فقد أحب الفضاء والسماء، وأحب النخيل والإبل، و الرمال والصخور، والتمور والواحات، إن من يسكن الصحراء يفترض فيه أن يصبر على حرارتها القاسية، وندرة مياهها، ووحشتها وتجردها من معالم المدنية المساعدة على العيش السهل، والصبر على كل هذا لا يتأتى إلا من محب، يدرك قيمة ما يحب ويضحي لأجله ...، لذلك فهم التارقي طبيعة الصحراء جيدا، وانطلق في تشييد حياته في أحضانها من فكرة بيئية رائدة، وهي"فكرة التكيف"، ففي الوقت الذي عكف فيه الإنسان في الحواضر والعواصم والمدن، على تطويع الطبيعة وقهرها بشتى السبل والوسائل والآلات، وتفنن في ذلك وأطلق العنان لمخيلته التكنولوجية الجبارة، ليستخدم الطبيعة ويسخرها لخدمة أحلامه وأطماعه التي لا يحدها شيئ، شيد التارقي حضارة احترمت الطبيعة، فانسجم التارقي معها، بل وكيف حياته بكل مظاهرها على وقع هذه الطبيعة المستعصية العنود، وقد تجلى هذا التكيف في جملة من المظاهر تكوّن في مجملها حياة التارقي ويومياته:

- **الخيمة قيم وترحال:** تذكر دومينيك كازاجو Dominique CASAJUS في مقال لها عن توارق النيجر:"خيمة التوارق الذين يعيشون بشمال النيجر، في منطقة " أغاديز " تعكس قيمهم، إنها لا تشبه بيت الجلد الذي يسكنه التوارق الأكثر توجها نحو الغرب، لكنها مكونة من نسيج من القش يجمعونه في سلال مصنوعة من جذور الأكاسيا....الخيمة تكون عادة مفتوحة من الواجهة الغربية وكل خيام المخيم تكون مصطفة بشكل إرادي من الشمال إلى الجنوب هناك يعيشون، ويأكلون، ويشربون الشاي، ويستقبلون الظيوف، وعلى العكس فإنهم نادرا ما يجلسون في الناحية الشرقية من الخيمة، حيث الجهة المعتمة من الخيام، ذلك الفضاء الذي يكون فارغا غالبا ومخصصا للصلاة..." [viii]

فالخيمة هي ذلك الحيز المقتطع من فضاء الصحراء، ليلملم حياة التارقي، ويصنع حميميته، ويعكس قيمه كفرد لا كمجموعة، فهي المكان الذي يؤسس فيه عائلة؛ حيث يستقل بخيمة خاصة لإتمام مراسيم حفل الزواج، وحيث يستقبل ضيوفه. وتوفر الخيام مأوى آمن ضد حر الصحراء والمناخ القاسي. كما أن الكرم والضيافة يزيد من شرف التوارق، لذلك يبدو في وسط الخيمة دائما طاولة صغيرة لشرب الشاي والقهوة وهي دليل على حسن الضيافة للزائرين. إنه تقليد لتقديم الكرم والضيافة لكافة الزوار والعابرين. وتحافظ النساء على شرف العائلة وتقاليدها حتى في غياب الرجال عن الخيام. فالمرأة تهرع إلى الخارج تحمل آنية مملوءة بحليب الناقة كعلامة على الترحيب.

تبدأ حياة التارقي الأسرية مع الخيمة كعنصر هام وأساسي يشكل عالما خاصا بالمرأة والرجل وهما يؤسسان اللبنة الأولى في بناء وحدة اجتماعية جديدة؛ حيث ينتقل الزوجان بعد انتهاء احتفالات الزواج والتي تدوم سبعة أيام إلى خيمتهما الخاصة ويسمون هذه العملية بـ" العزول"، أي الانفصال عن باقي المجتمع، انفصالا لا يعني القطيعة وإنما يعني تأسيس وحدة اجتماعية لها حيزها المكاني الخاص وهو الخيمة، أين يعيش الزوجان حياة خاصة ومستقلة. وفي ذلك رمزية انفصال عن الفضاء المطلق الذي تشكله الصحراء في حياة التوارق، بما أن ذلك الفضاء يوحد حياة التوارق ويجمعهم. وبما أن الخيمة تتنقل من مكان إلى مكان، دون هدم ودون مواد بناء تزيد من حجم التلوث البيئي، فإن فكرة التكيف مع البيئة والحفاظ عليها، تبدو واضحة وعبقرية. وهكذا يهرع التارقي من مؤنث كبير هو الصحراء إلى مؤنث آخر هو الخيمة.

- **اللباس جمال وأسرار:** ظلت الملابس إلى جانب وظائفها في الستر والوقاية من عوامل المناخ المتنوعة؛ جزءا جماليا من حضارة الإنسان بسبب تعلق الإنسان وحبه للجمال، حتى إنها تصبح إنتاجا جماليا بحتا مرتبطا بالقيم الجمالية عند الشعوب والحضارات القديمة والمعاصرة، وحتى عند البدائيين [ix]، ولقد تفرد التوارق في أشياء كثيرة تتعلق بهويتهم ونظرتهم للحياة، وليس بالغريب أن يطال هذا التفرد لباسهم، فرغم تقاطع لباس سكان الصحراء على العموم، واتفاقهم حول فكرة ستر سائر الجسد بالثياب، واتخاذ الملابس الفضفاضة، إلا أن الزي التارقي استطاع أن يتفرد بألوانه وشكله وأسراره، الأمر الذي جعله يستحوذ على إعجاب الجميع بما فيهم الأجانب الذين ما يفتأون يرتدون قطعة أواثنتين من ملابس التوارق.

ولا غرو، فالمبدأ الجمالي هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه الثقافة، فهو الذي يطبع الصلات بطابع خاص، وهو الذي يضفي على الأشياء الصورة التي تتفق مع الحساسية والذوق العام من حيث الألوان والأشكال [x]، فعادة يميل سكان الصحراء إلى الألوان الترابية والقريبة من البيئة وألوانها كالبني الفاتح بتدرجاته المائلة إلى لون الرمال، لكن التوارق انتقوا لونا آخر يربطهم بالسماء، فكان الأزرق لون اللباس والأصباغ، والأزرق في

سيميولجيا الألوان يمثل: "السكينة والهدوء والحكمة واللانهاية، ويستعمل عادة في تمثيل الموضوعات الدينية" [xi]، أوليست الحكمة هي النظر إلى الأفق البعيد، والنظر إلى الفضاء الرحب رحابة السماء بزرقتها ولا محدوديتها، إنها الترفع والترقي في سلم المبادئ والأخلاق والتعلق بما هو علوي ورفيع، وكل ذلك هو رسالة الأزرق إلى باقي الشعوب. كما أن الهدوء والسكينة مستمدان من الصحراء التي لا صخب فيها ولا ضجيج.. إنه عالم لا حدود له من التناغم والجمال، فالتارقي اختار أن يمثل الصحراء بزيه ويعبر عنها تعبيرا رمزيا يعكس درايته بالبيئة التي اختارها ويعكس حبه لها.

و لأن ثقافة التوارق ثقافة تعكس خلفية من التفسيرات والرمزية للعالم والحياة من حولهم، فإن الزي التارقي كان جزءا هاما من هذه العملية، ولعل اللثام الذي يضعه الرجل على وجهه دون المرأة تبين إلى أي مدى يمكن توقع الأسرار والخفايا من ثقافة التوارق؛ حيث يعتقد التوارق بأن اللثام يحمي الرجل من أذى الجن"كل أسوف"، وأن المرأة بما أنها تعيش في الخيمة وهي سيدتها، فالخيمة تحميها وتبعد عنها شر الجن. [xii]

ويمتد سحر الأزرق وألقه إلى أصابع المرأة التارقية التي تجمل أصابعها بطلاء أزرق (النيلة،l'indigo) يزيد من أنوثتها وسحرها، ولكنه في الوقت نفسه له وظيفة وقائية من البرد والحرارة. وإضافة إلى اللون الأزرق الذي صنع تميز الزي التارقي، ظل اللثام ميزة أخرى حيكت حولها الأساطير وتعددت التفسيرات، فالتارقي دائم اللثام منذ أن يبلغ، حتى وهو يأكل فإنه يرفع لثامه قليلا ويتناول الطعام من تحته ويغالي في ذلك حتى أثناء الوضوء أو التيمم فإنه يلجأ إلى الابتعاد عن عيون الناس واللثام غالبا ما يكون عمامة من القماش الأسود يلفها حول وجهه بإحكام حتى لا يظهر منه سوى الأهداب.. ولا يضعها حتى حينما ينام، وإذا ظهر شيء من ستره فكأنما هو العار بعينه !. و إذا خاض غمار حرب وسقط لثامه لا يعرفه حتى أقرب المقربين له.

الأسطورة التي يرويها الطوارق عن توارثهم للثام تقول بأن رجال أكبر قبائلهم ارتحلوا بعيدا عن مضاربهم لغرض ما، فجاء العدو يطلب خيامهم التي لم يبق فيها غير النساء والأطفال وكبار السن، نصح عجوز حكيم النساء أن يرتدين ملابس الرجال ويتعممن وبأيديهن السلاح فيظن العدو أنه يواجه الرجال حقا، ففعلن وقبل التحامهن مع العدو ظهر رجال القبيلة ووقع العدو بين رجالها ونسائها وانكسرت شوكته، ومنذ ذلك اليوم عهد الرجال على أنفسهم ألا يضعوا اللثام جانبا، والبعض يربط بين اللثام والخجل لطيب فضائل الطوارق، ولكن التفسير الأقرب إلى المحللين هو أن طبيعة المنطقة الصحراوية الرملية وما يمر بها من عواصف،إضافة إلى برد الشتاء القارس كل ذلك يتطلب وشاحا يقي العين والجهاز التنفسي.فهذا التفسير الإيكولوجي رغم هشاشته من الناحية المنطقية - حيث تعيش المرأة الظروف المناخية نفسها، ولكنها تبدو سافرة الوجه في كل الأحوال وفي كل المناسبات والظروف- إلا أنه يظل واردا ومحتملا بحكم ذلك التكيف الذي يلاحظ على حياة التوارق عموما.

- **ظاهرة تنظيم الأسرة عند إيموهاغ(التوارق)**: يرى بعض الباحثين أن قلة عدد السكان في أي مجتمع، يؤدي إلى رفع مستوى المعيشة لأن ذلك يحدث توازنا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية على مستوى الدخل الفردي و الجماعي القومي ويمنح نصيبا أوفر للأفراد مما يمتلكون و ما ينتجون، كما أنه من الناحية النظرية، فالأسرة صغيرة الحجم تتمتع بمستوى معيشة أعلى من الأسرة الكبيرة ويحمي مستوى المعيشة الذي وصلت إليه. هنا تبرز حركية الجماعة و مدى نفوذ سلطتها على الفرد لأن قرارات تنظيم الأسرة في المجتمع التقليدي عادة ما تعود إلى الجماعة و طبيعة القيادة و العلاقات الاجتماعية السائدة فيها.

لقد عرف مجتمع التوارق التقليدي إجراء تنظيم النسل، وطبق عندهم بصرامة حيث يمكن لرئيس القبيلة أن يامر أفراد قبيلته بتحديد عدد المواليد فيكون الأمر بزيادة العدد أو نقصانه تبعا لتزايد الموارد الطبيعية و توقعاتهم للمستقبل خصوصا في الفترات التي تنذر بالقحط . [xiii] و يرى البعض انه بإمكان رئيس القبيلة أن يأمر بإيقاف الإنجاب تماما، ويبدو أن هذه العملية قد تكون ضرورة في المناطق التي يقطنها التوارق و ذلك نظرا لطابعها المناخي الصحراوي الذي يتميز بالقسوة و ندرة المياه، وإنتاجها الذي لا يكاد يكفي سكانها لإشباع حاجاتهم من الغذاء. و على هذا الأساس توصل التوارق - في إطار التوازن الايكولوجي - إلى إيجاد الحل الأمثل بالتحكم في عدد السكان الذين يمكن توفير الغذاء لهم، وهذا يعكس وعيهم الاجتماعي والاقتصادي والبيئي، كما يعكس إدراكهم لمدى الترابط بين العناصر التي تصنع عالمهم، ويحاولون التأقلم على أساس معطياتهم التي تمكنهم من استشراف المستقبل والتخطيط له ولو نسبيا، فالمجتمع التارقي لم يتعامل مع ظاهرة ندرة المياه والقحط التي يمكن أن تكون إشكالا حقيقيا وجادا وخطيرا، تعاملا سلبيا بحيث يستسلم للمجاعة ولا يفكر في المخرج، أو ينزح نحو المدن باحثا عن لقمة العيش، ولكنه يعالج هذه المشكلة بالتخطيط المحكم و حسن التدبير تكريسا لمبدأ التكيف لا التكييف.

المؤنث الحقيقي(المرأة) في المجتمع التارقي: أيقونة الحياة والإبداع

ظلت المرأة عبر العصور والحقب التاريخية موضع تحقير وتهميش عدا في بعض المجتمعات الأموسية (الأمومية)، لكن المجتمع التارقي، صنع الفرق وخرج عن المألوف اجتماعيا وحضاريا عندما منح المرأة مكانة بلغت حد التقديس، وهذا التقديس للمؤنث في المجتمع التارقي لا ينطلق من عقد تتجلى في المتناقضات التي لا يفهمها العقل، كما كان الشأن بالنسبة لكثير من الشعوب والحضارات التي تقارب المجتمع التارقي في البيئة، كالبيئة العربية –على سبيل المثال- في شبه الجزيرة وقبل الإسلام؛ حيث عاش المؤنث ضربا من التناقض واللامعقول في ثنائية محيرة؛ إذ بلغ تقديسه حد التأليه، فكان الإله آلهة كالعُزى ومناة واللاة، كما بلغ تحقيره وإقصاؤه حد الوأد.

أما المرأة في المجتمع التارقي فمكانتها حيث تحب هي وترضى، دون وجود لأي تضارب في القيم والمشاهد الثقافية، ولقد أذهل ذلك الباحثين منذ أن بدأ الاهتمام بالتوارق وبنظام حياتهم المميز، وما زالت تلك النظرة التعجبية والانبهارية إلى ذلك المجتمع وإلى وضع المرأة فيه على وجه الخصوص؛ حيث نشرت مجلة NEW AFRICAN WOMAN [xiv]، مقالا يعكس ذلك الانبهار بالمرأة التارقية وبمكانتها ووضعها إلى حد الساعة، ووصفتها وصفا يكاد يكون تمجيديا.. فقد جاء في المقال:" المرأة التارقية تتلاءم مع جماليات الفضاءات الصحراوية، فهي تندمج مع المناظر الطبيعية من خلال انتقاء الألوان ونوع اللباس الأصيل، والملحفة الرقيقة والأقمشة المشربة بالبصمات القديمة للنيلة (l'indigo)، تسبح مع الريح كأحلام غير قابلة للتحقق محمولة من قبل الجن. وتلتحف في رشاقة وأناقة بأقمشة رقيقة وذات ألوان زاهية....." بل وأكثر من ذلك، فملاحظة هذا العالم النسوي المبهر، بالنسبة للآخر القادم من عالم المدنية والتكنولوجيا، يعد ترياقا ضد طغيان واستبداد هذا العصر الذي بلغ فيه الإفراط في التطور المادي ذروته، وللمرأة مكانة رفيعة في المجتمع التارقي الأمومي(الأموسي)، ووضعها مشرف داخل ذلك المجتمع؛ حيث يختلف هذا الوضع عن وضع المرأة في الساحل الإفريقي ووضع المرأة المسلمة، حتى إن القرابة فيه تتحدد من جهة الأم، فكان الأولاد ينسبون لأمهم بموجب المقولة الشهيرة: "النسب يتبع البطن وليس الظهر"، ولعل ذلك يتوضح من خلال مجموعة من الحقوق تتمتع بها، وهي بحق حقوق تجعل منها سيدة ذلك المجتمع بلا منازع، ومنها:

- **الكتابة**: عندما تنشغل الأبحاث بكتابة المرأة ويأتي التعبير بالكتابة أكثر من القراءة فلأن ذلك يعكس الفاعلية والفعالية فالمرأة إذا قرأت يكون ذلك انفعالا وظاهرة ذاتية وخاصة، أما الكتابة فهي فعل وتفعيل للخصائص الذاتية، ومن ثَمَّ المشاركة والتأثير، وقد ظلت الكتابة في المجتمع التارقي حكرا على النساء يتعلمنها ويعلمنها للناشئة، والتيفيناغ أو التيفيناق ومعناها الحروف الفينيقية التي كان التوارق يكتبون بها، بقيت إلى غاية زمن قريب من اختصاص النساء يتعلمنها ويعلمنها، فلو قارنا هذا الوضع عند التوارق بوضع المرأة في شمال الجزائر في عشرينيات وثلاثينيات القرن المنصرم، لتبين لنا ذلك السبق في الوعي الاجتماعي لدى التوارق، فالمرأة في مجتمع الشمال الجزائري-على العموم- كانت محرومة آنذاك من نعمة القراءة والكتابة، وكان بعض المحافظين يبررون ذلك التعسف في حقها بالمحافظة عليها من نفسها؛ إذ إنها كانت ستستخدم ذلك الحق الشرعي لها - حسب زعمهم وتقديرهم- في كتابة الرسائل الغرامية، وذلك أمر لا يغفره المجتمع لها ولذا فإنه بذلك التفكير يعتقد أنه يقضي على المشكلة من جذورها بحرمانها من حقوقها. [xv]

والكتابة -وبالتالي القراءة أيضا- توجهنا إلى استنتاج قيم أخرى أرقى تكتسبها المرأة في المجتمع التارقي، حيث تحيلنا إلى الوعي والثقافة التي تصاحب –عموما- عمليتي التعلم والتعليم، واللتان تعدان مطلب كل الشعوب اليوم من أجل الخروج من بؤرة التخلف والسير في طريق النمو ، وعليه يمكن الجزم بأن المجتمع التارقي مجتمع واع ومثقف، استطاع أن يشكل هوية ثقافية تقوم المرأة بالحفاظ عليها من عملية التغير الثقافي والذي هو أعم وأشمل من التغير الاجتماعي، ويتولد عنه الكثير من العلل المصاحبة للوافد الأجنبي المتمثل في رأس المال الأجنبي والاتصال الخارجي مع الثقافات الأخرى. [xvi]

- **العزف والغناء** : إذا كانت صورة المرأة في كثير من الثقافات صامتة [xvii]، وإذا كانت ممنوعة من الكلام والبوح والتعبير في تلك الثقافات حتى لا يظهر الكائن العاقل الذي يسكنها، وحتى تثبت في حقها فكرة الدونية، وإذا كانت مغيبة عن المشهد الثقافي في مجتمعات كثيرة، فإنها في المجتمع التارقي الصحراوي الأصيل صانعة الثقافة و ملهمتها وموجهتها، ويكفيها فخرا أنها مبدعة ومبتكرة في هذه الثقافة، فقد كسرت وحشة الصحراء أو استأنست بها عندما ابتكرت الآلة الوترية (الإمزاد). هذه الآلة يعود تاريخها إلى آلاف السنين، ويحظر استعمالها على الرجال،فالأساطير تقول إن ذلك نذير شؤم، فالمرأة هي التي تعزف في ظلام الحياة ليتبصر الجل في الشؤون المصيرية؛ حيث تنقله النغمات إلى عالم التفكير دون أن ترى عيناه المرأة التي تعزف، بينما يسبح هو بخياله بعيدا عن المدركات الحسية حوله. ويرجع الفضل في ابتكار هذه الآلة إلى نساء قبائل التوارق الجزائرية، ويروي المؤرخون أن حربا ضروسا نشبت بين قبيلتين فبادرت النساء إلى صنع الإمزاد، ورحن يعزفن عليها، وبسماع الرجال المتحاربين لهذه الموسيقى، يلقون أسلحتهم، ويجنحون للسلام، ومنذ تلك اللحظة تعارف التوارق على أن "الإمزاد" أداة مخصصة لنظام اجتماعي له عاداته وتقاليده الضاربة في أعماق الحضارة الإنسانية أكثر من كونها آلة موسيقية، مما جعل منظمة العلوم والثقافة "اليونسكو" تكرسها ضمن التراث الثقافي العالمي.

وتشتهر الإمزاد بين الآلات الموسيقية المشهورة والمميزة بمنطقة الجنوب الجزائري، وهي تشبه العود في شكلها، ولها وتر واحد وقوس مصنوعة من الجلد، مثبت على قدح من الخشب يربط عليه جلد شاة ويخرج من طرفيه عودان يشد ما بينهما قضيب من شعر الخيل.كما يتم ثقب الجلد ثقبين أو ثلاثة ثقوب في الوسط ليأخذ في النهاية

عودا على شكل هلال، ويتم فرك شعر الخيل والوتر الواحد ليصدر صوتا جميلا يتم تغيير نبراته بتبديل أصابع اليد اليسرى.

وهكذا تكون هذه الآلة والأساطير التي حيكت حولها الموجه الأول لقيم السلم في ذلك المجتمع، ولمواقف الرجل الذي يتفاعل بشكل إيجابي مع القيم الثقافية والأخلاقية والاجتماعية التي تبثها المرأة الحارسة الأمينة على موروث التوارق الجميل والمميز، ويزيد الإعجاب والتقدير لهذا المجتمع الذي تحمل رموزه وثيمات الثقافة فيه دلالات سامية وعريقة. كما تعتقد المرأة التارقية "شنة" الخبيرة بالعزف على هذه الآلة " الملقبة بأميرة الوتر الواحد، وعميدة عازفات الإمزاد"، أن الأشعار المغناة والمرافقة للعزف عليها، تحمل دائما رسالة تمجد فيها قيم الحق والجمال، أو على العكس تذم قيم القبح والفساد، وأن قصائد الغزل والحب ينبغي أن تحافظ على عذرية العلاقة بين المرأة والرجل.[xviii]

التجارة وحق الخروج : كانت التجارة أيضا نشاطا يحق للمرأة التارقية ممارسته دون عقد أو تخوف مما يمكن أن تحققه، بل نظر المجتمع التارقي إلى ذلك بعين الارتاح وتقدير الحاجة؛ حيث يتنقل الرجال كثيرا ويغيبون عن المضارب لأيام طويلة، وما كان المجتمع التارقي ليرضى بأن تتعطل حياة النساء والأطفال إلى حين عودة الرجال، فلا معنى لأن تصاب الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالشلل ريثما يعود الرجال. فهذه الأفكار المتخلفة والمريضة لا تتبادر إلى ذهن الرجل الأزرق المتصف بالحكمة. ولذلك تمتعت المرأة التارقية بذمة مالية مستقلة مكنتها من اكتساب المال والمواشي، ومن ثَمَّ منحها حق المتاجرة والكسب، وفي الوقت الذي كان خروج المرأة فيه يعد عاملا لفساد المجتمع في بعض الثقافات، كانت المرأة التارقية تخرج لممارسة كافة الأنشطة دون سلطة أو رقيب أو تشكيك فلم تحصر وظائفها في الأعباء الداخلية للأسرة وإنما كانت تخرج لكل ما من شأنه أن يخدم أسرتها ومجتمعها.

- **الزواج والطلاق :** تنظر المجتمعات إلى المرأة –عادة- كمخلوق فاقد للأهلية، فتمنعها من كثير من الحقوق، ويأتي ذلك المنع من تلك الصورة النمطية لمخلوق خانع لا يحق له أن يبادر إلى شيئ، ويكون الأمر أكثر تعقيدا إذا تعلق الأمر بالعلاقة بين المرأة والرجل؛ حيث تزداد تلك الحساسية ويرتفع ذلك التوتر حفاظا على المكتسبات الكثيرة للرجل، وخوفا من فسح المجال للمرأة في اكتساب روح المبادرة والفعل، وفي ذلك خطر على مصالح الذكورة التي وحدها تمنح الحقوق في الكثير من المجتمعات، ومن هنا جاءت فكرة عدم مقبولية أن تطلب المرأة الزواج أو أن تطلبه من شخص بعينه؛ فقد أوعزت الثقافة الذكورية إلى المرأة أن تكون مطلوبة فقط، وعللت ذلك بالحفاظ عليها جوهرة ثمينة تفقد قيمتها لو حاولت التصرف والتعبير عن تلك الإرادة. لكن المجتمع التارقي نظر إلى المرأة نظرة أخرى خالية من التقسيم البيولوجي والنوعي، فهي في نظره عصب الحياة، والمعين للرجل في حله وترحاله دون نظر إلى مكتسبات الذكورة أو الأنوثة، فالأهم هو التعاون على مسؤوليات الحياة في بيئة صعبة وأحيانا قاسية، ومادامت "الشراكة" هي الفكرة التي تقوم عليها الحياة في فضاء صحراء التوارق، فلم يكن من الأهمية بمكان أن تمنع المرأة من حق اختيار الزوج ثم طلب الزواج منه، لأن ذلك لا ينقص من مكتسبات الرجل التارقي الاجتماعية شيئا؛ فهذا المجتمع قد صنع أريحية كبيرة بين الجنسين، فالمرأة بالمقابل لم تشعر بالضغط عليها كأنثى، ولم يتحول ذلك الضغط إلى كره وبالتالي لم تتشكل لديها عقدة المنافسة مع الرجل. ويبدو ذلك –مثلا- من خلال الوصايا التي تتلقاها المرأة يوم زفافها إلى خيمتها الخاصة من قبل النسوة اللائي يلقنَّها دروسا في شكل أغاني تستنير بها في حياتها المستقبلية مع زوجها. ويكون

من بين تلك الوصايا أن تحترم زوجها وتقدره وتمنحه كامل اهتمامها والسهر على راحته وشرفه.

كما أن نسبة الطلاق في المجتمع التارقي ضئيلة (على عكس ما هو سار عند توارق النيجر حيث تعد نسبة الطلاق مرتفعة جدا) ضئيلة وهذا يعكس حجم الوفاق الذي ينعم به التوارق كأسر وكأزواج. ولعل من غرائب المجتمع التارقي أنهم كانوا يحتفلون بطلاق المرأة كنوع من الإشهار كي يحق للمرأة بعد الطلاق أن تستأنف حياتها دون شعور بالحقد أو الضغينة للزوج السابق، وهذا رغم غرابته يعكس تلك الأريحية والثقة والوفاق وروح السلم التي تسود بين أفراد ذلك المجتمع نساءً ورجالا.

_ **السيادة داخل الخيمة**: ليست المرأة في المجتمع التارقي مخلوقا ثانويا ينجب فقط ويرعى المواشي، فهي سيدة خيمتها، وقد بلغت تلك السيادة والحرية إلى حد أنها يمكن أن تستقبل من تريد من الرجال والنساء في خيمتها دون إذن زوجها، بل وحتى في غيابه. ولعل هذه الفكرة تخلق في أذهاننا بعض التململ من حجم الحرية -ربما- المبالغ فيه، فاستقبال الأغراب والأجانب في الخيمة في غياب الزوج ودون علمه لا يعني في ذهنياتنا سوى شيئ واحد هو الشك والريبة، لكننا ينبغي أن ننظر إلى الموضوع من خلال المخيال التارقي نفسه، فالرجل بحكم غيابه الكثير عن الديار وسعيه وراء الرزق، لا يمكن له أن يشك في زوجته لأن ذلك الشك لا يوصله إلا للقلق والهواجس، فالزوجة يمكنها ان تفعل ما تريد في غيابه ودون علمه، وعوض أن يكون ذلك الأمر ضد الزوج، ارتأى الرجل الأزرق بحكمته واعتمادا على قيمة الشرف والحرية في مجتمعه أن يجعله أمامه وليس خلفه تشريفا للمرأة على فضيلة العفاف والصون، الأمر الذي يجعلها في وضع نفسي مريح لا يوحي لها بالخيانة واختلاق الأكاذيب، وذلك يصب في فضيلة أخرى هي الثقة المتبادلة بين الزوجين وأيضا بين أفراد المجتمع.

الخاتمة:

يخلص هذا البحث المتواضع في رموز التوارق وجزء يسير من فلسفتهم المتعلقة بالحياة وبالآخر إلى جملة من الاستنتاجات، فهذه الثقافة المتشبعة بالدلالات والرموز، تنطلق من فكرتين أصيلتين وبناءتين، ألا وهما "المصالحة مع الذات"، و"الثقة في الآخر" فالعيش داخل مجموعة يقتضي ذلك كله، ويقتضي تقبل الآخر واستيعابه بكل اختلافاته، وهما فكرتان تنبعان من دراية التارقي ببيئته ومحيطه وعالمه، وتلك هي الحكمة التي كان المجتمع الأزرق يتوخاها في كل شيئ ويسعى إليها في كل صغيرة وكبيرة.

إن المصالحة مع الذات، جعلت التوارق يتقبلون بيئتهم كما هي، ويتفاعلون معها بالحب والصبر والاحترام، الأمر الذي جعلها تمنحهم أسرارها وخباياها، وتمنحهم شرف التميز والتفرد. فالأكيد أن حب التارقي للصحراء لم يذهب جُفاء، فقد بادله ذلك المؤنث المجازي حبا بحب، واحتراما باحترام، حتى بدا للآخر (الأجنبي الوافد)، أن الصحراء كلها توارق، وأنه لا وجود لصحراء دون خيمة التوارق وترحالهم وألوانهم المنبئة بالحكمة والسكينة والنقاء.

وفكرة المصالحة مع الذات نفسها، هي التي أسست لعلاقة الرجل بالمرأة، فليست ثمة منافسة أو تسابق بينهما لأجل تحقيق الذات، وليست ثمة نظرة دونية لأحد الجنسين أو لدوره في المجتمع، لأنه لا أفضلية لمجال على مجال آخر، فالطرفان منغمسان في بيئتهما وظروف معيشتهما التي تقتضي منهما التفاني والتعاون والتكامل، فطبيعة البيئة فرضت عليهما معا نوعا معينا من المسؤوليات، ومن يحسن القيام بأدواره يكون جديرا بالتقدير، لذلك لم يفكر التارقي في تقييد حرية المرأة فهو بحاجة إليها كمثقفة

وكمبدعة وكشريك كامل الأهلية والإرادة، وتلك الحرية وحدها كفيلة بتحفيز المرأة على العمل والإبداع لصالح المجتمع، لاسيما وقد أظهر لها في أكثر من مجال وموقع حبه واحترامه، وحوَّل ذلك إلى حقوق ومكتسبات نسوية لا تراجع عنها، فبادلته وهي المؤنث الحقيقي، الحب والوفاء والتقدير.

وهكذا يمكن الإجابة عن التساؤل المطروح في البداية عن سر شغف التارقي بمؤنثين أحدهما مجازي والآخر حقيقي، منحا ثقافته وواقعه إعجاب العالم وتعاطفه، وحنينا دفينا في أحلام كل غريب في عالم المدنية والتكنولوجيا والرقمية، إلى دخول خيمة التوارق ولو مرة في العمر، والإبحار في صحرائهم الفاتنة، والتزيي بزيهم ذي الجبروت الجمالي الأخاذ، والسحر اللامتناهي. فالسر كله يكمن في الوقت الذي منحه التارقي لنفسه كي يفهم ويقرر. وبالفعل لقد فهم التارقي نفسه وعالمه وبيئته، فسَهُل عليه فهم الحياة من حوله، فرحب بالمؤنث الذي يحتويه كمكان، وبالمؤنث الذي يشاطره الحياة ويصنعها معه، الأمر الذي أفضى لإبداع مؤنث آخر ألا و هو "الحضارة".

---

[i] حسين الصديق، الإنسان والسلطة دراسة في إشكالية العلاقة وأصولها الإشكالية،دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2001 ، ص 14

[ii] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر،د دار النشر، ط2، 1956، ص12)

[iii] Paul Pandolfi. LES TOUAREGS ET NOUS. UNE RELATION TRIANGULAIRE; MIROIRS IDENTITAIRES.N°2, printemps 2001; E t h n o l o g ies comparées. Le:29/02/2011http://alor.univ-montp3.fr/cerce/revue.ht

[iv] GAUTIER, E. F., 1935, La conquête du Sahara, Armand Colin.p182 ,Paris

[v] STEFANINI J., 1926, Au pays d'Antinea, Paris, Plon p45.

[vi]. op.cit. PANDOLFI

[vii] http://www.alhadeeqa.com/vb/archive

[viii] http://www.ivry.cnrs.fr/spafrican/chercheurs/dcasajus1.htm /Ivry.cnrs.fr/ .CASAJUS

[ix] محمد رياض، الإنسان دراسة في النوع والحضارة،ط2، بيروت، دار النهضة للنهضة والنشر، 1984، ص362

[x] راجع مالك بن نبي، حديث في البناء الجديد، جمع وترجمة عمر كامل مسقاوي، بيروت، منشورات المكتبة العصرية، ص72

[xi] www.onesttousdesartistes.tv/histoire-

[xii] Dominique CASAJUS/ op.cit

[xiii] محمد بوقليلة، التوارق عبر العصور. مخطوط . ورقة1. نبذة تاريخية حول قبائل ايموهاغ (التوارق) الاتاحة:

http://vb.we3rb.com/showthread.php?t=48462#ixzz1FhbZuqkm

تاريخ الزيارة 2011/03/02

[xiv] NEW AFRICAN WOMAN، (عدد ربيع وصيف 2010)

[xv] قنان عبد المجيد، مظاهر الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في الجزائر من خلال جهود رواد المصلحين(1900-1925)،ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر(1991-1992)، ص249

[xvi] التغير الاجتماعي، منتدى الجامعات السعودية : ksau.info/vb/.

الاتاحة:

http://www.ksau.info/vb/forumdisplay.php?s=f91d510c2d87ee2d9945ed6f37c1f7dd&f=132

تاريخ الزيارة : 2011/02/04

[xvii] عبد الله محمد الغذامي، المرأة و اللغة 2 ثقافة الوهم " مقاربة حول المرأة و الجسد و اللغة " ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط1 ، 1998، ص 66

[xviii] نقلا عن حصة "خفايا" التلفزيونية لقناة mbc، في خميس الثامن من أفريل 2010، مع العجوز شنة الملقبة بأميرة الوترالواحد، وعميدة عازفات الإمزاد

تقول الرواية : بأن عربيا يدعى جاب الهلالي قتل عفريتا من الجن بالقرب من قرية تارقية فأراد سكان تلك القرية مكافأته على هذا الصنيع فسألوه عما يريده كهدية، و كان معه أربعين من رجاله ، فطلب منهم أربعين بنتا بكرا مكافأة، فقبلوا و أعطوه إياهن فوزعهن على رجاله، فلم يمكث جاب و رجاله في تلك القرية إلا فترة وجيزة ثم رجعوا من حيث أتوا، فبقيت النساء بدون أزواجهن فسمين أولادهن " بالتوارق" لأن آباءهم ذهبوا و تركوا أمهاتهم.

النخبة الصناعية في الجزائر : معطيات وتحاليل

د. إلياس شرفة جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة- الجزائر

ملخّص :

إن سوسيولوجية النخبة الصناعية في العالم العربي وخاصة تلك ذات الأصل الأوروبي قد حددت مجال تحليلها من خلال محورين كبيرين، الأول يغطي الثنائية التي أصبحت مألوفة والتي تقسم النخب إلى تقليديين وعصريين، والثاني يدرس علاقة كلا المجموعتين حيال السلطة السياسية.
وفي الحالة الأولى والتي ميزت خاصة طريقة التناول الفرنسية، فقد تم التطرق وتحليل العلاقات بين المجموعتين الفرعيتين المكونتين للمجموعة الأم والمسمّاة بالنخب. أما في الحالة الثانية والتي ميزت طريقة التناول الأنجلوسكسونية فقد تم وضع كل المجموعة الأم في علاقتها مع السلطة السياسية. ففي الحالة الأولى كان البحث مركزا خاصة على تحديد الخصائص الاجتماعية الثقافية لكل مجموعة فرعية، ونوعية العلاقات (نزاعية أم لا) التي تقيمها كل مجموعة فرعية مع الأخرى، وفي الحالة الثانية، فقد تم الاتجاه نحو دراسة مستوى إدماج هذه " النخب " ضمن السلطة السياسية.

1) الأصول والانتماءات الطبقيّة :

إذا ما تحدّثنا عن النخب في الجزائر، يتعلق الأمر إذن بمحاولة رسم نوع من الطبولوجيا للمجال الاجتماعي الثقافي (الحالة الفرنسية) أو الثقافي السياسي (الحالة الأنجلوسكسونية) معتمدة على مبدأ تحليل " علاقات القرب " بين وحدات تنتمي لنفس المجموعة أو مجموعات مختلفة، وهكذا فقد تم تحديد هذه الوحدات أو علاقاتها فيما بينها أو علاقاتها إزاء السلطة السياسية، وفي أحين وضعية الاقتراب.
لكن ما هي هذه الوحدات نفسها، هذه النخب، هؤلاء النخب الصناعيين التقليديين أو العصريين ؟
القليل من الدراسات فقط تطرقت لمسألة أنطولوجية الوجود الاجتماعي لهذه المجموعات، لمسألة اندماجها ضمن المجتمع المدني.
فقد سيطرت الوضعية هنا سيطرة كلية، كما انغمست الدراسات بسذاجة في التراث الأمبريقي لميدان بحث مهذار، فقد تم التطرق إلى الأنساب والتاريخ، إلى الإحصاء والبيبلوغرافيا، كما وضعت منهجيات دقيقة لحصر موضوع لم تطرح حوله الأسئلة الأساسية والمتعلقة بشروط إمكانية، إن الأدلة السوسيولوجية لوجوده متوفرة فهي كثيرة ومتنوعة، معطيات إحصائية، كتب ...، ولم تكن هناك حاجة لطرح السؤال حول مسألة وجوده الأنطولوجي، وهي نفسا لطريقة التي ردّ بها علماء الفاتيكانو الذين كانوا مهتمين بمتابعة الكواكب " حول " الأرض على غاليلي الذي كان يرى أن هذه الحركة الظاهرة ما هي إلا نتائج تقوم للرؤية بإخفاء النظام الحقيقي والفعلي.
إن هذا الرفض لهذه السوسيولوجيا والتي ما هي إلا شكل خاص للوضعية في علم الاجتماع هو الذي دفعنا إلى إعادة طرح مسألة النخب الصناعية متسائلين في البداية عن شروط وجودها، وعن إمكانياتها، قبل الدراسة الميدانية للأشكال الأمبريقية لانتشارها في المجال الاجتماعي والزمن التاريخي، وعلى هذا المنوال لابدّ

من البحث عن الأدلة الأنطولوجية لوجود النخب الصناعية في اتجاه المجتمع المدني، لأننا نعتقد أن علاقة هذا الأخير بتلك هي علاقة جوهرية " بكل ما تحمله الكلمة، لأنها تكوينية النخب عموما بحدّ ذاتها، كفئة اجتماعية منتجة " أو معيدة لإنتاج دلالات ومعاني اجتماعية ضروري ينظر له ويتقبل على هذا الأساس من قبل الفئات الاجتماعية الأخرى. ومن هذا المنظار، فالمثقفون الذين يعيشون في وسط مغلق لا يكونون نخبة وذلك مهما كان ثراء إنتاجهم، نفس الشيء بالنسبة لجماهير المتخرجين وأصحاب الشهادات الجامعية الذين لا يكونون مثقفين، ومن باب أولى لا يكونون نخب إذا لم تفعل المعرفة المتراكمة فعلها في النظام الدلالي الرمزي للمجتمع.

إن جانب الممارسة هنا له أهمية أكبر من الجانب المعرفي. إن أشكال المعاني المذكورة لا تتوقف على تجانسها أو منطقها الداخلي بقدر ما تتوقف على فعاليتها الاجتماعية، أي بمعنى آخر بقدرتها على أن تكون مشتركة بين أكبر عدد من الأشخاص لتوجيه ممارساتهم الاجتماعية. ومن هذا المنظور فإن خرافة أن الأرض جالسة فوق قرني ثور، في نفس الوقت الذي تكون مثل هذه المعتقدات ذات انتشار واسع لدى أغلبية الجماهير، فإن هذه الخرافة تشارك في النخبة أكثر من أي عالم اجتماع صاحب بحوث جيدة لكنها ليست مقروءة إلا من قبل زملائه[1].

يمكن أن نسمي " جاذبية " أو " عضوية " قدرة مجموعة من المثقفين أو النخب الصناعية على إنتاج وإعادة إنتاج معنى اجتماعيا، أي مجموعة أفكار ذات دلالات اجتماعية في مقدورها بالتالي من تكوين وتوجيه كل أو جزء من المجتمع المدني الذي تتواجد فيه هذه المجموعة، أي أنها تساعد على توجيه ممارسة اجتماعية[1].

انطلاقا من هذا التساؤل الأساسي والذي يكون موضوع دراسة النخب الصناعية، يمكن أن تتمفصل تساؤلات أخرى، من ذلك مثلا طبيعة إنساق الدلالات المنتجة (الإيديولوجيات) وتوزيعها الاجتماعي (منطق طبقي أو متعدد الطبقات ...) العلاقات التي تقيمها فيما بينها مختلفة الأنساق (تخالف، توازي، تضاد، ...)، ذريعة اقترابها إلى المراكز السياسية للقرار، شروط إنتاجها وإعادة إنتاجها (جامعات، مساجد، مجموعات سرية، ...) ووسائل جسمتها (الإعلام الرسمي، السينما، التلفزيون، الكتب، الشرائط).

نعتقد أنه انطلاقا من هذا التساؤل يمكن أن تكون هناك سوسيولوجية النخب أي تلك الدراسات الإمبريقية وغير الإمبريقية لنشأة وهيكلة قنوات المعاني التي تكون النسق الرمزي للمجتمع والذي يعطيه هويته الخاصة.

عند تحليل النخب الصناعية لابد من التفريق بين مستويين متطابقيين لهذين البعدين الأساسيين، كذات مثقفة، فالنخبة تنتج أو تعيد إنتاج نسق أفكار وتمثيل يمكن أن يكون مجالا لتحليل محتواه وذلك بهدف نسبه وتجانسه الداخلي، عقلانيته وعلاقته مع الأنساق الأخرى، خصائصه النظرية الكاملة، عصريته أو تقليديته، دينيته أو علمانيته[2].

وكوجود اجتماعي فلابد على النخب الصناعية أن تنتج معاني ودلالات أي أفكار لها معنى اجتماعيا، وذلك زيادة على إنتاجها للأفكار، وعلى التحليل هنا أن يقيس مدى البعد الدلالي لهذه الأفكار أي مستوى جاذبيتها، وهنا لابدّ من الإشارة أنه لا توجد علاقة ميكانيكية بين النتائج النظرية لأي نسق أفكار ونتائجه الدلالية، بين نجاسة المنطقي وجاذبيته الداخلية، فالأفكار الصحيحة تستولي بالضرورة على الجماهير، في حين أن أفكارا غير متجانسة يمكن أن تكون لها فعالية اجتماعية أكثر مما هو منتظر، فالنازية والتي تعتبر من الوجهة النظرية العلمية والمنطقية

زيغا لا يمكن تصديقه تمكنت من جذب وراءها ملايين من الناس اعتبروا عقلانيين، في نفس الوقت الذين كانوا يعتقدون فيه في عقلانية هذه الإيديولوجية، فقوة جاذبية فكرة اجتماعية ما لا تقاس بصحة جوهرها كما أن عضوية النخب الصناعية لا يمكن ردها إلى درجة عقلانية نسق الأفكار المنتجة لها.
عند تحليل نخبة صناعية معينة، لابد من أن نفرق بين هذين المستويين وبالتالي لابد من الانتشار المتوازي بين هذين المستويين، مستوى الأفكار ومستوى الدلالات أو المعاني، المستوى النظري والمستوى العضوي، إنها الرؤية التي يمكن بها دراسة الحالة الجزائرية.

2) دور ومكانة الجامعة :

لقد غدت الجامعة في العصور الحديثة وفي الكثير من البلدان النواة الأساسية في خلق النخب، فبالنسبة للجزائر المستعمرة ورغم الطابع الغامض للجامعة الجزائرية في ذلك الوقت، فقد استطاع الطلبة الجزائريون لعب دور مهم في تشكيل ثقافة وطنية كانت ضرورية لحركة التحرير الوطنية، إلا أن الأمور قد تغيرت كثيرا بعد أكثر من عشرين سنة بعد الاستقلال، فنحن بعيدون عن معطيات الوضعية الاستعمارية، والأرقام هنا لتأكيد ذلك.

في سنة 1954 قبيل اندلاع حرب التحرير في الجزائر، كان هناك ألف خرّيج جامعي من ضمنهم 354 محامي، و 165 طبيب، صيدلي، وطبيب أسنان، و 350 موظف (من ضمنهم 185 أستاذ ثانوي) وحوالي 100 ضابط في الجيش الفرنسي وأقل من 30 مهندسا، في حين كان أقل من 14% من السكان الجزائريين يعرفون القراءة والكتابة من ضمنهم الربع فقط باللغة العربية[3].
عشرون سنة بعد ذلك عرف الوسط الثقافي تغييرا جذريا، فهناك ست ملايين طفل في مختلف مستويات التعليم وحوالي 200 ألف طالب جامعي، وحوالي 10 آلاف أستاذ جامعي، و20 ألف أستاذ في مختلف مراحل التعليم الأخرى، و15 عشر ألف مهندس.
إن التقهقر الثقافي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي يقضي عليه حتى وإن كانت نسبة الأمية لازالت تقارب 50%[4].
من علامات هذه المرحلة الآن أن المتخرجين خاصة ذوي التخصصات الاجتماعية لا يجدون عملا بعد تخرجهم، وفي أحسن الحالات يحصلون عليه بصعوبة كبيرة، في حين كان الحاصل على شهادة البكالوريا المسلم في الجزائر المستعمرة يعتبر مثقفا من أعلى المستويات، إن هذا التطور الكبير والسريع في عدد المستفيدين من المنظومة المدرسية بجميع أنواعها، والجامعي كان به تأثير مباشر في " نشر الأنوار والرفع من المستوى الثقافي الاجتماعي " بصفة عامة إلا أن من مفارقات هذا الوضع غير المنتظرة هو التغيير الذي حصل في دور الجامعة الذي كانت تقوم به في المجال الثقافي الوطني.
وبالفعل فإن خريجي الجامعة الجزائرية بفعل عددهم الكبير نسبيا لم تعد تلك المكانة السابقة التي كانت لأسلافهم في خريجي الخمسينات والستينات، فالتطور الكمي الكبير الذي عرفته المنظومة التعليمية أدّى إلى ابتذال منتوجها وهي الشهادات الجامعية وبالتالي حامليها من خريجي الجامعات.

حاملو الشهادات هؤلاء الذين تواضعت مستويات مطالبهم وخاصة تلك المتعلقة باعتبارهم كجزء من المثقفين، فحاليا لا يعتبر الخريج من الجامعة جزءا من المثقفين لأن هذه الصفة لا تمنح إلا لعدد قليل من الأشخاص، وهذا الوضع الذي أدّى إلى فقدان هيبة الشهادات الجامعية، حتى وإن لازالت تمنح وضعا اجتماعيا معينا فإنها أساسا لا تمنح الحق في اعتبار حاملها مثقفا، فالجامعة الجزائرية لم تعد المعون الوحيد للمثقفين في الجزائر. إن هذا الابتذال الذي عرفه وضع خريجي الجامعات كان له نتائج أخرى على مستوى إبعاد الجامعيين عن مراكز القرار السياسي، فقبل الاستقلال وفي سنواته الأولى ومن جراء ندرتهم كان خريجو الجامعة مطلوبين كثيرا لممثلي السلطة على المستوى المحلي أو المركزي، هذا الوضع كان يجعل المثقفين يقومون بدور " مستشاري الأمير " إن تعلق الأمر بمسؤولي السلطة على المستوى المركزي المحلي أكانوا في الحزب أو الإدارة أو أي مركز قرار آخر.

ومن جراء هذا الاقتراب من السياسي فإن الجامعيين كانوا " مسيّسين " وينظرون لهذا البعد السياسي كامتداد طبيعي لوظيفتهم. إن هيبة الجامعة كانت لدرجة أن السياسيين أصحاب الشرعية التاريخية الأكيدة، كانوا في بعض الأحيان في حاجة للدخول للجامعة للحصول على هذه " الشرعية الجامعية " والتي أصبحت ضرورية للعمل السياسي، وقد رأينا في هذا الصدد بالذات آلاف المناضلين السابقين في جيش التحرير الوطني وحزب جبهة التحرير الوطني يتسابقون عند الخروج من العمل السري نحو مقاعد الكليات الجامعية.

فالابتذال الذي عرفه خريجو الجامعة من جراء عددهم لا يجعلهم يطمحون إلا في دور " الكاتب " لدى ممثلي القرار السياسي، هذا إذا لم يتقربوا في نشاط تنفيذي ذي مهارات معينة، ونتيجة لذلك فإن البعد السياسي لعملهم لم يعد موجودا ولا يظهر إلا في الدفاع عن مصالحهم الفئوية، فقد كانوا إطارات للثورة ثم الأمة، أما الآن فلم يصبحوا إلا موظفين مؤهلين ضمن مجتمع أكثر تعقيدا.

إن النتيجة الأولى للتطور الثقافي الكبير الذي عرفته الجزائر المستقلة يبدو للعيان على مستوى التغيير الذي عرفه دور الجامعة من جراء تغيير مكانتها ضمن المجال الثقافي للمجتمع، فبعد أن كانت النواة الأساسية للعمل الثقافي الوطني قبل الاستقلال وفي سنواته الأولى لم تصبح الآن إلا جهازا عاليا للتكوين يحاول قدر الإمكان تحقيق وظيفية اقتصادية واجتماعية أكثر من أي ادّعاء آخر في جميع نخب البلاد حولها.

فمن المفارقات أن الجامعة من خلال ديمقراطيتها وجمعتها قد فقدت هيمنتها الثقافية التي استطاعت أن تكون لها في المجال الثقافي للمجتمع.

إن فقدان الهيمنة هذا كان من النتائج غير المنتظرة لسياسة التعريب التي طبقت ابتداء من السبعينات، هذه السياسة التي غيرت كثيرا من المجال الثقافي للمجتمع، وفي هذه الحالة بالذات فنحن جد بعيدين عن الفترة الاستعمارية التي كانت فيها اللغة العربية تدرس بطريقة سيئة وكلفة أجنبية ولا تكتب إلا من قبل أقل من 4% من الجزائريين، هذا الوضع أدّى بأحد الملاحظين الاستعماريين الأجانب إلى الصراخ قائلا : " إن لغة هذه البلاد لا تحتل أي مكانة ضمن المنظومة التعليمية الرسمية لدرجة أن الكثير من الطلبة الأهليين لا يعرفون التكلم أو الكتابة بلغتهم الأم ".

لقد تمت المحافظة على اللغة العربية كلغة عصرية من خلال مدارس جمعية العلماء المسلمين التي كان تمول من قبل المجهودات الخاصة، وذلك رغم العراقيل التي فرضت عليها من قبل الإدارة الفرنسية[5].

أما بعد الاستقلال فقد كانت مهمة استرجاع مكانة اللغة العربية من المهام الكبرى التي نفذت بضجة كبيرة وتولدت عنها نتائج كمية كبيرة كذلك.

إن نتائج العملية لم تكن كلها إيجابية، فإن كانت قد حطمت احتكار النموذج الفرنسي المسيطر من منابع انتشاره، فإنها لم تكن قادرة على إنتاج منافس بحيث أن دعاة التعريب كانوا يستلهمون وسائلهم ومثلهم من الدول العربية التي بقيت هي الأخرى تابعة لمستعمريها السابقين.

إن تملك الجامعة للغة العربية قد أدى إلى انخفاض في المستوى الثقافي لأدائها البيداغوجي (التربوي) من دون أن يفضي ذلك إلى القضاء الخارجية التي أتت مع التجارب العربية، وأكثر من ذلك فإن الوضع الجديد لم يقض على الصراعات أو حتى تخفف منها والتي كانت موجودة في الفترة الاستعمارية بين " النخبة التقليدية " المكونة في المدارس والجامعات العربية (الزيتونة في تونس، القرويين في فاس والأزهر خاصة) و " النخبة العصرية " المكونة في المنظومة التعليمية الفرنسية بكل مستوياتها ومنها النخبة الصناعية.

بل إن الأدهى من ذلك أن هذه النزاعات قد تضخمت وانتشرت في القطاعات الأخرى التي كان تعريبها أكثر بطأ، فهكذا نجد أن القطاعات الاقتصادية التي لازالت تسير أساسا باللغة الفرنسية لازالت رافضة للمتخرجين المعربين وبعيدة كل البعد عن تأثير الجامعة. إن هذا الواقع قد أوجد تقسيما يمكن أن يؤدي إلى تقوقع للمجال الثقافي المعتمد على الجامعة بتقسيمها إلى مجموعتين، الأولى وتمثل العلوم الإنسانية المعربة والثانية تحتوي على العلوم الطبيعية، والمدعوة إلى الإفلات من سيطرة اللغة العربية حتى وإن كان ذلك جزئيا، إذن علوم وضعية باللغة الأجنبية وعلوم معيارية باللغة العربية، باختصار مهندسون مفرنسون وعقائديون معرّبون.

إن ديناميكية إعادة تملك اللغة الوطنية قد تجاوزت بنتائجها حدودها وتولد عنها انقسام النظام الجامعي، فالمنطق النزاعي الذي يسير العملية والمعتمد أساسا على الفرز اللغوي يقسم حسب محاور متباينة ليس فقط تخصصات مهنية ولكن كذلك معايير وقيم مختلفة. فالجامعة التي كان منتظرا منها أن تكون نواة مفضلة في خلق نخب انقسمت إلى مجموعتين لا توجد أي إمكانية حقيقية حاليا للتوفيق بينهما، بل أكثر من ذلك فإن شساعة البعد الذي يفرق المجموعتين والذي دعم أكثر من خلال الصراعات الفئوية (تقسيم اقتصادي واجتماعي مختلف لكل مجموعة) والسياسة الإيديولوجية (شرعية تقنية للمهندس واجتماعية للطبيب وأخلاقية للمؤرخ)، إن هذا البعد إذن قد تواصل أكثر من خلال الحياة العملية التي قوقعت كل مجموعة في قطاعات معينة (الثقافة والتعليم والإعلام للمجموعة الأولى، والصناعة والفلاحة والهياكل القاعدية للثانية)، إن هذه المؤازرة تمنع أو على الأقل تعرقل كل إمكانية للحوار الجدلي، فكل مجموعة تنتشر حسب منطقها الخاص وانطلاقا من مبدأ النفي للآخر : فالمعيارية المتكررة للمجموعة الأولى تتلامس دون لقاء، اللهم في مواجهة ربما براغمتية الثانية[6].

إن عملية الانقسام هذه التي يعيشها النظام الجامعي ستؤدي على المدى الطويل إلى حدوث عملية تحطيم ذاتي للجامعة كممون ذي وضع رئيسي للمثقفين ضروري لتكوين نخب، فالمجموعة الأولى قد أنتجت فعلا مؤشرات موجهة، أشخاص حاملين

لنسق معاني لكنه يسير في الفراغ لأنه ضعيف الالتصاق بالممارسة المباشرة للمجتمع والثراء الأمبريقي لنشاطه، إنهم دلالات من دون مدلول، أي تسيير حسب موعظة " لابد أن تكون " لاتعلم كائن موجود فعلا اللهم على شكل عشوائي لتصورات غامضة وعاجزة عن التحول إلى معرفة.

أما فيما يخص المجموعة الثانية فهي مستمرة في إنتاج أطباء ومهندسين ومسيري مؤسسات لكنها لا تقوم بذلك إلا من أجل أهداف تقنية تعاش هكذا من دون شرعية اللهم " فائدتها الاجتماعية " بكماء فيما يخص الجوانب الأخرى، أشخاص إذن حاملين لتأهيل تقني فعلي لكنهم عاجزون عن تحويله إلى نسق معاني ودلالات " بالمفهوم الاجتماعي أي مدلولات بدون دلالات "، وإذا قمنا بمقارنتهم بالمجموعة الأولى فإنهم كائنات موجودة فعلا " لكنهم لا يعلمون وبشكل لابد أن تكون إلا على شكل تلفيقي، في الحالتين إذن نحن أمام أنصاف مثقفين كل منهما مبتور على نصفه الآخر، محمول من خلال المنطق النزاعي للنظام الجامعي[7] على الانتشار انطلاقا من توزيع المهام – تقنيين من جهة وعقائديين من جانب آخر – عاجزين عن القيام بأي إمكانية للوصول إلى نسق عضوي " وبالتالي التحول إلى مثقفين.

إن تطور النظام الجامعي الجزائري وصل إلى الحد هيكليا من إمكانياته لإنتاج مثقفين، كان يمكن أن يكونوا النواة النشطة لنخب وطنية. إن تطور الحركات الاجتماعية الموجهة من قبل الجامعة الجزائرية أو المنشطة من قبلها ذو دلالات عن التغيير الذي عرفه مكان الجامعة في المجال الثقافي الوطني والتحول الذي طرأ على دورها.

بصفة عامة، يمكن أن نميز منذ الاستقلال أربع أزمنة تاريخية خلال هذه الفترة القصيرة :

1.2) الزمن السياسي : والذي تميز من دون نشاط للجامعة في النضالات السياسية التي رافقت استقلال الجزائر والتي استمرت حتى بداية السبعينات، فالجامعة الجزائرية المتوفرة على نقابة ديناميكية ذات علاقات وطيدة مع النقابات العمالية والفلاحية شاركت إلى جانبهم في النضالات من أجل التمييز الذاتي والحريات النقابية، كما قامت بتدعيم نضالاتها الخاصة من أجل كل أنواع الحريات ومن ضمنها حريات الحرم الجامعي[8].

2.2) الزمن الاقتصادي : والمتميز هو الآخر بالتزام نشاط للجامعة لكنه موجه هذه المرة بنحو المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي برزت مع الثورة الزراعية والتسيير الاشتراكي للمؤسسات. لقد ضيعت الجامعة نقابتها (الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين)[9] واستقلاليتها التي ناضلت من أجلها كثيرا، لكن المنظمة الجديدة (الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية) سمحت لها بالظهور في المدن والأرياف، كما ظهرت كذلك في ميادين جامعية أخرى كاللجان البيداغوجية والندوات الوطنية ...[10]

3.2) الزمن الثقافي : والذي يبدأ عند بداية الثمانينات، والذي برز من خلال الصراعات العنيفة بين الطلبة أنفسهم ... العلمانيين ضد الإسلاميين، البعثيين ضد البربريين، ...، هذه الصراعات الطلابية التي وجدت تجاهلا من قبل المجتمع المدني المتعب من جراء صعوبات الحياة اليومية[11].

4.2) الزمن الأخير والذي يمكن أن نصفه بأنه زمن السلبية المطلقة، فالجامعة من خلال نفيها لدورها كنواة نشيطة للنخب بشكلها السياسي الاقتصادي أو الثقافي قد دخلت ضمن الصفوف لمواجهة الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية مع المؤسسات الأخرى.

بالطبع إن هذا التطور الذي عرفته الجامعة الجزائرية كان يمكن ألاّ يكون بهذا المستوى من المأساوية بل كان يمكن أن يكون عاديا إذا أنابت عن الجامعة في دورها الأوحد في مد النخب بالمثقفين مؤسسات أخرى وذلك للقيام بنفس الدور، فنكون بذلك قد انتقلنا من النظام الموروث عن فرنسا والذي استمر حتى السبعينات والمتميز بالاحتكار الكلي للجامعة للمجال الثقافي الوطني إلى نظام آخر أكثر تنوعا وأكثر توازنا، وبالطبع أقل مركزية.

لكل شروط كثيرة كان لابد من توفيرها حتى تكون مثل هذه الإمكانية قابلة للتحقق، شروط يرجع البعض منها إلى النخب أنفسهم، وأخرى متعلقة بالمجتمع المدني، والأخيرة ذات صلة بالدولة والنظام السياسي، لكن للأسف فإن هذه الشروط لم تتوفر بالنسبة للجزائر مما أدّى إلى القضاء على العلاقة المتميزة بين جامعة – نخب، بل أكثر من ذلك إلى عدم توفر إمكانية بل استحالة إيجاد نواة أخرى لاستقطاب المثقفين، ليرى بالتفصيل هذه الشروط الثلاث.

3) النخب الصناعية والتماثل الثقافي الوطني :

ألفت العديد من الكتب التي تناولت التأثير الثقافي لاستعمار فرنسا للجزائر وخاصة منها تلك التي تناولت مسألة استثمار القدرات اللغوية للمجتمع الجزائري[12].

مع بداية هذا القرن، وبعد سبعين سنة من النهب الاستعماري، كانت القلة القليلة من الجزائريين فقط تعرف القراءة والكتابة باللغتين العربية والفرنسية، حتى الذين كانوا يعرفون أو يحسنون اللغتين لا يمثلون إلا فئة جد محدودة لا جذور لها بحيث كانت منقطعة عن باقي أفراد الشعب لا لشيء إلا لأنها تعرف الكتابة.

إن النخب الصناعية الأولى في الجزائر العصرية آنذاك هم تلك الفئة التي كان البعض منها يعرف كتابة اللغة الفرنسية والبعض الآخر يعرف كتابة اللغة العربية، إلا أنه لا هذا ولا ذاك كان يجيد التكلم ولا الكتابة بلغة المجتمع. كانت لهذه القطيعة أو لهذه العزلة تأثيرات جد خطيرة ومأساوية ليست فقط على تطور المجتمع بل خاصة على النخب الجزائرية.

في الوقت الذي كانت فيه اللغات واللهجات المحلية تفتقر يوما بعد يوم من حيث المحتوى والترتيب – حتى أصبحت عاجزة بأن تعبر عن الواقع – كانت عربية " جمعية العلماء " أو عربية المصلحين تتعالى عن اللغة الشعبية بنوع من الاحتقار، بل وترفض حتى التعامل معها[13]، في هذه الظروف كانت جاذبية اللغة الفرنسية السبب في إبعاد متكلميها وكتاتيبها وانسلاخهم عن أصلهم الشيء الذي أدى إلى عدم قدرة البعض على الكتابة ولا حتى النطق باللغة الأصلية للمجتمع[14].

النخب الجزائرية الأولى منذ البداية عرفوا الانفصال والانسلاخ عن مجتمعهم بفقدان الارتباط العضوي المتمثل في " الحبل السري " الذي لا يمكن أن يتمثل في غير اللغة. لقد أدى هذا الانفصال إلى هروب فئة المثقفين بحيث التجأ بعضهم إلى أبطال شرق الأوسطين بحثا عن لغة " تقليدية " لغة العصر الذهبي وبحثا عن قيم وطرق تمكنهم من فرض أنفسهم في الحقل العلمي الجزائري – دون أن يتم ذلك

عن طريقة التغلغل والانغراس داخل المجتمع المدني – أما البعض الآخر فراح يستمد ويتعرى من التراث الثقافي لفرنسا وقيمها لعله يجد ما يساعده على مكافحة الاستعمار الفرنسي. إن هذه الفئة الأخيرة لم تستطع التغلغل داخل الوعي الوطني الجزائري.

كان هم العلماء الوحيد (جمعية المصلحين) هو محاولة إصلاح المجتمع عن طريق محاربة الفكر الخرافي، وبعث الإسلام، دون أن يحاولوا فهم واستيعاب المجتمع من الداخل، أما الفريق الثاني فراح يتحاور مع المستعمر الفرنسي راجيا من وراء ذلك تخفيف وتلطيف القمع المسلط على الجماهير. وبالنسبة للفريقين بقيت الجماعة الوطنية كائنا ثقافيا العلامة العمياء لنظرتهم، بحيث لم يتمكن لا هذا ولا ذاك من رؤية هذا الكائن الثقافي[51].

وباسم سلطة الكتابية أي معرفة كتابة اللغة، وليس باسم الاندماج العضوي الثقافي كان الجميع يدعي تمثيل الشعب والتكلم باسم المجتمع.

إنه لمن المدهش حقا أن نلاحظ – طيلة المرحلة الممتدة ما بين بداية القرن لغاية اندلاع ثورة التحرير الوطني سنة 1954 – أن المجتمع الجزائري – لم يعرف يقظة ثقافية مثل تلك التي رافقت صعود الوطنية وظهورها في البلدان الأخرى[16].

إن الجزائر لم تعرف بوشكين ولا قوقول، أو أولئك الذين قاموا بثورة اللغة الروسية، ولا الرومنسيين الألمان الذين أعطوا لأمتهم الآداب النبيلة والأصيلة، كما أن الجزائر لم تعرف لوسين، أي أولئك الذين قلبوا أوضاع الكتابة وثوّروا لغة بلادهم، ليس فقط لتصبح لغة وطنية عصرية بل لتصبح لغة عالمية.

إن اختلاف نخبنا في الجزائر عن نخب البلدان الأخرى، يرجع حسب اعتقادنا إلى مدى اختلاف ارتباط هذا وذاك بمجتمعه وبعده الثقافي، وكذا لغته وقيمته[17].

4) النخب الجزائرية تعالج الأفكار :

انطلاقا من نماذج مستعارة شرقا أو غربا، بعيدة عن واقع مجتمعه، فإن النخب الجزائرية هي منتجة لإيديولوجيات منطلقة من : ما يجب أن يكون، وأما نخب المجتمعات الأخرى فتصنع وتبني معاني انطلاقا من أدوات مجتمعية وثقافية محلية، وهم بهذا –أي النخب- يتواجدون كنخب تسوغ وتبلور ثقافتنا الوطنية من موسيقى وشعر وقصة انطلاقا مما هو موجود فعلا بمجتمعاتهم.

لقد كان لعضوانية النخب الجزائرية، خلال هذه الحقبة الزمنية تأثيره السلبي ليس فقط على تطور المجتمع الجزائري وإنما على النخب نفسها[18].

وبناء على ما سبق ذكره، استسلم نسبيا المجتمع المدني لنفسه وأصبح ينشر بعده الثقافي حسب ديناميكية حددتها الظروف الاجتماعية والاقتصادية من جهة، والقلة القليلة من التراث المتبقي والذي لم يدمره الاستعمار الفرنسي من جهة ثانية.

كان للمجتمع الجزائري حينذاك أبطاله وقيمته، بحيث واصل إعادة إنتاج أنماطه الثقافية من موسيقى وشعر وعبادة الأولياء وممارسة الدين ... أي كان يخلق ثقافته الخاصة به والتي أصبحت هي بدورها مغايرة ومختلفة عن ثقافة المثقفين لكونها " ثقافة شعبية ".

وهناك إذن ثقافتان تطورت كل واحدة منها بجنب الأخرى، وكانت الكتابة هي السبب في الفصل بينهما، أي بين ثقافة شعبية منطوية على نفسها، ومعزولة في بعض الأقاليم والمقاطعات محدودة في مآثر القبائل وعادات العشائر ولغة متحجرة وجامدة تحولت إلى لهجة إقليمية طغت عليها الإيطالية والإسبانية والفرنسية، وبالتالي أصبحت نائمة في السلفية ومتشبثة بالمنطق التكراري الذي يعد نفسه شبيها بالغريق الذي يتوسل النجدة. ثم أصبحت هي بدورها ثقافة " للمقاومة " بغية الحفاظ على نفسها[19].

أما بالنسبة للنخب الجزائرية، فكان عليها دفع ضريبة عضوانيتها، لقد قاموا بالتخلي عن الحقل الثقافي الثري والواسع وكنموه من أفكارهم، تلك الأفكار التي افتقرت إلى الدلالات الاجتماعية وافتقرت التأثير والممارسة العملية.

وتميزت النخب بعجزهم عن تحويل إنتاجهم الفكري إلى ثقافة، وبعدم القدرة على أن يتحولوا هم أنفسهم إلى نخب. فعلا لم تكن هناك الوساطات الضرورية لهذا التحول إلا أنه كان من الضروري إيجادها وخلقها، وهذا بإعادة توجيه شامل لنظرتهم المحورية وضرورة تثوير وتغيير آفاقهم، وهذا ما لم يتوصلوا إلى تحقيقه ويظهر ذلك جليا من خلال كتاباتهم حيث نلتمس فيها فقدان الوعي بالانتماء للجماعة المحلية. هذه الأخيرة كانت ممثلة في كتابات المثقفين وكأنها مجموعة فقيرة عديمة الوعي والحيوية في حاجة إلى الدعم الخارجي.

الشعبيون الروس قاموا بدورهم عندما ناضلوا من أجل الترقية الاجتماعية للشعب ورفعه إلى رتبة الفئة العلياء والراقية. والرومنسيون الألمان مجدوا وعظموا تاريخ أمتهم حتى جعلوه أسطوره، كما أن محبي هنود أمريكا ومساندهم بجلوا ومجدوا مآثر الأزتيكين وجميع النازيين قديما في المكسيك، أما إذا عدنا إلى النخب الجزائرية فنجدهم قد مارسوا نشاطهم داخل المجتمع الجزائري بنوع من التذليل والشعور بالنقص، ورغم النكسات العديدة والمتكررة التي عرفها الاستعمار فقد كانوا دائما يحطون من قيمة مجتمعهم ويحتقرونه، لم يؤمنوا أبدا بقدرات مجتمعهم ولا بحيوية تطوره، بحيث كان همهم الوحيد المناقشة والمجادلة في الظلام، وبدلا من البحث عن أدوات ممارستهم محليا التجؤوا خارج مجتمعهم المحلي بحثا عنها.

كانوا ينظرون إلى المجتمع وكأنه هدف يجب الوصول إليه وإصلاحه، وليس كقاعدة أساسية لانطلاق الممارسة. وهم –أي النخب- إما متشبثون بالعروبة أو الإسلام وإما بفرنسا أو حتى بأوروبا، إلا أنهم لم يكونوا متشبثين " بجزائريتهم ".

في الوقت الذي كان فيه بلزاك يطوف الضواحي والقرى الفرنسية، وعندما كان قوقول يدرس بدقة فلاح " الأرواح الميتة " أو بيروقراطي " المعطف " وعندما كان كذلك رومنسيو ألمانيا يعيدون بدقة تشكيل سلالة أساطيرهم، كان النخب في الجزائر يبحثون عن نماذج سعودية أو فرنسية يطبقونها في مجتمعهم، هذا المجتمع الذي كانوا ينظرون إليه برؤية المصلح لا أكثر.

لقد كانت النخب في الجزائر يتميزون بالانقطاع والانفصال عن المجتمع بسبب معرفتهم للكتابة. ومما زاد هذه القطيعة حدة وبعدا هي طبيعة رؤية النخب الخاطئة لمجتمعهم، وكذا طبيعة الأدوات المستعملة لإنتاج أنسقتهم الفكرية، كل هذه العوامل كانت السبب في هشاشة المثقفين وسهولة ذوبانهم.

وباعتبارهم فئة اجتماعية، فقد كانوا يعيشون على هامش المجتمع المدني وفي مجال ضيق منحته لهم الإدارة الفرنسية علما أن هذا المجال يتميز بالعزلة وعدم الارتباط بالمجتمع[20].

فهم بالنسبة للإدارة الفرنسية ليسوا محرضين أو مثيرين للفتن، وبالتالي لا يجب مراقبتهم مراقبة مشدّدة، أما بالنسبة للمجتمع المدني فهم " مثقفون " لا يمكنهم الاحتكاك بأفراد الشعب لأنهم لا يشعرون بما يشعر الشعب. وبحكم موقفها كفئة مثقفة وبحكم أسلوبها وتصرفاتها فإنها ترفض الرجوع إلى الثقافة المحلية وبالتالي فهي منتجة لأفكار لا يمكن أن يقال عنها إلا أنها عقيمة وجامدة.
وزيادة على ذلك، فإن تطور المجتمع وحيويته تجاوزت بكثير فئة النخبة التي لم تهتم إطلاقا لا بتطور ولا بحيوية هذا المجتمع. كان هم النخبة الوحيد هو المجادلة والمناقشة حول مكانة الجزائر ضمن الإمبراطورية الفرنسية[21].
وفي الوقت الذي كانت فيه النواة الوطنية الأولى تناقش مسألة الاستقلال، كان ينبغي عليهم سبق الأحداث لكونهم نخبة مثقفة، ولكنه لم يحصل ذلك.
لقد طال تأخرهم لمدة جد طويلة عن الأحداث وتميزوا بالذيلية، حتى كسحتهم وحستهم الأحداث الهامة وقضي عليهم كنخب نتيجة تصاعد وتطور الوطنية والقومية الحديثة.

5) النخبة والدولة:

إن الغياب النسبي للنخبة الجزائرية في التجربة الوطنية كان بمثابة السبب الرئيسي لضيق وقيد البعد الثقافي للحركة الوطنية ومجالها السياسي، الشيء الذي أدى بالنظام السياسي، نظرا لأصله وتطوره، أن ارتاب من المثقفين وأن يحتقرهم ويراقب نشاطهم.
ولكونهم خدم الثورة فعليهم الاستمرار في خدمة الدولة. إن هذه النظرة "الوظيفية" لدور النخبة التي التزمتها المرحلة الثورية أصبحت مسألة وهينة يتعذر الدفاع عنها بعد الاستقلال بالنسبة للجميع.
ونظرا لانعدامها على نخبة، تمكنت الدولة م الاستحواذ على النخبة لخدمتها، حتى وإن هم ليسوا بنخب، نظرا لافتقارهم معايير النخبة بحيث أصبحوا لا يصلحون لأي خدمة.
لقد أصبحوا موظفين لا ينتجون الأفكار ولا المعاني ولا الدلالات. إن استرقاق الكبار وإكراههم أمام الهجمة الثورية وديناميكيتها كانت السبب في ذلك. وهكذا وبعد مرور اللحظات الثورية ازداد استرقاقهم وعقمهم.
إن نخبة الجيل الثاني الأكثر شرفا واستقامة قد التجؤوا إلى صمت وعزلة السفارات أو المصانع، فهم يدرون ببراعة شؤون العلاقات الخارجية وتقنيات الإنتاج، وأما بشأن القضايا الأخرى فلا يتجرأ أحد على التدخل فيها.
أما بالنسبة للجيل الجديد فقد غرق داخل الوظيفة الموروثة عن أجداده معتقدا بكل سذاجة شكل وجوده الاستثنائي.
لقد اقتصرت وظيفة هذا الجيل الجديد في القالب الذي خططه النظام البيروقراطي بكل دقة قصد تدمير أوضاع وعوامل النخبة، وهكذا أصبح هذا الجيل عبارة عن قناة قولبها النظام البيروقراطي[22].

- **الخلاصة:**

لقد فقدت الدولة إمكانية الهيمنة الثقافية على الجماهير باسترقاقها النخبة وخضوع هذه الأخيرة لها.
تلك هي المتغيرات العميقة التي حققها المجتمع المدني منذ الاستقلال. إن الزوج المتمثل في الاستقلال والشعب فقد نشاطه الإيديولوجي كما فقد الحزب الوطني هيمنته على الجماهير.
وهكذا بعدما كانت نيابة النخبة ثانوية وهامشية أصبحت الآن ضرورية، وبدلا من أن يستمر التطور في هذا الاتجاه، يعيد حاليا النظام السياسي ويكرر تجربته الماضية بحيث يفتقد في آن واحد النخبة والمجتمع المدني، وفي هذه الظروف قامت العديد من التيارات المناهضة للتطور لتؤثر وتوجه المجتمع المدني بدلالات وممارسات يتعذر الجمع بينهما.
وللمرة الثالثة وجدت النخبة الجزائرية نفسها، وفي أقل من قرن، مضادة ومعاكسة لتاريخ مجتمعها[23].

• الهوامش:

(1) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 22.

(2) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية في الجزائر، مرجع سابق، ص 28.

(3) G. Perville : les étudiants algériens de l'université française, 1880-1962, p : 39.

(4) س. بدراني، استراتيجيات التنمية الاجتماعية في أفريقيا الشمالية، المركز الوطني من أجل الاقتصاد التطبيقي، الجزائر، 1986، ص 13.

(5) قدرت عدد المدارس المسيرة من قبل جمعية العلماء بـ 200 مدرسة وحوالي 35000 تلميذ. انظر فيما يخص دور العلماء كتاب ع. مراد : الإصلاح الإسلامي في الجزائر، 1925-1940، دار النشر موتون، باريس، لاهاي، 1967.

(6) مصطفى الأشرف، الجزائر : أمة ومجتمع، ترجمة : حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص : 26.

(7) إن كل الأنظمة الجامعية تنزع نحو إعادة إنتاج تقسيم المجتمع إلى قسمين، فالتخصصات الاجتماعية تتميز بمجموعة من المميزات تختلف بصاعد التخصصات التقليدية أي اختلاف المهندس عن الفيلسوف والأدبيين عن العلميين، لكن هذا الاختلاف يؤدي كما هو الحال في الجزائر إلى انغلاق وتقوقع كل مجموعة فرعية، حيث نجد مثلا الكثير من الفلاسفة ينطلقون من آخر الاكتشافات العلمية في الفيزياء وغيرها من العلوم الأخرى للتفكير، كما فعل ذلك أفلاطون لكن بوسائل عصرية في مواضيع مثل " الزمن " و " الحياة ". نفس الشيء بالنسبة لعلماء الاجتماع الذين ينطلقون كذلك في أعمالهم مستعملين لآخر الاكتشافات في حساب المجموعات الرياضية. فالمبالغة المرضية في تقييم العامل اللغوي لعب في الجزائر دور عائق إضافي زيادة على العراقيل الأخرى لجعل إمكانية الحوار صعبة بين المجموعتين.

(8) القراءات في هذه الفترة كانت مركزة حول مؤلفات م. الأشرف و في قانون منظري التسيير الذاتي، في حين أن النواة الديناميكية للجامعة في هذه الفترة كانت موجودة في كلية الآداب.

(9) الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين، وبث اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين رفض الأمر الواقع المتولد عن انقلاب 19 يونيو 1965 الذي قاده العقيد هـ. بومدين مما جعله يناضل على الجبهتين الأولى ولتحرير المساجين السياسيين وعلى رأسهم الرئيس السابق أحمد بن بلة، والأخرى م أجل المطالبة بحرية التنظيم.

(10) اقتصادية المرحلة جعلت كلية الاقتصاد هي مركز النشاط الجامعي مثلما جعلت مؤلفين مثل سمير أمين، ش. تبلهايم، ق. فرانك على رأس المؤلفين المقروئين، إنه زمن التنموية.

(11) المنظمة الجديدة (الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية) سمحت للنظام السياسي من تذويب الطلبة داخل مجموع الشباب، لكن وبفضل التطوع الطلابي الذي انطلق لتدعيم الثورة الزراعية سمح لهذه المنظمة من النشاط والاقتراب من بومدين.

(12) لقد سيطر موضوع الرجوع إلى الأصل كما توحدت كل المجهودات من خلال كتابة التاريخ والبحث عن الأصول مما جعل التركيز يتم حول م. حربي، ابن باديس وشخصيات النهضة، في حين أن الماركسية تركت مكانها للوظيفة كما سيطرت الاهتمامات الثقافية التي قامت بإهمال الاهتمامات الاقتصادية القديمة، وهو نفس مصير مراكز النشاط السابقة كليات الآداب والاقتصاد.

(13) محفوظ قداش : تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، مرجع سابق، ص : 48.

(14) مصطفى الأشرف، الجزائر : أمة ومجتمع، مرجع سابق، ص : 12.

(15) جمعية العلماء استمدت الكثير من التراث الإسلامي سواء للنهضة أو الحضارة الإسلامية، إلا أنها اقتصرت على أخذ وانتقاء العوامل الأقل حداثة وعصرية. تعلقت هذه الجمعية بشخصية عبد العزيز، مؤسس العائلة المالكة بالسعودية، كما كانت تستمد مبادئها من الوهابية أكثر من مبادئ جمال الدين الأفغاني الأكثر حداثة. وهكذا استمدت من الشرق عناصرها المحافظة محاولة في ذلك بعث الفكر السلفي.

(16) العدو اللدود لجمعية العلماء وهو بدون شك الجمعيات والزوايا الدينية ذات الممارسات الغيبية الخرافية. لقد كان العلماء يكافحون بكل شدة هذه الممارسات أكثر من كفاحهم أو مقاومتهم لسيطرة الثقافة الفرنسية.

(17) المقصود بالمقارنة هنا، من حيث البنية والانغماس في الواقع اليومي، المتمحور حول إعادة الاعتبار الثقافي لتاريخها وقيمتها الحاضرة.

(18) كتب أحد الصحافيين الجزائريين سنة 1930 عن هذه الوضعية قائلا : كم من مرة سمعت أفراد الشعب بما فيهم البرجوازية يشتكون بكل مرارة وأسف من موقف المثقفين الجزائريين، ويمكن تلخيص مأخذهم " لم يهتموا بالشعب وخانوا آمالنا وطموحاتنا وهم يفكرون إلاّ في تحقيق مصلحتهم من جمع المادة والعيش الرغيد، يشاهدون يوميا مآسينا ولا يحركون ساكنا : كأنهم ليسوا من لحمنا ودمنا ".

(19) Mohamed Ben Sia-in : La voie des Humbles. Citée par Kaddache, Tome 1, p.209,

(20) من ابن باديس إلى عباس فرحات، مرورا بابن حبيلس والطاهر بن جلون، نلاحظ ونلتمس دهشة المثقفين آنذاك بالفقر الاجتماعي والثقافي للجزائر، ذلك ما عبر عنه جليا أ. ميمي في موضوعه (كره الذات) الذي نجده يتكرر بطريقة واخزة في أغلبية كتابات المثقفين الجزائريين سواء بالعربية أو بالفرنسية.

(21) من بين الخمسين صحيفة ذكرهم ز. احددان في دراسته، تاريخ الصحافة الأهلية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، فإن معظم الكتاب عاشوا مرحلة قصيرة بسبب مصادرة الصحف والحجز الإداري وسجن المحررين ... ونستطيع أن نذكر بأن غالبية النخب الجزائرية قد فضّلوا هذا النوع من التداخل بدلا من الانغماس في أوساط الجماهير الأمية.

(22) الحركات الثورية، كانت عادة مصحوبة بغليان ثقافي ساعدها على التوسع والانتشار، وهذا ما وقع خلال الثورة الفرنسية 1789، والثورة البلشفية 1917، والثورة الكاسترية بأمريكا اللاتينية وكذا بالفيتنام، كل هذه التجارب عرفت مساهمة النخب في الممارسة الثورية وطليعتها، وهذا ما لم يحدث في الجزائر، إنها فعلا ظاهرة شاذّة. ويكون من المفيد القيام بدراسة سوسيولوجية مقارنة بين سوسيولوجية حزب التحرير ومنظمة التحرير الفلسطينية المناقضة تماما في هذا الميدان للتجربة الجزائرية.

(23) عند تحديده لدور النخب، طلب وزير الثقافة الجزائري إيصال خطاب الثورة إلى الجماهير، لقد أخطأ في تحديد المرحلة وذلك أن الخطاب لا وجود له والثورة قد تغيرت تماما.

الحركة الإصلاحية الجزائرية ودورها في حركة التحرر العربي

د. حميدي أبوبكر الصديق- جامعة المسيلة - الجزائر

الملخص :

يتمحور موضوع البحث حول دور النخبة الإصلاحية الجزائرية تجاه قضايا التحرر العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين وهذا من خلال أقلامهم أو ما نشرته الصحف المعاصرة لهم، أو مراسلاتهم أو الدعم المالي.وقد تنوعت هذه الجهود بين المبادرات الشخصية أو ضمن الهيئات التي كانت موجودة.وكذلك من قبل الشخصيات التي هاجرت إلى المشرق العربي وتونس ، ومن خلال هذا العرض يتجلى لنا الأثر الإيجابي في تعامل للحركة الإصلاحية مع قضية التحرر العربي كقضية موحدة ومتكاملة من جهة وإبراز الفعل التحرري التضامني الجزائري في ظل الظروف الاستعمارية من جهة أخرى.

مقدمة:

تميز الواقع الجزائري في القرن العشرين بالظروف الاستعمارية الحالكة ولكن ذلك لم يحل دون تطلع النخبة الإصلاحية الجزائرية إلى التفاعل مع القضايا العربية والمساهمة في حركة التحرر العربي بالقلم والمراسلة والمال وتعريف المجتمع الجزائري بما يجري في الساحة العربية ، كما نشير إلى ظاهرتين جديرتين بالانتباه في التاريخ الجزائري الحديث حول نشاط الشخصيات الجزائرية الإصلاحية خارج الجزائر أولهما أن هذه الشخصيات كانت كثيرة العدد سواء هاجرت حديثا (القرن العشرين) أو ذات أصول جزائرية.وما يميزها أنها تموقعت في الأوساط العربية وحازت مقاما سياسيا أو إصلاحيا يحضى بالاحترام وخاصة في المشرق العربي وتونس،والكثير منها أقام هناك وصار جزء من النسيج الإجتماعي والإصلاحي بهذه البلدان،ولعب دورا مهما في الأوساط السياسية والاجتماعية والثقافية بها.

والثاني: أن هذه الشخصيات الجزائرية انتقلت إلى خارج الجزائر في ظرف الاستعمار لطلب العلم أو التعريف بالقضية الجزائرية وكشف الجرائم الاستعمارية بها ولكن تعدى نشاط هؤلاء إلى آداء دور عربي من خلال تبني دور الدفاع عن البلدان العربية من ظلم الاستعمار ونفوذه والدعوة إلى إصلاح الأوضاع هذه البلدان وهذا إنطلاقا من أن نهضة هذه البلدان هي قوة متكاملة وليست مجزأة، وقد استخدمت لهذا الغرض عدة وسائل منها الصحافة، والعرائض والمراسلات الموجهة للجامعة العربية وبعض الزعماء والملوك العرب، وأحيانا أخرى إلى سفراء الدول الاستعمارية أو الأمم المتحدة، وشكلت هذه المساهمات كلها زحما سياسيا ودعما إعلاميا ساعد على النهضة الفكرية والوعي السياسي التحرري العربي وهذا باعتراف معظم زعماء العالم العربي، ولذلك ظل الاستعمار يلاحق هذه الشخصيات الجزائرية في الداخل والخارج ويتتبع نشاطهم من خلال سفاراته وقنصلياته ويعمل على تضييق الخناق عليهم، ولهذا كان التنقل من بلد لآخر، ومن خلال هذا البحث المتواضع أردنا أن نبرز الدور الجزائري الذي لعبه هؤلاء لصالح حركة التحرر العربي رغم الظروف الاستعمارية الحالكة، كما لأن معظم

الكتابات التي وجدت تركز على الدعم العربي لقضية الجزائر في حين يغيب عن القارئ العربي المساهمة الجزائرية في نهضة وتحرر هذه الأمة.

ذدورها في قضية فلسطين :

إن اهتمام الحركة الإصلاحية بالقضية الفلسطينية كان منذ ظهور المشكلة ولكنه ازداد بعد تقسيم 1947، ويعود هذا الإهتمام إلى مبدأين الأول أنه بلد عربي مسلم وأولى القبلتين والثاني معاداة الاستعمار واغتصاب حق الشعوب. وكان حدث التقسيم لفلسطين وفق قرار الأمم المتحدة الجائر وقعا ثقيلا عبر عنه الإبراهيمي "إن وباء الظانون ظن الخير بالضميرين الأوربي والأمريكي بما يستحقون من خيبة تعقبها حسرة"[1]، وحمل بريطانيا هذه الجريمة قائلا: "إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره"[2]، وكان الإبراهيمي مشخصا للمشروع الإنجليزي في تقسيم البلاد العربية وإثارة الفتن بينها والحرص على تأمين إسرائيل. وعلى العرب أن يردوا على ذلك باجتماعهم على رأي واحد ومن إرادة ذاتية على مصلحة العرب العامة وليست مصالح الأشخاص وأن الوحدة العربية لا تأتي ثمارها بهذا الصدد إلا إذا كانت شاملة بين الساسة والحكام والشعوب على هدف واحد.

وربط الإبراهيمي بين الانتماء للعروبة والانتصار لقضية فلسطين وقال أنه يعتز بعروبته لدرجة الغلو ويعتد بها إلى درجة التعصب وله بعروبته شرك في فلسطين وإذا لم يؤد واجبه اتجاهها ولم يوف بالعهد وسم بالعقوق لوطنه الأكبر ووصم بالخيانة لدينه الجامع.[3]

وشمل هذا الانتصار المعنوي والشعوري زعماء مختلف رجال الإصلاح منهم أحمد سحنون، وعبد الكريم العقون والسائحي ومحمد العيد خليفة الذي استشعر الموقف بعد التقسيم في شعر بليغ جاء فيه :

فلسطين العزيزة لا تراعي — فعين الله راصدة تراعي
وحولك من بني عدنان — شديد الباس من كل البقاع
وإذا استصرخته للحرب لبى — وخف إليك من كل البقاع
يجود بكل مرتخص وغال — ليدفع عنك غارات الضباع
بليت بهم صهاينة جياعا — فسحقا للصهاينة الجياع
ستكشف عنهم الهجاء سترا — وترميهم بكل فتى شجاع[4]

كما كتب موسى الاحمدي:

فلسطين نادتكم للجهاد — فلبوا الندا يا حماة البلاد
وهبوا جميعا سراعا إلى — حمى يعرب وانفروا للطراد
ومدوا النفوس إليها فدى — فتلكم بني العربي ارض الميعاد[5]

الدعم السياسي: وتمثل هذا الدعم السياسي من خلال النداءات الموجهة لمختلف الجهات، وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني والعربي على أن الشعب الجزائري يقف مع إخوانه بالممكن المتاح والتحذير من مغبة تفويت هذه المؤامرة الاستعمارية، وكان نادي الترقي فضاء للتعبير عن هذه المواقف من خلال محاضرات كل من أبي بكر بن مصطفى الزاهري، والعقبي، ومحمد حسن الورتيلاني، وغيرهم، والأهم من ذلك هو تأسيس لجنة الدفاع عن فلسطين منذ 1947.

وحاول العقبي أن تكون هذه الهيئة فرصة لتجميع جهود الجزائريين وتوحيد مواقفهم والتي تحولت فيما بعد إلى الهيئة العليا لإغاثة فلسطين.
ومن جهة أخرى تمت مراسلة العقبي للأمين العام للجامعة العربية عزام باشا[6]، وكذلك المفتي العام لفلسطين محمد أمين الحسيني، والسيد فوزي القاوقجي رئيس هيئة الدفاع عن فلسطين، وهذه الجهات هي رأى فيها العقبي أنها المعنية والممثلة لفلسطين والعرب وأخطرها بتضامن الشعب الجزائري ورموزه السياسية والإصلاحية مع القضية الفلسطينية.
ومن جهة أخرى راسلت هيئة الأمم المتحدة وفرنسا حول الموضوع لإظهار موقفهم السلبي والظلم المكرس على الشعب الفلسطيني.[7] ووجه انتقادا للموقف الأمريكي المجاهر بعدائه للشعب الفلسطيني، ونفس اللوم للإتحاد السوفياتي الذي يناور ويحاول أن يلعب ورقة مزدوجة فهو يؤيد قيام إسرائيل على أرض فلسطينية ومن جهة أخرى يظهر أنه يحارب الاستعمار. فهل هذا الاحتلال يخرج عن دائرة الاستعمار؟[8]
ولا يمكن أن نتجاوز في هذا المشهد موقف الشيخ الطيب العقبي الذي جمع بين الانتصار المعنوي والمبادرات العملية لإنقاذ فلسطين، فكتب لبيك فلسطين فما أنت لأهلك ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين وقال إنها مؤامرة من الإنجليز الذين استشرى ظلمهم بالبلاد العربية وتزكية من هيئة قالوا أنها تضم الشعوب المتمدنة.
وعموما أن هذه الأقلام قد استشعرت خطورة الموقف ونقلته إلى النخبة من خلال الصحافة وإلى العامة من خلال المحاضرة واللقاءات والدروس المسجدية، وحاولت أن تعبئ المجتمع الجزائري وتعرفه بمجريات الأحداث وخاصة بعد إعلان إسرائيل (15 ماي 1948)، وكان التجاوب واسعا مع هذا التحسيس من قبل الجزائريين وهم أعرف الشعوب بويلات الاستعمار. حيث غصت شعب الجمعية ومدارسها بالحضور إلى محاضرات وندوات حول هذا الغرض، وظلت البصائر منبرا مستمرا لعرض تطورات القضية، وشحذ الهمم لصالحها. ولعل رئيس الجمعية كان أحسن معبر عن هذه الحالة " أيها العرب حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء" [9]
ونعتقد أن أحسن اعتراف بما قامت به هذه الهيئة هو ما جاء على لسان الهيئة العربية العليا والتي يرأسها مفتي فلسطين الأكبر "...وبعد فقد بلغنا أنباء الجهود المباركة التي بذلتها جمعية العلماء...لنصرة قضية فلسطين ...فباسم فلسطين المجاهدة نقدم إلى فضيلتكم و إلى أصحاب الفضيلة العلماء...أخلص الشكر..." [10].
ومن جهة أخرى كان انتقاد البصائر واضحا لدخول العرب في حرب بقيادة غير موحدة وهو ما عاد على العرب بخسارة المعركة في الجولة الأولى من حرب 1948.
وكان الانتقاد جريئا للهدنة التي عقدت بين العرب وإسرائيل لأنها أعطت فرصة لهذه الأخيرة لتستعيد أنفاسها وتتزود بالسلاح[11] وورد على لسان البصائر أن تشكيل حكومة فلسطينية[12] في هذا الظرف يجسد الخلاف العربي وما يحوم حوله من أطماع الملك عبد الله في شرق فلسطين واكتفاء حكومة فلسطين في النقب وأن إعلان دولة فلسطينية خيالية في هذا الظرف يعتبر تحديا وإثارة لمشاعر الملك عبد الله وقرارا ليس من الحكمة في ظل المعركة، وهذا ما دفع الملك عبد الله أنه أصبح لا يعترف بقرارات الجامعة العربية ولا يتعاون مع السوريين والمصريين في الحرب، وقام بعقد مؤتمر في أكتوبر 1948، وآخر في ديسمبر 1948

في أريحا الذي أقر مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين وعدم الاعتراف بحكومة فلسطين.(13)

تأسيس الهيأة العليا لإغاثة فلسطين: كانت هذه الهيئة الإطار الأبرز في هذه المرحلة من خلال حراكها السياسي، وكونها قربت بين تيارات الحركة الوطنية حول قضية مشتركة. وقد شارك في تأسيس هذه الهيئة عدة شخصيات من الاتجاه الإصلاحي والبيانيين والانتصاريين، وإذا تضاربت الآراء حول هذه الهيئة فيتضح أن صاحب المبادرة والساعي لها هو الطيب العقبي وضمت كل من إبراهيم بيوض (ومصالي في البداية) وفرحات عباس والإبراهيمي.(14)
ورغم تراجع اسم مصالي عن هذه الهيئة بسبب خلافات داخلية حول رئاستها فإنه بقي فيها أحمد مزغنة كممثل لحركة الانتصار(15) لكن لم يستمر طويلا.
ويتجلى أن الإبراهيمي كان يسعى إلى جمع الجزائريين حول هذه القضية والتمسك بالوحدة الوطنية والعربية، كما كان العقبي أكثر سعيا وصبرا في التوفيق بين مختلف الأطراف، ولكنه كان يعرف أنه لا يمكن لهذه الهيئة أن تنجح دون الجمعية ورئيسها الإبراهيمي لسمعتها وانتشارها عبر الوطن(16) ومن جهة أخرى شن حملة على حملة مصالي الذي لم يقبل دون رئاسته لهذه الهيئة ورغم هذه العراقيل فقد تشكلت فروع في المدن وهيئة عليا من أربعة شخصيات وكتب الإبراهيمي: "وقد تشكلت الهيأة العليا من أربعة على الصورة الآتية ولعل التاريخ الذي غبناه مرارا ينتقم منا هذه المرة فيلجئنا إلى نشر كل شيء بشواهد هذه وشهوده، وأيامه ولياليه وهذا تركيب الهيأة العليا"

- محمد البشير الإبراهيمي رئيسا
- عباس فرحات الكاتب العام
- الطيب العقبي أمينا عاما
- إبراهيم بيوض نائبه(17)

الدعم المالي: عقب تشكيل الهيأة العليا شكلت لجنة تنفيذية وفروع تابعة لها في المدن الجزائرية لأداء وظيفتها، وأهم نشاط أوكل إليها هو تعبئة الجماهير، وجمع الأموال، كان وضع الجزائر حرجا بسبب الاستعمار والتحفظات الأمنية، ولذلك كان هناك نوع من الكتمان حول الأموال التي جمعت من الجزائريين والكيفية التي تم بها توصيل هذه الأموال، ضف إلى ذلك حالة الجزائريين الفقيرة التي لم تسمح بجمع أموال طائلة، ولكنها عبرت عن عزم وجهد المقل في أحلك الظروف.
ويتضح أن هذه الأموال قد نقلت على دفعات مختلفة فذكر توفيق المدني أن اللجنة أرسلت أربعة ملايين فرنك للجهاد الفلسطيني ويضيف أنه أوفد شخصيا لباريس ومعه ثلاث ملايين سلمها للسيد أحمد ثروت سفير مصر بباريس.(18)
وهناك مصادر أخرى تشير أن العقبي أخذ معه أموالا لفلسطين وصاحبه عباس التركي، وبن حورة، وإن اختلفت الروايات حول حجم الأموال المنقولة والطرق الموصلة والفترة الزمنية إلى كثيرا ما دارت بين 1948 و 1950 فإن الشاهد في العملية هو الحملة التي شملت الجزائر والدور الذي لعبته جمعية العلماء في جمع التبرعات مقارنة ببقية التيارات.(19).

نشاط الورتيلاني في جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية

تميز نشاط الورتيلاني في مصر بالنشاط الدؤوب ونسج العلاقات المختلفة، فشارك في تأسيس جمعية الهداية مع الشيخ محمد الخضر حسين، وربط علاقات مع الإخوان المسلمين مستغلا صحفهم ومنابرهم لمناشدة العرب بأن ثلاثين مليونا من إخوانهم يستصرخونهم في شمال إفريقيا من مصر إلى الدار البيضاء.[20]

وعند تأسيس جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية سنة 1944 كان الورتيلاني أمينها العام والعنصر النشيط فيها ومعظم المراسلات كانت تمضى من قبل رئيس الجبهة والورتيلاني.ومن خلال هذا المنبر وجه رسالة للجامعة العربية لتخصيص حيزا لبلدان شمال إفريقيا في مناقشات الجامعة العربية ولجانها والدعاية لقضايا هذه البلدان العادلة في وجه الاستعمار.

ووجه رسالة أخرى للأمم المتحدة، مذكرا إياها بأن السلام العالمي لا يتحقق دون أن تنصف شعوب شمال إفريقيا.[21] ورسائل أخرى للملك السعودي، والرئيس السوري، واللبناني لأخذ هذا الجزء من الوطن العربي بعين الإعتبار، وكان هناك نداء إلى ترومان للنظر في حقوق الإنسان في شمال إفريقيا لإقامة السلم الذي كافحت من أجله الولايات المتحدة.[22]

وقد كان للورتيلاني رحلات من القاهرة إلى وسوريا ولبنان، وتقابل مع رئيس الحكومة ورئيس الجمهورية السورية، وألقى عدة محاضرات وكلها تدور حول تحرير شمال إفريقيا وطالب بالدعم المعنوي والسياسي[23] وختمت الزيارة ببرقية وجهت للجامعة العربية ووزير فرنسا المفوض بالقاهرة تظهر فيها استنكار السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا[24].وقد ساعد الورتيلاني على أداء وظيفته الدعائية والسياسية لصالح أقطار المغرب العربي علاقاته القوية مع الإخوان المسلمين وصحفهم وانفتاحه على مختلف رجال الإصلاح والسياسة.

الورتيلاني واليمن:

إن انتقال الورتيلاني لليمن كانت وراءها عدة أهداف يأتي في مقدمتها إصلاح الأوضاع المتردية في اليمن التي انتابها الجمود والخضوع للنفوذ الأجنبي وهو ما يشكل حالة من الإرهاص في إحدى زوايا الوطن العربي وخاصة أن الورتيلاني كان يخوض معركة الإصلاح بصفة عامة دون الاقتصار على قطر معين، وإذا علمنا أن هذه المرحلة كانت في ظروف كثرت فيها الضغوط عليه من قبل النظام المصري من جهة، وتتبع الإدارة الفرنسية له معتبرة إياه العدو الأكبر لفرنسا هناك لأنه يشهر بها أمام الرأي العام العالمي والعربي على ممارساتها في المغرب العربي ولذلك نجد أن ملاحقتها كانت بدقة ومستمرة في كل محطاته وتنسق مع سفارتها في كل المشرق العربي وهذا من خلال تقاريرها.

وقد كانت جرأة الورتيلاني الكبيرة التي صارح بها الإمام يحي حميد الدين باليمن ومحاولة حمله على النهوض باليمن،[25] والتفاعل مع قضايا الوطن العربي ونزع الهيمنة الأجنبية هو ماجنى على الورتيلاني متاعب كبيرة فيما بعد، وقرأت فرنسا أنه فشل في مهمته في اليمن لأنه لم ينجح في تحريك اليمن لصالح شمال إفريقيا ولا إقناع مسؤولي اليمن بالإصلاح[26] أو التدخل لدى السلطات الفرنسية برفع مظالمها في المستعمرات العربية[27] وفي هذه الظروف حاولت فرنسا الضغط والإشاعة على الورتيلاني بعدم تمكينه من دخول البلاد العربية وهذا من خلال مراسلتها لممثليها في عدن والجزائر والقاهرة[28]، وقالت أن الحكومة المصرية أبلغت عدن بعدم رغبتها في دخول الورتيلاني إلى أراضيها[29]، وامتدت تخوفات فرنسا من هذه الشخصية إلى درجة إشعار حكومتها في الصومال من إحتمال دخول

الورتيلاني إلى أراضيها رغم أن السلطات هناك يستحيل أن تعطيه الموافقة، وظل التنسيق على درجة عالية بين مختلف القنصليات الفرنسية في المشرق العربي من أجل محاصرة تحركاته[30]. مع إقرارها بصعوبة منعه من النزول في إحدى المدن العربية القريبة.

وبعد خروجه من اليمن كثفت السلطات الفرنسية من اتصالاتها مع قنصليتها في جدة لمتابعة تحركاته بهدف دخول بلد عربي وتوصلت أنه أخذ تأشيرة لدخول لبنان من قنصليتها بجدة ولاحظت أن الورتيلاني يملك جواز سفر فرنسي وآخر عدني[31] باسم تاجر سوري يسمى عبد الرحيم السفرجلاني ويرغب في دخول لبنان[32] التي وافقت على ذلك من خلال قنصلها في جدة.[33]

وتعليقا على هذه الملحمة التي مر بها الورتيلاني منذ خروجه من مصر ثم من اليمن وظل على متن سفينة لمدة شهرين هو الحصار الذي ضرب عليه من قبل فرنسا من خلال مستعمراتها أو الضغط على الأنظمة العربية عبر قنصلياتها لأنها تعتبره أخطر شخصية جزائرية تحشد العداء ضد فرنسا في المشرق العربي.

وفي المشرق العربي أيدت الجمعية الشعب المصري لمراجعة معاهدة 1936 وطلبت منه موقفا حازما، وقام مكتب الجمعية بالقاهرة بتبليغ هذا التأييد للحكومة المصرية كما حيت الشعب المصري على رفضه الدخول في رابطة الشعوب الإنجليزية (المستعمرات الإنجليزية)، ومن جهة أخرى استطاع الإبراهيمي أن يعبئ الشعوب العربية في فرنسا إثر حوادث العمليات الفدائية ضد الإنجليز التي أسفرت عن عدد هائل من الشهداء، فقام الإبراهيمي بإمامة صلاة الغائب في مسجد باريس بطلب من وزير خارجية مصر (محمد صلاح الدين) وحضرتها الوفود العربية والعمال،[34]

وأيدت البصائر الثورة المصرية واعتبرتها عملا ضد ملك مستبد وإزالة حكومة لا علاقة لها مع الشعب، ودعت إلى إقامة حكم ديمقراطي تكون فيه السيادة للأمة ويعضده مجلس منتخب حر.[35]

وحول السودان: فقد حاربت الجمعية الاستعمار الإنجليزي في السودان الذي كرس مظاهر التخلف والتفرقة بينه وقالت أنه منذ مطلع الأربعينات عمل على عزل مناطق الجنوب الذي تسكنه أغلبية زنجية غير مسلمة وتركها خارج الإدارة السودانية ومنعا من الإتصال لحاجة في نفسها.ذلك القسم الذي قادت فرقه العسكرية فيما بعد حوادث دامية ضد الجيش السوداني.[36]

وقبل الاستقلال المصري ظلت الجمعية تؤيد الرؤية المصرية لتوحيد منطقة النيل ويكون للسودان استقلاله الداخلي وضمان دستوره الحر مع التبعية للتاج المصري.أما بعد الاستقلال المصري فقد لامت رئيس الحكومة السودانية إسماعيل الأزهري على نزعته بعدم الإتحاد مع مصر ولكن ظلت تدعم حقه في التحرر وتوج هذا بإرسال جمعية العلماء برقية تهنئ فيها الشعب السوداني على استقلاله الذي يعد عونا للشعوب التي لا تزال تكافح، ونظم محمد العيد شعرا جاء فيه.

ما أسعد السودان باستقلاله ... فاليوم يرفع رأسه للسودان
اليوم يعقد تاجه من أنجم ... أرضية تسمو بها التيجان
وتظل رايته القباب كأنها...قوس السحاب تزينها الألوان[37].

الهوامش:

الإبراهيمي، " فلسطين " البصائر ،العدد 21،س 04 ، 1 ربيع الأول 1367 ن 23 فيفري 1948 ، ص : 1.

(2) الإبراهيمي، " الإنجليز حلقة الشر المفرغة " ، البصائر ، العدد 24، 19 ربيع الثاني 1967 ، 01 مارس 1948 ، ص 1.

(3) حميدي أبوبكر الصديق ، القضايا العربية من خلال جريدة البصائر ، رسالة ماجستير ، 1004، الجزائر ، ص 85.

(4) -عبد الله التركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، م .و. ك. الجزائر ص:61.

(5) - نفسه،ص: 66.

(6) أول أمين عام للجامعة العربية (1945-1952).

(7) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ، ج2 ، م. و. ك ، الجزائر 1988 ، ص 389-188.

(8) أبو محمد، "منبر السياسة العالمية"، البصائر، ع52،س 2 ، 8 ذي الحجة 1367 ، 11 أكتوبر 1948 ، ص5.

(9) الإبراهيمي، كيف تشكلت الهيئة العليا لإغاثة فلسطين " ،البصائر ، ع 53،س 2 ، 5 ذي الحجة 1367 ، 19 أكتوبر 1948 ، ص 1.

(10) -الهيئة العربية العليا " رسالة من مفتي فلسطين الأكبر"البصائر،عدد52، السنة2،8 ذي الحجة 1367 هـ،11 أكتوبر1948 م ص:1.

(11) . أبومحمد " منبر السياسة العالمية " البصائر ، عدد 48 ، ص 4 .

(12) . على رأسها حلمي باشا .

(13) . أبومحمد " منبر السياسة العالمية " البصائر ، عدد 61، ص 5.

(14) الإبراهيمي، " كيف تشكلت الهيئة..." مصدر سابق ، ص 1.

(15) نفسه.

(16) نفسه.

(17) نفسه.

(18) . أحمد توفيق المدني ، ص 389.

(19) . ساهمت بقية التيارات في الجمع ولكن بصورة أقل وللإشارة فإن الإبراهيمي عاتب المصاليين لأنهم جمعوا المال في الجزائر وفي فرنسا باسمه وقال أنهم عملوا على ثلبنا ونقصنا أضعاف ماعملوا لفلسطين ،وقال أنها ليست المرة الأولى التي ارتكبوا فيها هذه الخطيئة . أنظر: الإبراهيمي، " كيف تشكلت..."البصائر، ع 53، مصدر سابق، ص 02.

(20) مولود عويمر ،أعلام وقضايا في التاريخ الاسلامي المعاصر ، ط 1 ، 1428 ،2007، دار الخلدونية ، الجزائر ص49 ، 50.

(21) . محمد خير الدين ، مذكرات الشيخ محمد خير الدين ، ج2 ، ص 235.

22. A.O.M, F.D.A, 91/4l28, panislamisme, Note sur le front de défense de l'Afrique du nord. . D°: N 5 COPIE le 26/08/1945..

(23) الفضيل الورتيلاني ، الجزائر الثائرة ، ، ط4 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2007 ، ص 289.

24 – A.M.A.E, Afrique levont 1944–1959, Algérie 19444–1952, D 436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, document n 183 Télégramme n 224, le 05 /07/1947.

25 - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 186.

26 - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 189.

27 A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques, FOUDIL WARTILANI, DN° 188 .

28- A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, Télégramme, le Caire, le 27 mars 1948, D : N 248.

29 - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D436964, k38-2, questions politiques , FOUDIL WARTILANI, Télégramme, Aden le 23 mars 1948, D : N 243.

30 - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère

de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 267.

[31] - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 237.

[32] - A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 25.

[33]- A.M.A.E, Afrique levont 1944-1959, Algérie 19444-1952, D 436964, k38-2, questions politiques , correspondance du, Ministère de la France d'outre-mer ou Ministre des affaires Etrangères. D N° 257.

(34) . بدون كاتب ، البصائر ، ع 164 ، س 4 ، 19 شوال 1370 ، 23 جويلية 1931 ، ص 4.

(35) . " منبر السياسة العالمية " ، البصائر ، ع 199 ، س 05 ، 11 ذي الحجة 1371 ، سبتمبر 1952، ص 4.

(36) . " منبر السياسة العالمية " ، البصائر ، ع 331 ، س 08 ، 10 محرم 1375 ،20 سبتمبر 1955، ص 4.

(37) . محمد العيد آل خليفة ،" استقلال السودان " ، البصائر ، ع 355 ، السنة 8 ، 12 رجب 1375 هـ ، 24 فيفري 1956 ، ص 1 .

أثر الثقافة التنظيمية في مراحل صنع القرار داخل المؤسسة الإقصادية

د.يوسف جغلولي- جامعة المسيلة - الجزائر

ملخص:
إن عملية صنع القرار هي عملية مركبة تتضمن العديد من المراحل لكل منها معاييره الخاصة، والتي يجب مراعاتها من قبل صناع القرار، كما أنها عملية ديناميكية تتضمن العديد من الخيارات، يستلزم تقييمها عمليات عقلية متعددة، فهي تحتاج في ذلك إلى جهود الأفراد في شكل جماعات، انطلاقا من تأثر القرار بآراء و أفكار المحيطين به وبطبيعة البيئة التي يعمل بها، تعبر عنها الثقافة التنظيمية في تجربة عمل جماعية طورها أفراد ها، من خلال إيجاد حل للمشاكل اليومية التي تعيق اندماجهم الداخلي و تكيفهم الخارجي، تنعكس تلك التجربة كإطار مرجعي لتوجيه السلوك التنظيمي، و توجيه طريقة العمل والممارسات الإدارية، إضافة أنها إلى أنها السبيل للإدراك والتفكير في مواجهة المشاكل، و اتخاذ القرارات في المؤسسة. فإنه بالضرورة تنعكس ثقافة المنظمة المتميزة بدرجة ما من: (روح الإبداع، المشاركة،العمل المؤسسي، الابتكار، المخاطرة، جماعية العمل، المنافسة و التميز،، المبادرة، احترام الفرد) بوضوح كموجه لعملية صنع القرار في جميع مراحله (مرحلة تقديم المقترحات الجديدة و الفحص المبدئي، مرحلة تحليل وترتيب البدائل، مرحلة اختيار البديل الأمثل، مرحلة المتابعة و التقييم)، إذن تأثر الثقافة التنظيمية على منهجية صنع القرار، الذي يجب أن يساير عملية التطوير المؤسسي، الذي يحدد مدى كفاءة المؤسسة في أدائها، وفي تحقيق ميزه تنافسية للمحافظة على بقائها، حيث تم صياغة ذلك في تساؤل: هل هناك علاقة بين الثقافة التنظيمية بسماتها المختلفة، وبين مراحل صنع القرار داخل المؤسسة الاقتصادية؟، وكيف تفسر الثقافة التنظيمية التغيرات التي تحدث في عملية صنع القرار؟.

1- مفهوم الثقافة التنظيمية:

يعبر هوفستاد (Creet Hofstede) في تعريف للثقافة التنظيمية: على أنها برمجة فكرية، جماعية خاصة بمجموعة اجتماعية معينة، اتجاه بيئة معينة، حيث يبحث عن التلاؤم أو التكيف معها[1]، يتضح أن الثقافة التنظيمية أحد عناصر البيئة الداخلية للمنظمة، محصلة للعلاقات الاجتماعية المتكررة بين العاملين، والتي تشكل أنماط سلوكية للنظام الاجتماعي التنظيمي ، وتكيف أعضائها معها من خلال تلك البرمجة الفكرية، تلك البرمجة الفكرية يمكن توضيحها من خلال:

تعريف شاين (Echein) هي: ذلك النمط من الافتراضات الأساسية، الذي ابتدعه أو اكتشفته، أو طورته الجماعة لتكون لهم السبيل للإدراك، والتفكير والإحساس في كل ماله علاقة بهذه المشاكل، للتأقلم الخارجي والاندماج الداخلي[2]، يتضح أن لكل منظمة ثقافة تنتج تجمعها وليدة العلاقات التعليمية بصفة مشتركة بين أعضائها انتقلت على صحتها لحل المشاكل التي تعترض الاندماج الداخلي والتأقلم الخارجي.

ويعرفها (M.thevent): هي كل ما يوحد المنظمة في ممارستها، و كل ما يميزها عن المنظمات الأخرى، هذا التعريف يوضح أن الثقافة التنظيمية هي كل ما يشكل هوية المنظمة، ويميزها عن غيرها ثقافيا، بما يحقق التماثل بين أعضاء المنظمة في السلوكيات الموجهة في حل المشكلات التي تواجه أعضاء المنظمة كتجمع هادف.

كما يرى (BroUttal) : أن الثقافة التنظيمية هي نسق القيم المشتركة، والمعتقدات المتفاعلة، في البيئة التنظيمية و أشكال الرقابة الداخلية، والمجموعة البشرية المتواجدة في المنظمة، من أجل إنتاج المعايير السلوكية[3].

كما تعني أنها مجموعة من القيم والعادات والمعايير، والمعتقدات والافتراضات المشتركة التي تحكم الطريقة التي يفكر بها أعضاء المنظمة، وطريقة اتخاذ القرار، وأسلوب تعاملهم مع المتغيرات البيئية، وكيفية تعاملهم مع المعلومات، والاستفادة منها لتحقيق ميز تنافسية للمنظمة، بتأثير على سلوك أعضائها وتحديد كيفية تعاملهم مع بعضهم البعض، ومع الأطراف الموجودة في بيئة أعمالهم[4]، يتضح أن الثقافة التنظيمية بمكوناتها تفيد في توجيه السلوك في حل المشكلات الداخلية و الخارجية للمنظمة في اتخاذ القرارات المناسبة في نظام اتصالي يوظف المعلومات لتحقيق ميزة تنافسية.

وتعني الأنماط، والتكون، والممارسات التي تحدث أثناء العمل، وقد تكون نتيجة للأفراد أنفسهم، أو نتيجة الأنظمة والقوانين، والأعراف والإجراءات التي يحددها المجتمع ذاته أو المنظمة نفسها[5]، يتضح أن الثقافة التنظيمية تنتج عن سلوكيات الأفراد اليومية عند حدوث بعض المشكلات

و طريقة تصرفهم حيالها، ونتاج الجانب الرسمي للمنظمة نفسها.

2- محددات الثقافة التنظيمية:

من الأهمية بمكان إدراك أنه لا توجد منظمة ثقافتها مشابهة لمنظمة أخرى، حتى ولو كانت تعمل في نفس القطاع، فجوانب عديدة تختلف فيها، فكل منظمة تحاول تطوير ثقافتها الخاصة بها وتعزيزها[6]، فمن جوانب الاختلاف التي تعتبر محددات لها في المنظمة، وتعبر عن نمط نسقها الثقافي السائد ما يلي:

- الإبداع والمخاطرة: أي درجة تشجيع العاملين على الإبداع والمخاطرة، حتى يكونوا مبدعين ولديهم روح مبادرة، ومدى الذي يكون فيه العاملين جسورين و يسعون للمخاطرة[7].
- الانتباه إلى التفاصيل: الدرجة التي يتوقع فيها من العاملين أن يكونوا دقيقين منتبهين إلى التفاصيل[8].
- الانتباه نحو النتائج: درجة تركيز الإدارة على النتائج أو المخرجات، وليس على التقنيات، والعمليات المستخدمة لتحقيق هذه النتائج.
- التوجه نحو الأفراد: درجة اهتمام الإدارة بتأثيرها على الأفراد داخل المنظمة.
- التوجه نحو الفريق: درجة تنظيم فعاليات العمل دون الفريق لا الأفراد.
- العدوانية: درجة عدوانية الأفراد وتنافسهم، لا سهولة، ولا ودية التعامل معهم.
- الثبات: درجة تأكيد فعاليات المنظمة المحافظة على الحالة الراهنة بدلا من النمو.

- درجة وضوح الأهداف والتوقعات من العاملين ، أي مدى توجه المنظمة في وضع أهداف وتوقعات أدائية واضحة[9].
- درجة التكامل بين الوحدات المختلفة في التنظيم للعمل بشكل منسق، و درجة التعاون و التنسيق بين مخلف وحدات وأقسام المنظمة .
- مدى دعم الإدارة العليا للعاملين، في قدرتها على توفير اتصالات واضحة، و مساعدة ومؤازرة العاملين.
- مدى الرقابة المتمثلة في الإجراءات والتعليمات، وأحكام الإشراف الدقيق على العاملين.
- مدى الولاء للمنظمة وتغليبه على الولاءات التنظيمية الفرعية الذي يعبر عن الهوية.
- طبيعة أنظمة الحوافز والمكافآت، فيما إذا كانت تقوم على الأداء أو معايير الأقدمية والوساطة.
- درجة تقبل الاختلاف بسماع وجهات نظر المعارضة، أي درجة تشجيع العاملين على إعلان النزاعات والانتقادات بصورة مكشوفة والتسامح.
- طبيعة نظام الاتصالات وفيما إذا كانت قاصرة على القنوات الرسمية التي يحددها نمط السلم الرئاسي، أو نمط شبكيا يسمح بتبادل المعلومات في كل الاتجاهات[10].
- درجة المبادرة الفردية أي مستوى المسؤولية وحرية التصرف الممنوحة للموظفين.
- درجة وضوح الأهداف والتوقعات بين الفئات السوسيومهنية، فالمرؤوسين على إدراك بأهداف المنظمة و ما يتوقع رؤسائهم منهم، وبالمقابل على إدارة المنظمة انتعي أهداف العاملين و ما يتوقعونه من المنظمة وبذلك تتحدد آليات مطابقة الأهداف من خلال الثقافة الاتصالية المعزز من طرف القيادة الإدارية.
- طبيعة صنع القرارات و أسلوب اتخاذ القرار، بالمشاركة أو بطريقة فردية رئاسية.

تمثل هذه المحددات أبعاد هيكلية وسلوكية مترابطة فيما بينها، لتحديد النسق الفرعي للثقافة التنظيمية[11]، حيث تظهر هذه الخصائص في المنظمة بمستويات مختلفة من العالي إلى المنخفض، وتقييم المنظمة بهذه المحددات، يعطي صورة متكاملة على الثقافة التنظيمية[12]، وتصبح هذه الصورة الأساس في الشعور بالفهم المشترك لدى الأعضاء، حول المنظمة كيف تتم الأشياء، وأسلوب ممارسة السلوك، ليعبر في الأخير عن نظام من المعاني المشتركة التي يتمسك بها أعضاء المنظمة.

3- وظائف وأهمية الثقافة التنظيمية:

تلعب الثقافة التنظيمية دورا حيويا في نجاح أو فشل المنظمة، بتأثيرها على العناصر التنظيمية والعاملين في المنظمة، فحسب بيتر و وترمان (Peters and Werman) أن سر نجاح المنظمة في سيطرتها و سيادتها، هو تماسك و ترابط الثقافة التنظيمية، فيمكن توضيح ذلك من وظائفها:

- تعطي لأفراد المنظمة هوية تنظيمية، فمشاركة العاملين في نفس المعايير والقيم، والمدركات يمنحهم الشعور بالتوحد، مما يساعد تطوير الإحساس بغرض

مشترك[13]، فتمنحهم الإحساس بالكيان والهوية والأمان لدى العاملين وعدم الاغتراب.
- هي بمثابة دليل للإدارة والعاملين، تشكل لهم نماذج السلوك والعلاقات التي يجب إتباعها، والاسترشاد بها، كإطار فكري يوجه أعضاء المنظمة الواحدة، وينظم أعمالهم وعلاقاتهم وإنجازاتهم[14]، فتحدد السلوك المقبول وغير المقبول، والذي يثاب أو عاقب عليه الأفراد، وكذا تحدد أساليب الثواب والعقاب الموجهة للتنشئة التنظيمية للفرد.

- تعزز استقرار النظام: بالتنسيق والتعاون الدائمين بين أعضاء المنظمة، وذلك من خلال تشجيع الشعور بالهوية المشتركة، والالتزام الجماعي[15]، وفهم اللوائح التنظيمية.
- العاملون بالمنظمة لا يؤدون أدوارهم فرادى، أو كما يرون، وإنما في إطار تنظيمي واحد، لذلك فإن الثقافة بما تحويه من قيم، وقواعد سلوكية تحدد لهؤلاء العاملين السلوك الوظيفي المتوقع منهم، وتحدد لهم أنماط العلاقات بينهم، حتى ملبسهم، واللغة التي يتكلمونها ومستويات الأداء، ومنهجيتهم في حل المشكلات، تحددها الثقافة التنظيمية وتدربهم عليها، في تشكل السلوك بمساعدة الأفراد على فهم ما يدور حولهم، كمصدر للمعاني المشتركة التي تفسر لماذا تحدث الأشياء على نحو ما[16].
- تعتبر الثقافة التنظيمية من الملامح المميزة للمنظمة عن غيرها من المنظمات، وهي كذلك مصدر فخر واعتزاز للعاملين بها، وخاصة إذا كانت تؤكد قيما معينة مثل الابتكار، والتميز والريادية، والتغلب على المنافسين.
- تحقيق التكامل الداخلي بين أفراد المنظمة، من خلال تعريفهم بكيفية الاتصال ببعضهم البعض والعمل معا، والتكيف بينهم والبيئة الخارجية، من خلال تعريفهم بأسلوب وسرعة الاستجابة لاحتياجات، واتجاهات الأطراف في البيئة الخارجية ذوي العلاقات بالمنظمة[17].

- تعتبر الثقافة التنظيمية عنصرا جذريا يؤثر على قابلية المنظمة للتغيير، وقدرتها على مواكبة التطورات الجارية من حولها، فكلما كانت قيم المنظمة مرنة ومتطلعة للأفضل، كانت المنظمة أقدر على التغيير، وأحرص على الإفادة منه، ومن جهة أخرى كلما كانت القيم تميل إلى الثبات، والحرص والتحفظ، قلت قدرة المنظمة واستعدادها للتطوير.

- تعمل على تكوين اتفاق جماعي بين أعضاء المنظمة، حول الأهداف والوسائل التي تحقق رسالة المنظمة، وحول المعايير المستخدمة لقياس مدى تحقيق الأهداف.
- تستخدم الثقافة التنظيمية كأداة للتغيير، ووسيلة من وسائل الابتكار والتطوير التنظيمي.
- تعزيز تكيف المنظمة مع الظروف المتغيرة والأزمات الطارئة[18].
- تحديد التوجهات الرئيسية التي يتم وضعها لتحيق الأهداف المخططة للمنظمة.

- تنمية مشاركة الأفراد في تشكيل القيم التنظيمية السائدة و مدى انتشارها بينهم.
- تنمية درجة الانضباط، والالتزام التي يظهرها الأفراد بالمنظمة.
-توفير دعم كبير يساعد قيادتها و يدفعها إلى النجاح في الأجل القصير و الطويل معا.
-تعتبر الثقافة التنظيمية أداة للرقابة الاجتماعية على الأفراد حيث يسود اتفاق وفهم مشترك بين العاملين و الإدارة بخصوص ما يعتبر معايير مناسبة للسلوك وينفذها العاملون باتفاقهم.

فمن جهة أخرى يرى الباحثان (Kinicki and Kreinter)[19]: أن الثقافة التنظيمية تخدم أربع وظائف هي:

- تعطي الأفراد العاملين هوية جماعية أو هوية المنظمة، وإعلامها لجميع الأعضاء، بخلق عادات وقيم مشتركة، و إدراك الأفراد لهذه المعاني، لتنمي الشعور بالهدف.

تسهل الالتزام الجماعي: بنمو الغرض العام عن طريق اتصالات قوية، وقبول الثقافة المشكلة.

- تعزز استقرار النظام الجماعي، من خلال تشجيع الثقافة على التكامل، والتعاون بين أعضاء المنظمة وتطابق الهوية .
- تشكل السلوك التنظيمي، وحدوث الأشياء بطريقة واحدة بين أعضاء النسق، وفهم المعاني بمفهوم واحد.

من خلال تحقيق الوظائف السابقة، تعمل الثقافة التنظيمية بمثابة الصمغ/الإسمنت، الذي يربط أفراد المنظمة ببعضهم البعض، ويساعد على تعزيز السلوك العقلاني داخل المنظمة، وتصبح ثقافة المنظمة تعكس صورة المنظمة داخليا وخارجيا، فهي تساهم بدرجة كبيرة في تحسين صورة المنظمة، بتنمية علاقات الثقة مع شركائها، وتثقيف العاملين وإكسابهم ثقافة، لتصبح المنظمة مؤسسة تربوية كالعائلة والمدرسة.

هذا ويمكن بيان أهم الأدوار التي تلعبها الثقافة التنظيمية في أي منظمة من خلال الشكل رقم (1) :

مما سبق يستنتج الباحث أن أهمية الثقافة التنظيمية بالمقارنة بأهميتها داخل المنظمة و خارجها تتمثل فيما يلي :

شكل رقم (1) أدوار الثقافة التنظيمية

أهميـــة الثقافـــة التنظيميـــة	
داخل المنظمة	خـــارج المنظمة
تحقيق التكيف بين أفراد المنظمة وتنمية القدرة الاستيعابية للعاملين وتحقيق التكيف من خلال التآلف بين الأفراد وسرعة الاتصال فيما بينهم والإدارة وتحقق التكامل بين أفراد التنظيم بما يحقق الفعالية في الأداء	تحقيق التكيف مع البيئة الخارجية وزيادة سمعة المنظمة أخلاقيا مما يؤثر على زيادة عدد العملاء وانتمائهم للمنظمة
التأثير البالغ في تحويل السلوكيات الغير مقبولة وظيفيا وتحويلها إلى سلوكيات مرغوبة مما يحقق الفعالية	تعتبر أداة للرقابة الاجتماعية
منح الإحساس بالكيان والهوية والأمان لدى العاملين ، كما تعتبر أداة للتغيير ووسيلة من وسائل الابتكار ، ومكون عام للسلوك ، ووسيلة إرشاد للسلوكيات المرغوبة ، وأداة للمساعدة في فهم الأنشطة التنظيمية	وسيلة لتحقيق استقرار النظام الاجتماعي
تعتبر أداة تنبأ لأي منظمة من خلال الثقافة السائدة	نشر الثقافة بين الأفراد وتحقيق الالتزام الاخلاقى ونشر الوعي
تحدد الثقافة التنظيمية أسلوب وسرعة استجابة الأفراد لتصرفات المنافسين واحتياجات العملاء بما يحقق للمنظمة تواجدها	المساهمة في زيادة ترشيد الموارد من خلال نشر السلوكيات والقيم التي تساعد على صياغة الأخلاق وتجنب إهدار الأموال العامة
	زيادة الأمان وبث روح الود والألفة
	سرعة استجابة الأفراد للتغييرات التي تحدث في المجتمع

4- ثقافة المنظمة والأداء :

تعددت الدراسات التى أسفرت نتائجها عن تأثير ثقافة المنظمة على الأداء ، حيث كشفت دراسة (Quchi and Wilkins, 1983) عن تأثير الثقافة على الأداء وأشارت إلى أن الأداء الفعال يتواجد بثقافة تنظيمية فعالة ، وأكدت هذه النتائج دراسة (Denison,1995) التى أجريت على 34 منظمة أمريكية وكشفت عن التأثير الواضح لثقافة المنظمة على فعاليتها[20].

أما دراسة (Amin,1996) والتى أجريت على أربعة عينات من أعضاء هيئة التدريس قد أسفرت نتائجها عن وجود علاقة موجبة بين كل من ثقافة المنظمة

والأداء التنظيمي ، كما أكدت دراسة (George and Dianne,1994 , Bernard, 1995 , Chatman,1998 Nancy, 1992 ,) أن الثقافة القوية ترتبط بالأداء الجيد وأنه يمكن التنبؤ بأداء المنظمة من خلال ثقافتها التنظيمية ، كما أوضحت أن الأداء فى المنظمات ذات الثقافة التنظيمية الجماعية أعلى من الأداء فى المنظمات ذات الثقافة التنظيمية الفردية. ومع ذلك فان دراسة (Sharon , et al., 1997) الذى أجرى تحليلاً بين عدة متغيرات. من ضمنها الثقافة التنظيمية. وبين الأداء ، توصل إلى أنه لا توجد علاقة مباشرة بين الثقافة التنظيمية والأداء[21].

وفيما له صلة بالموضوع ، أو ضحت دراسة (Chatman and Jehn, 1994) أن الثقافة التنظيمية تمثل إحدى المتغيرات التى يمكن أن تستخدمها المنظمات لتحقيق ميزة تنافسية ، وفى دراسة أخرى أجراها (Morris,1992) أوضح بأن الثقافة التنظيمية الفعالة تعتبر أحد العناصر الأساسية المؤثرة فى مقدرة المنظمة على المنافسة والنجاح فى الأمد البعيد[22].

5- علاقة الثقافة التنظيمية ببعض المتغيرات [23]:

تناولت العديد من الدراسات أثر الثقافة التنظيمية على بعض المتغيرات حيث أوضحت دراسة (Ketz and Miller, 1986) وجود علاقة ارتباط بين شخصية الإدارة العليا والبناء التنظيمي وثقافة المنظمة ، فى حين أن دراسة (Myerson and Hamilton ,1986) أوضحت علاقة ثقافة المنظمة بالابتكار ، وأسفرت نتائجها أن وجود ثقافة تنظيمية قوية يدعم قدرة المنظمة على الابتكار واستيعاب التغيرات التكنولوجية ، وأكدت هذه النتيجة ما أوضحته دراسة (Markus,1998) وكذا دراسة (David,1997).

أما دراسة (Sheriden ,1992) فقد حاولت الربط بين الثقافة التنظيمية ومعدلات استبقاء العمالة وأسفرت نتائجها عن أن المنظمات التى تتسم ثقافتها بجماعية العمل تكون معدلات بقاء العاملين بها أطول ، كما أوضحت تأثير ثقافة المنظمة على استراتيجيات إدارة الموارد البشرية.

وعن تشابه الخصائص الثقافية أوضحت دراسة (Chatman and Jehn, 1994) تشابه الخصائص الثقافية للمنظمات العاملة فى نفس الصناعة ، أما دراسة (Lenox, 1999) والتى سعت إلى كشف العلاقة بين الثقافة التنظيمية والرضا الوظيفي قد كشف نتائجها عن وجود علاقة ارتباطيه إيجابية قوية بين

الثقافة التنظيمية والرضا الوظيفي. أما دراسة (Pool, 2000) فقد أسفرت نتائجها عن وجود علاقة بين الثقافة التنظيمية والتوتر الوظيفي، حيث تؤدى الثقافة التنظيمية إلى مستوى منخفض من ضغوط العمل مما يؤدى إلى مستوى مرتفع للأداء التنظيمي والرضا الوظيفى.

كما أوضحت دراسة (Rondeau and Wager, 1999) أن الثقافة التنظيمية تؤثر وتتنبأ بقوة بنمط الاختيار الاستراتيجي ، وأضافت دراسة (Underhill, 1999) بأن الثقافة التنظيمية تتنبأ بجودة تقديم الخدمة. فى حين أن دراسة (Sanwer, 2000) أوضحت وجود علاقة إيجابية بين الثقافة التنظيمية ومؤشرات الأداء التنظيمي غير المالية.

6- ماهية القرارات في المؤسسة الصناعية:

تعد عملية اتخاذ القرارات جوهر الإدارة، وإن العملية الإدارية ما هي إلا سلسلة من القرارات المتصلة بالتخطيط، والتنظيم، والتوجيه، والرقابة، وبالتالي فهي لا تؤدى منفصلة عن هذه الوظائف[24] ،كما هي أيضا المحور الأساسي والفعال، والحلقة الرئيسية في العملية الإدارية التي لا تتكامل بدونها.

- كما تعتبر عملية اتخاذ القرارات وسيلة علمية، وفنية ناجعة لتطبيق وتنفيذ الأعمال، والسياسات، والإستراتيجيات بصورة علمية.
- تكشف القرارات الإدارية عن سلوك ومواقف الرؤساء الإداريين، كما تكشف عن القوى، والعوامل الداخلية والخارجية على متخذي القرارات الإدارية، الأمر الذي يسهل عملية رقابة هذه القرارات.
- تعتبر القرارات بمثابة قياس مدى قدرة الرؤساء الإداريين على القيام بالوظائف، والمهام الإدارية المطلوبة تحقيقها بأسلوب علمي وعملي رشيد[25].

وتعتبر عملية اتخاذ القرارات من العناصر المرتبطة بوظيفة التنظيم، وهنا تثار مشكلة تحديد مراكز اتخاذ القرارات داخل الهيكل التنظيمي، وتزداد تعقيدا مع كبر حجم المنظمات الحديثة، وتعدد النظم الفرعية المكونة لها. وإذا ما اعتبرنا التنظيمات الإدارية على أنها شبكات معقدة لعمليات اتخاذ القرارات، فإن هناك ضرورة حتمية لإيجاد مراكز محددة لاتخاذ القرارات في داخل البناء التنظيمي.

ومن هنا يصور لنا " R . N .ANTHONY " المنظمة على أنها تنظيم هرمي من ثلاث مستويات للتسيير :

1-مستوى التخطيط الإستراتيجي ← الرئيس المدير العام ونوابه .

2- مستوى مراقبة التسييرأوالتحكم في التسيير ← المدراء .

3- مستوى مراقبة العمليات ← المسؤولين العمليين ، ومراقبة العمال ، معدل الأجور[26].

ونظرا لأهمية عملية اتخاذ القرار يرى عبد الكريم أبو مصطفى "أنها من أصعب وأخطر العمليات الإدارية في مجال التنظيم وذلك لما يترتب عليها من توظيف للموارد البشرية والمادية، ويقاس في ضوئها كفاءة الرؤساء وقدراتهم على تحمل

المسؤولية والبت في الأمور، وتزداد صعوبة عملية اتخاذ القرارات كلما زاد حجم المنظمة وحساسية مهامها ومدى اتصال أهدافها بالجمهور".
وعليه فإن للقرارات في مجال تسيير المؤسسة أهمية بالغة، لأنها لا تتعلق فقط بتحقيق أهداف القصيرة والمتوسطة الأجل للمؤسسة، بل تخص مستقبلها وأيضا مصيرها، ومن هنا تظهر الأهمية التي تنطوي عليها عملية اتخاذ القرارات، وقد استخدمت عملية اتخاذ القرارات في الصناعة بشكل أكبر خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.
ومنه نستنتج أن نجاح المسيرين في تحقيق أهداف المنظمة يتوقف على قدرتهم في اتخاذ القرارات الإدارية المناسبة، ومراعية للموارد المادية والبشرية والتكنولوجيا المتوفرة، وتطويرها وتنميتها بما يتناسب مع الأهداف المسطرة والتغيرات التي تحدث على هذه الأهداف مستقبلا، فالإدارة أساسا ترمي إلى ثلاثة أمور هي:
أ /- اتخاذ قرارات بشأن ما يجب تحقيقه من أهداف، وهي تتضمن الإجابة على الأسئلة التالية:
- ما يجب عمله؟ - متى يتم عمله؟ - من يقوم بالعمل؟ - كيف يتم العمل؟ أي الوسائل والأساليب والإجراءات؟ - ما هي الموارد والإمكانيات اللازمة لإتمام العمل؟؛
ب/ متابعة التنفيذ وتحقيق الأهداف بالطريقة المستهدفة.
ج / تقييم النتائج المحققة، وهي تتضمن الإجابة على:
- ماذا تم تحقيقه من النتائج؟ - ما مستوى جودة النتائج المحققة؟ - هل يجب الاستمرار في تحقيق نفس النتائج؟
- كيف يمكن تحسين وتطوير الإنتاج المحقق مستقبلا؟.

7- حالات اتخاذ القرارات:

تقسم حالات اتخاذ القرارات إلى ثلاثة حالات رئيسية، وذلك وفقا إلى توفر أو عدم توفر معلومات حول احتمالات حدوث حالات الطبيعية أو البيئية الخارجية وهذه الحالات هي:

1- إتخاذ القرارات في حالات التأكد: في ظل حالات التأكد يتوافر لدى المدير كافة المعلومات اللازمة عن عناصر تقييم البدائل المتاحة، ويستطيع المدير أن يحدد كافة المعلومات اللازمة عن كل بديل والمتعلقة بعناصر المفاضلة بينها، حتى يتمكن من تقدير الترتيب النسبي لكل بديل وتحديد مساهمة كل بديل وتحديد مساهمة كل بديل في تعظيم النتائج المرجوة.

2- اتخاذ القرارات في حالات عدم التأكد: أحيانا يتوافر لدى متخذ القرار معلومات عن النتائج المحتملة لكل بديل من البدائل المتاحة، وهذا يعني عدم التأكد من نتائج عناصر تقييم كل بديل، وهنا تزداد المشكلة تعقيدا؛ حيث أن المدير لا يتمكن من جمع المعلومات الكافية عن البدائل المتاحة، حتى يتمكن من اختيار البديل الأحسن، ويتطلب الأمر في هذه الحالة الاعتماد على مزيج من الخبرة الشخصية والحلول الذاتية وأسلوب المحاكاة، حتى تستطيع المنظمة من التغلب على حالات عدم التأكد والوصول إلى اختيار البديل الأنسب وتجنب مشكل الاختيار الخاطئ[27].

3- اتخاذ القرارات في حالات المخاطرة: في حالات المخاطرة يواجه متخذ القرار مشكلات تتعلق بتقدير نتائج كل بديل من البدائل المتاحة وفقا لعناصر التقييم

المختلفة، فالمدير لا يستطيع أن يلم بجميع جوانب المشكلة وتحديد بدقة نتائج كل بديل – نظرا لعدم توفر المعلومات الكافية – وبذلك تزداد درجة المخاطرة في تحديد النتائج المتوقعة من كل بديل. ويتوقف النجاح في اتخاذ القرار واختيار البديل الأحسن على مهارات وخبرات المدير وكذلك الاستعانة والمشورة مع أعضاء الإدارة.

8-مراحل صنع قرار و الثقافة التنظيمية:

في سبيل تحديد مراحل صنع قرار ، سعى الباحث لمراجعة الدراسات السابقة ، والتقارير والدوريات، أمكن تحديد مراحل صنع قرار في:

1. تقديم المقترحات الجديدة والفحص المبدئي.
2. تحليل وترتيب البدائل.
3. اختيار محفظة الاستثمارات.
4. المتابعة والتقييم.

حيث يلزم فى كل مرحلة الوقوف على بعض الجوانب وذلك على النحو التالي

المرحلة الأولي : تقديم المقترحات الجديدة والفحص المبدئي : ويتم فيها الوقوف على :

1. مدى القدرة على جمع أكبر عدد ممكن من المقترحات.
2. مدى الاعتماد على المصادر الداخلية عند تقديم المقترحات.
3. مدى الاعتماد على المصادر الخارجية عند تقديم المقترحات.
4. مدى وضوح علاقة المقترح برسالة المنظمة وأهدافها.
5. مدى مراعاة أن المقترح يتوافق مع منظومة التكنولوجيا السائدة.
6. مدى إتاحة الفرصة للابتكار والإبداع من داخل المنظمة.
7. مدى مراعاة أن يسهم المقترح في تحسين الأداء ويخلق ميزة تنافسية.
8. مدى مراعاة حصول المقترح على دعم الإدارة العليا.
9. مدى وجود معايير للفحص المبدئي لمقترحات الاستثمار.
10. مدى خضوع كل المقترحات بغض النظر عن حجمها أو تكلفتها لعملية الفحص من ما المبدئي.
11. مدى مراعاة المنافسة عند التصفية المبدئية للمقترحات.

المرحلة الثانية : تحليل وترتيب البدائل ، ويتم فيها الوقوف على :

1. مدى وجود سياسة للتحليل والترتيب.
2. مدى الالتزام بمرور المقترح على المستوى الإداري المناسب للفحص.

3. مدى احترام آراء المشاركين في تحليل وترتيب البدائل.
4. مدى مراعاة توافر الموارد لتنفيذ المقترح المقبول.
5. مدى وضوح معايير المفاضلة للمشاركين في صنع القرار.
6. مدى الاعتماد على مكاتب خارجية للمفاضلة بين المقترحات وترتيبها.

المرحلة الثالثة : اختيار المحفظة ، ويتم فيها الوقوف على :

1. مدى اعتماد قرار المفاضلة على حساب التكلفة / العائد.
2. مدى وجود حدود دنيا لقبول المقترح.
3. مدى الالتزام بمعيار مخاطر الاستثمار المقترح.
4. مدى مراعاة اثر البديل المختار على محفظة الاستثمارات فى تكنولوجيا المعلومات.

المرحلة الرابعة : المتابعة والتقييم ، ويتم فيها الوقوف علي :

1. مدى وجود خطة واضحة للتنفيذ.
2. مدى الاعتماد على روح الفريق عند المتابعة والتقييم.
3. مدى وجود خطة زمنية للمتابعة.
4. مدى توافر أساليب للتحقق من أن المقترح يوفى بالمنافع المخططة وفى الوقت المناسب.
5. مدى قدرة أسلوب المتابعة لكشف المشاكل فى حينها.
6. مدى وجود نظام معلومات قادر على توفير ما يلزم عند الضرورة.
7. مدى توافر نظام حوافز لحل المشكلات فى حينها.
8. مدى الالتزام بتوثيق نتائج المراجعة.
9. مدى الاستفادة من التغذية العكسية.

حيث تقابل هذه المراحل مجموعة من الخصائص للثقافة التنظيمية التي تدعم كفاءة كل مرحلة من مراحل بناء القرار في درجة تواجدها في المؤسسة:

- **الابتكار** : بمعني أنه يجب على المنظمة أن تدرك أهمية الابتكار ، وتشجع التفكير الابتكاري لا سيما في مجال تحديد المشكلات والبحث عن حلول غير مألوفة.
- **احترام الفرد** : بمعني أنه يجب على المنظمة إدراك أهمية المعاملة الحسنة للأفراد من قبل رؤسائهم ، واحترام النظم وعدالتها ، و إشعار الأفراد بأن لهم أهمية.

- **الاهتمام بمراحل العمل (تفصيل / نتائج)**: بمعني ضرورة اهتمام المنظمة والبحث بلا هوادة عن أفضل طرق لأداء العمل ، والتأكد من أن هذه الأعمال تؤدى بإتقان ، وتعود بالنتائج المرتقبة.
- **جماعية العمل** : بمعني أن تدرك المنظمة أهمية العمل معاً بانسجام ، وتجني الفوائد من فرق العمل الفعالة ، وذلك بتكريس معني العمل الجماعي ، وأشعار الأفراد من خلاله بأنهم ينتمون إلى بعضهم البعض.
- **المنافسة** : بمعني إدراك المنظمة أن البقاء للأفضل ، وأن المنافسة هي الطريقة الوحيدة للبقاء ، واستخدام السبيل الذي يمكنها من المنافسة واقتناص الفرص المتاحة قبل أن يقتنصها المنافسون

9- العوامل المؤثرة في عملية اتخاذ القرارات في المنظمة:

يعتبر اتخاذ القرار جوهر عمل القيادة الإدارية ونقطة الانطلاق بالنسبة لجميع الأنشطة التى تتم داخل المنطقة وتلك التي تتعلق بتفاعلاتها مع البيئة الخارجية ، وتزداد أهمية القرارات كلما كبر حجم المنظمة ، وتعقدت وتشعبت نواحي أنشطتها ، وزادت ديناميكية بيئتها الخارجية والداخلية.

هناك عدة عوامل تتأثر بها القرارات الإدارية من بينها:

-**العوامل الخارجية**: تمثل المنظمة إحدى خلايا المجتمع، فهي تتأثر مباشرة به، ومن بين العوامل الخارجية التي تؤثر على عملية القرارات هي العوامل الاقتصادية، السياسية والاجتماعية، التكنولوجيا، القيم والعادات والقوانين الحكومية والرأي العام، وكذلك السياسة العامة للدولة.

-**تأثير البيئة الداخلية**: ومن العوامل التي تؤثر على اتخاذ القرار تلك التي تتعلق بالهيكل التنظيمي، وطرق الاتصال، والتنظيم الرسمي وغير الرسمي، وطبيعة العلاقات الإنسانية السائدة وإمكانية الأفراد، وقدراتهم ومدى تدريبهم. كما أن نوعية القرارات تتأثر بالقيم والمفاهيم التي يعمل ضمنها المديرون لمواجهة المشاكل التي تستدعي الحل .

-**العوامل النفسية**: أكد وجعلها "H. SIMON" أهمية الجوانب النفسية لمتخذي القرار، من بين أهم العوامل المتحكمة في سلوك الفرد المتخذ للقرار، ولذلك يصبح تأثيرها سلبيا إذا اتخذ القرار تحت ضغوطات نفسية، حيث أن هذه الضغوط تؤثر على حرية الفرد في اتخاذ القرار فتصبح حرية الفرد مقيدة بهذه الضغوط.

-**توقيت اتخاذ القرار**: يعتبر عامل الوقت من العوامل الرئيسية في عملية اتخاذ القرارات في المنظمات الاقتصادية، خاصة وأن كثير من القرارات لها تأثير كبير على روح العمل بالمنظمة، فيرغب الأفراد دائما أن يعرفوا القرار في الوقت المناسب حتى يستطيعوا القيام بدورهم بشكل فعال، كما يرغب الرؤساء أن يحاطوا علما بالقرارات التي تصدر قبل أن يعرفها مساعديهم ومرؤوسيهم .

-**المعلومات والقرار**: تتأثر القرارات التي تتخذ من المنظمة سلبا أو إيجابيا، بالبيانات والمعلومات والحقائق التي تتواجد، والمتعلقة بالمشكلة المراد اتخاذ القرار بشأنها .

-**أهداف المنظمة**: مما لاشك فيه أن أي قرار يتخذ وينفذ لابد وأن يؤدي في النهاية إلى تحقيق أهداف المنظمة، فأهداف المنظمة هي محور التوجيه الأساسي لكل العمليات فيها، لذلك فإن بؤرة الاهتمام في اتخاذ القرار هي اختيار أنسب الوسائل التي يبدو أنها سوف تحقق أهداف المنظمة الإستراتيجية أو التكتيكية.

- **الثقافة السائدة في المجتمع و المؤسسة**: تعتبر ثقافة المجتمع وعلى الأخص نسق القيم من الأمور الهامة التي تتصل بعملية اتخاذ القرار، فالمنظمة لا تقوم في فراغ

وإنما تباشر نشاطها في المجتمع وللمجتمع، ومن ثم فلابد من مراعاة الأطر الاجتماعية والثقافية للمجتمع عند اتخاذ القرار.

- **الواقع ومكوناته من الحقائق والمعلومات المتاحة:** لا يكفي المحتوى القيمي أو المحتوى الأخلاقي كما يسميه البعض بل يجب أن يؤخذ في الاعتبار الحقيقة والواقع وما ترجحه من وسيلة أو بديل على بديل. وفي رأي "H. SIMON" أن القرارات هي شيء أكبر من مجرد افتراضات تصف الواقع لأنها بكل تأكيد تصف حالة مستقبله هناك تفصيل لها على حالة أخرى وتوجه السلوك نحو البديل المختار،ومعنى هذا باختصار أن لها محتوى خلقيا بالإضافة إلى محتواها الواقعي[28].

10-فعالية القرار وتنمية المنظمة الاقتصادية :

يمكن تحسين عملية اتخاذ القرارات في المنظمة الوطنية الاقتصادية بإتباع بعض القواعد الإرشادية وهي:

1- ضرورة توافر المرونة الذهنية والمنطق التي تكفل الإلمام بالعناصر الملموسة وغير الملموسة
والعاطفة الرشيدة والتي تساعد التحليل المنطقي لكل حالة بمفردها والتي تتطلب التمييز بين الحقائق
والقيم في كل قرار؛

2- توفير القناعة الكافية للقرار وذلك بالدفاع عن أسباب القرار وتفسير أهدافه والتي أدت لاتخاذه (هنا القرار الرشيد)؛

3- توفير الوقت الكافي لعملية اتخاذ القرار بحيث لا يكون هذا الوقت أكثر أو أقل من اللازم، لأن الوقت الأقل من اللازم يؤدي إلى اتخاذ قرارات غير ناضجة أما الوقت الأكثر من اللازم يؤدي إلى تعقد المشكلة التي استدعت الحاجة أساسا لاتخاذ القرار؛

4- قبول فكرة التغيير، لأن الظروف والمواقف لا تظل ساكنة بل هي دائمة التغير والحركة ولذلك يقع على عاتق متخذ القرار أن يكون مستعدا لإجراء التغيرات اللازمة في المواقف والظروف لكي تتماشى مع نتائج القرار[29].

كما يكون القرار فعال إذا راعى بعض المقومات الفعالة والتي نوجزها في الشكل التالي:

خاتمة:

تعتبر الثقافة التنظيمية " كمدخل لزيادة فعالية القرارات بكل أنواعها، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق بناء ثقافة تنظيمية قوية تركز على سمات مميزة ، وتأخذ المؤسسة الاقتصادية محل التطبيق وفى ذلك ما يلي :

تحليل الثقافة الحالية ، تحديد التغير المطلوب ثم تقيم برنامج التغير وتنفيذه ثم تقيمه، مع ضرورة استثمار عناصر القوة فى الثقافة التنظيمية السائدة بالمؤسسة الاقتصادية كسمة المنافسة الموضوعية بما يدعم كفاءة قرارات، دعم خاصية " الابتكار " وكذا خاصية " العمل الجماعي " ،و دعم وترويج ثقافة المعرفة التنظيمية، وأساليب توفيرها للاستفادة منها بما ينعكس على أداء المؤسسة الاقتصادية، و التأكيد على ضرورة إتباع المنهج العلمي عند صناعة قرار وخاصة فيما يتعلق بـ :

وجود سياسة واضحة ومفهومة بكيفية فحص بدائل القرار،و وضع معايير واضحة يجب الالتزام بها بما يتعلق بإنجاز مرحلة الاختبار بين البدائل، وضع سياسة واضحة للمتابعة وتقييم قرارات المتخذة، الاستفادة من التغذية المرتدة خاصة من جانب العملاء لإدخالها ضمن تعديلات القرار، التأكيد على ضرورة توافر بعض السمات الثقافية مثل : الابتكار ، جماعية العمل، المشاركة ، إبداء الرأي، المنافسة، المخاطرة...

الهوامش:

1- Hofstede(g) et Bolling(D): **les differences culturelles dans le management** ,ed, d'organisation, Paris,1987, P 22 .

2- غراهام داولينغ، ت/وليد شحادة: **تكوين سمعة الشركة : الهوية والصورة و الأداء**، ط1، مطبعة العبكان، م.ع.السعودية ، 2003 ، ص 184 .

Bro Uttal: **the coorporate culture** , in fortune , October N° 17, 3-1983, PP 60-71.

4- مصطفى محمود أبو بكر: **التنظيم الإداري في المنظمات المعاصرة**، الدار الجامعية،الإسكندرية،2003،ص.401

5- ناصر محمد العديلي:**السلوك الإنساني والتنظيمي**،الإدارة العامة للبحوث، الرياض، 1995، ص444.

6- محمود سليمان العميان:**السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال**، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 314 .

7- حسين حريم : **إدارة المنظمات منظور كلي**، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 2003،ص 262 .

8- ماجدة العطية: **سلوك المنظمة: سلوك الفرد والجماعة**، دار الشرق للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص 326

9- حسين حريم : مرجع سابق ، ص 262 .

10- محمد قاسم القريوتي : **نظرية المنظمة و التنظيم** ، ط1 ، دار وائل للطباعة و النشر ، عمان ، 2000، ص 286 – 287 .

11- نفس المرجع : ص 287 .

12- ماجدة العطية : مرجع سابق ، ص 326

13- حسين حريم: مرجع سابق ، ص 265 .
14- محمود سليمان العميان : مرجع سابق ، ص 314 .
15- حسن حريم : مرجع سابق ، ص 265 .
16- نفس المرجع ، ص 265 .
17- مصطفى محمود أبو بكر : **الموارد البشرية ، مدخل الميزة التنافسية** ، الدار الجامعية ، الإسكندرية ، 2003 ، ص 81
18- عايدة سيد خطاب، صابر محمد إسماعيل: **التخطيط الاستراتيجي**، الحرري للطباعة و النشر،القاهرة،2006،ص .153
19- محمود سليمان العميان : مرجع سابق ، ص 314 .
20-نواف كنعان: **اتخاذ القرارات الإدارية بين النظرية والتطبيق**، ط 4، عمان مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع ، 1995 ص55.
21- محمد ، عادل ريان ، " **ثقافة المنظمة والإحباط الوظيفي** " مجلة البحوث التجارية المعاصرة ، كلية التجارة ، سوهاج ، العدد الأول ، 1994 ، ص ص. 143-201
22-مسلم ، على عبد الهادى ، " **أثر الثقافة التنظيمية على خصائص المديرين والممارسات التنظيمية**: دراسة مقارنة على عينه من المنظمات الصناعية والمنظمات الخدمية فى مصر " المجلة المصرية للدراسات التجارية ، كلية التجارة، المنصورة ، العدد 4 ، 1996.
23-ياغي ، محمد عبد الفتاح " **قياس رضا المديرين عن عملية اتخاذ القرارات الإدارية** ، دراسة ميدانية لاتجاهات المديرين فى القطاع السعودي " ، المجلة العربية للإدارة ، مجلد 13 ، العدد 2سيب ، 1989 ، ص ص – 5-26.
24- أحمد توفيق جميل : **إدارة الأعمال مدخل وظيفي** ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1986،ص ص 239-240.
25-بوحوش عمار : **الإتجاهات الحديثة في علم الإدارة** ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1984 ،ص .158
26-كنعان نواف : إتخاذ القرارات الإدارية بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق، ص4
27-السلمي علي : التخطيط والمتابعة ، مكتب غريب ، القاهرة ، 1978 .ص ص 17-.20
28- الجوهري عبد الهادي : **علم الإجتماع الإدارة** ، مفاهيم وقضايا ، المكتب العربي الحديث الإسكندرية ، 1998 ص 91-.92
29- أحمد توفيق جميل : **إدارة الأعمال مدخل وظيفي** ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1986.ص ص161-162.

منطقة الحضنة في العهد الحفصي
(ق7-10هـ/13-16م)

أ محمد قويسم- جامعة المسيلة- الجزائر

الملخص:
تستمد الفترة الحفصية أهميتها من كونها نهاية العصور الوسطى وبداية العصر الحديث، كما أنها بداية عصر الضعف في الحضارة العربية الإسلامية، خاصة في الحواضر الكبرى منها مدينة المسيلة الفاطمية عاصمة منطقة الحضنة ومقرة، التي تقع بين الشمال والصحراء بين الشرق والغرب في المغرب الأوسط بين كتامة وصنهاجة وزناتة.

مقدمة:
إن دراسة التطور التاريخي في منطقة المسيلة في العهد الحفصي يجب أن يكون بدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية منذ 627-948هـ/1229-1541م،من اجل الوصول إلى نتائج هامة شاملة لكل المجالات السابقة الذكر.

ا-الأوضاع السياسية:
الجزائر الحفصية أو الجزء الشرقي من المغرب الأوسط هي أربع ولايات بونة بجاية قسنطينة و الزاب وقاعدته بسكرة وتارة مقرة من بلاد الحضنة حتى المجرى الأعلى لنهر الشلف[1]، وعرفت منطقة المسيلة أو الحضنة مدينة المسيلة ومقرة ومسيف وزاغر في العهد الحفصي تطور سياسي هام من خلال الأحداث التالية:

الحدث الأول في بداية الدولة الحفصية وولاء قبيلة رياح الهلالية وموطنها الحضنة ، حيث كان زعيم عرب رياح موسى بن محمد بن مسعود الذي بايع أبي زكرياء يحي الأول(627-647هـ/1229-1249م)، سنة647هـ/ 1249م ، وهي آخر سنة في حكمه، لكن بعد وفاته غير شبل بن موسى الرياحي ولائه وبايع أبا القاسم بن عبد الرحمن ابن الأمير عبد الواحد سنة661هـ/1262م[2].

فلما بلغ ذلك المنتصر أبو عبد الله محمد الأول خرج من تونس سنة664هـ/1267م [3] لمحو آثار الفساد منه وتقويم العرب على الطاعة، وتنقل في الجهات إلى أن وصل بلاد رياح فدوخها ومهد أرجاءها، وفر شبل بن موسى وقومه الدواودة،واحتل السلطان المسيلة آخر وطن رياح،ووفاه هنالك محمد بن القوي أمير بني توجين من زناته مجددا لطاعته،حيث أجزى له العطاء واقتطع له مقرة وبلد أوماش من عمل الزاب ،ثم رجع السلطان إلى تونس [4].

الحدث الثاني في عام681هـ/1282م ظهر رجل ادعى أنه الفضل ابن يحيى الواثق إبن المستنصر، وإنه فر من السجن، هو احمد بن مرزوق بن أبي عمارة، الذي ولد في المسيلة ودرس في بجاية، مع العلم أن الفضل قد قتل بتونس[5],ودخل هذا الدعي [6]،مدينة قابس وملكها و احتوى عليها،وعلي كثير من بلاد أفريقية فأخرج

له الخليفة جيشا من تونس أمر عليه ابنه أبا زكريا،فنزل القيروان وجبي الأموال ،ثم توجه إلى الدعي ونزل والناس في كل يوم ينسلون عنه للدعي بسبب ظلمه وسفكه للدماء وإنكشاف خدعته حتى لم يبق معه إلا القليل،[7].

ثم خرج السلطان أبو إسحاق من تونس لمقاتلته في شوال من نفس السنة681هـ/1282م،ونزل بالمحمدية أو المسيلة ,وأخرج من الدروع والسيوف ماحمل على سبعين بغلة،ففر الدعي ورجع السلطان أبو إسحاق إلى تونس[8].

وبقي يتقلب في الأرض مدة من الزمن ,وكانت نهايته على يد أبو حفص ابن أبي زكريا حيث حاصر الداعي حصارا شديدا,وظهرت سيرته الغربية,وانكشفت سريرته ,ولما أيقن بالهلاك فر بنفسه,لكن عثر عليه بعد تسع أيام ,حيث قطع رأسه عام ثلاثة وثمانين وستمائة 683هـ/1284م[9].

والحدث الثالث منذ نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي هو الاقطاعات الحفصية للقبائل العربية والأسر الكبرى خلال فترة الاضطرابات السياسية والانشقاقات الداخلية استخدم السلاطين الحفصيون على نطاق واسع الاقطاعات العقارية منذ الوالي عبد الواحد الحفصي، ففي البلاد الغربية أستأنف الدواودة هجوما تهم وكان المستنصر قد قضى عليهم قضاء مبرما فقد قتلوا في إحدى المعارك والي السلطان على الزاب 0[1]،وانتشروا أكثر من الماضي في جنوب منطقة قسنطينة وبعد دلك بقليل أقطع لهم أحد السلاطين الذي ربما يكون أبو إسحاق الأول(678-681هـ/1279-1282م) جميع المناطق التي احتلوها وكذلك المسيلة ومقرة ونقاوس1[1].

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر منح المستنصر الحفصي(هو أبو حفص عمر الأول (683هـ/1284م) محمد بن عبد القوي الشيخ الوفي الحفصيين المشرف على قبيلة بني توجين التابعة لمنطقة الشلف بلدتي مقرة و اوماش الواقعتين في منطقتي الحضنةوالزاب2[1].

انقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين منذ سنة683-718هـ/1284-1318م قسم شرقي عاصمته تونس وقسم غربي بالمغرب الأوسط الجزائر تتزعمه حاضرتان هما قسنطينة وبجاية بمعنى خلال عهد أبو حفص عمر الاول683هـ/1284م وعهد أبو زكرياء يحي الثالث683-694هـ/1284-1294م3[1].

ونتيجة لانقسام البيت الحفصي و صراع الأمراء الحفصيين على السلطة , ضعفت قبضة الدول على أطراف المملكة وسمحت الفرصة للأسر العربية القوية المستقرة بالزاب وبلاد الجريد للاستقلال ومن هده الأسر التي تمردت على الدولة الحفصية نجد عرب رياح بزعامة الدواودة الذين تحالفوا مع عرب بني مزني الذين توسعوا في إمارتهم ،فأضافوا إلى إمارة الزاب منطقة شمال بلاد الحضنة المكونة من عدة مدن هي مدينة مقرة ونقاوس والمسيلة4[1].

و **الحدث الرابع** في سنة 709هـ/1309م تبعت مدينة المسيلة و ومدينة مقرة حكم بني مزني في عهد المنصور المزني حيث بلغ حكمهم أوجه مع الولاء للدولة الحفصية، الذي يضعف عندما يغيرون هدا الإخلاص تارة الزيانيين وتارة المرينيين[15].

الحدث الخامس احتفظت المسيلة في عهد الحفصيين بمكانة مرموقة بين المدن الحفصية،بل أن موقعها ذاته قد جعل منها مدة من الزمن ضحية التناحر بين بني حفص وبني عبد الواد إلى أن استرجعها السلطان الحفصي أبو يحي أبو بكر الثاني المتوكل(718-747هـ/1318-1346م) من أيدي القبائل المتمردة المتحالفة مع الزيانيين في سنة 733هـ/1332م[16].

الحدث السادس في إطار الصراع بين الحفصيين والمرينيين والزيانيين في سنة 752هـ/1351م يوم الأحد الخامس والعشرين من المحرم دخل ملك المغرب تلمسان حيث رفض طلب السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز طرد المعقل المستجيرين به ،وواصل ملك المغرب زحفه حيث نزل قرب المسيلة وبقى ثلاثة أيام لإيلاف أولاد يحي من رياح فأحسن إلى جميعهم بالكسي العديدة والمال الجزيل ثم رحل أخدا على مشارف وادي **مسيف فبحائر الشيخ** وخرج على ثنية **غان** فنزل ظاهر **الدوسن** من قرى الزاب أول شهر ربيع الأول[17].

و**الحدث الثامن** استطاع أبو العباس احمد الأول المتوكل الحفصي من بلوغ غايته باسترجاع إمارة قسنطينة في رمضان 761 هـ/1359م ، ولم تنجح المحاولات العديدة التي قام بها أبو عبد الله محمد المنصور أمير بجاية بمساعدة أولاد سباع لاسترجاعها، مما جعل أبو العباس الحفصي يستقر مؤقتا بالمسيلة لمواجهة أبوعبد الله المتمرد الذي طلب مساعدة أبو حمو الزياني، وهدا لموقعها المفصلي جغرافيا وقبليا[18].

الحدث التاسع في عام772 هـ/1370م من شهر صفر اتجه أبو حمو ومن معه من الأوفياء نحو الجنوب دون أن يفقدوا الأمل في الانتصار على المرينيين حتى وصلوا إلى ناحية **زاغر** التي كان بقطنها أولاد يحي بن علي بن سباع من الدواودة وتقع جنوب غرب المسيلة حيث استراحوا أياما قليلة، وعندما سمعوا بإقتراب المرينيين حيث انظم يحي بن خلدون إلى المرينيين في تلمسان، وكان لعبد الرحمن بن خلدون دور في دعم السلطان المريني عبد العزيز في إرسال الرسل إلى قبائل العرب بالمنطقة الشرقية من المغرب الأوسط بالحضنة و **الزاب** حيث زار عبد الرحمن منطقة المسيلة وبسكرة ونجح في إقناع الدواودة بدعم المرينيين ضد أبي حمو الزياني[19].

و أخيرا **الحدث العاشر** في فترة السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز-عزوز-(المتوكل) الذي حكم مابين(796-838هـ/1393-1434م) استعادت الدولة الحفصية سيطرتها علة مناطق الدولة الجريد وطرابلس و الزاب و الحضنة حيث قضي على حكم بني مزني[20].

والقضية الهامة التي تجب الإشارة إليها هي غياب مدينة قلعة بني حماد عن الساحة بعدما كانت تضاهي القاهرة وقرطبة خلال القرن الخامس الهجري، بسبب الخراب الذي رافق صراع الهلاليين و الزيريين في القرن السادس الهجري وتدمير الموحدين النهائي للقلعة سنة 547هـ/1152م ثم بني غانية الذين استولوا على بجاية والقلعة سنة581هـ/1185م، حيث لم تذكر القلعة إلا من خلال علمائها في بجاية وهروب العباس الحفصي إليها من قسنطينة خوفا من السلطان سنة 918هـ/1512م وهذا آخر ذكر لها في الكتب1[2].

ب-الأوضاع الاقتصادية:

كانت سهول قسنطينة المرتفعة تابعة هي أيضا للأراضي الزراعية في هده الفترة وقد أشار الجغرافيون قبل القرن السابع لمجموعة من المحطات الزراعية مثل تيفاش ومسيلة وكذلك طبنة والغالب على الظن أنها قد تراجعت بالنسبة إلى بعض النقاط في اتجاه الحضنة على وجه الخصوص، وفي فترة حكم أبو زكرياء سلطان بجاية كانت تتبعه سهول الحضنة ومدنها نقاوس ومسيلة ومقرة التي كانت تتلقى المياه من جبال البيبان والسهول العليا القسنطينية مكونة جزر زراعية لكن معظمها يضيع في حوض الحضنة المالح والمغلق2[2].

ومما سبق ضعفت الزراعة في هده الفترة بسب قلة الأمن نتيجة هجمات الأعراب الحروب السابقة(الهلاليين و الزيريين والموحدين وبني غانية) وبين الدول الثلاث الحفصيين و المرينيين و الزيانيين و الجبايات الثقيلة من طرف حاكم بجاية ، ونفس الشيء الصناعة لا ذكر لها عكس القرون السابقة مثل القرن الرابع الهجري عند بناء مدينة أشير3[2].

إن أهم الطرق المسلوكة للتجارة أو التنقل بين أهم المدن الواقعة على الساحل أو القريبة من بجاية إلى تدلس ومن بجاية إلى تونس مرورا بقسنطينة وأحيانا عنابة ومن تونس إلى ماوراء طرابلس، هناك طريق أخرى للمرور من الغرب إلى الشرق تمر من مسيلة ونقاوس وباغاية وتؤدي إلى تبسة والى مدن الوسط والجنوب التونسي لكن مند الغزوة الهلالية زادت من تفاقم انعدام الأمن بها والنتيجة بعدتها القوافل4[2].

ج-الأوضاع الاجتماعية:

من حيث السكان كانت المسيلة عامرة بعدة قبائل هي مسلم من رهط بني هلال في مفازة مسيلة الممتدة نحو مملكة بجاية ويأخذون إتاوات من مسيلة وبعض القرى في القرن العاشر الهجري5[2] وقبائل رياح الهلالية وموطنهم الحضنة الزاب و قسنطينة وبجاية منهم بطن مرداس وهم أولاد ضنبر و الزواودة أو الدواودة وأولاد عامر واستقر أولاد مسعود وأولاد عسكر وأولاد سباع من الزواودة بالحضنة مقرة والمسيلة و الزاب الاوراس نقاوس6[2] ،وبعد غدر المستنصر بزعماء رياح وقتلهم لجأ معظمهم إلى الجزء الغربي من المغرب الأوسط عند بني عبد الواد مثل بنو سباع بن يحي إلى فاس عند بني مرين مثل بني محمد بن مسعود حيث استقروا ونظموا صفوفهم وحصلوا على الإمدادات من الخيل والإبل والعتاد والآلات وزحفوا إلى أوطانهم بالدولة الحفصية وفرضوا طاعتهم على قصور ريغة وورقلي وإمارات

الزاب وبسكرة وبلاد الحضنة وجبل الاوراس مما اضطر سلطان تونس لمهادنتهم و إقطاعهم ما غلبوا عليه من البلاد[27].

أما بنو سليم فيوجدون بمنطقة المسيلة ومازالت بلدية باسمهم إلى الآن والرمانة التي بها الحوا مد وهي بلدية حتى اليوم أيضا، وقبائل عياض في جهة قلعة بني حماد التي حلت محل بني كملان وكتامة وعجيسة وبنو برزال بجهة جبل سلات وما حولها بوسعادة حاليا[28].

ومن حيث مستوى المعيشة ذكر الوزان« **والسكان كلهم... يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الدين يسلبونهم مداخيلهم وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب وقد اندهشت للفقر السائد بالمسيلة عند مروري بها فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة إلا بمشقة ولو أقمت فيها ليلة أخرى لما تمكنت من الحصول على ذلك لكثرة البؤس والفاقة السائدين في المدينة**»[29]، ونفس الكلام قاله مرمول كربخال في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي:« **وقد عمرها سكان فقراء لا يتخلصون من ذل أعراب تلك الجهات و عسفهم**» [30]،ويفهم من هدا الكلام أن الفقر السائد سببه الإعراب والحكام في بجاية وليس فقر الحضنة التي أشير إلى غناها في هدا العصر.

وفيا يخص المساكن ذكر الوزان السوار المحيطة بها جميلة بخلاف الدور فإنها قبيحة ، أما الشغل فقال الوزان السكان كلهم صناع أو فلاحون بمعنى لم يذكر التجارة التي تساهم في الأرباح وزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي[31].

د-الأوضاع الثقافية:

حسب ما اعتمدت عليه من مصادر ومراجع لم تذكر مدارس ولا زوايا في منطقة المسيلة إلا ذكر عدة علماء هم:

بعدة وفاة سعادة الرحماني مؤسس الحركة الصوفية في الزاب [32]زادت الحركة قوة على يد أبا يحي بن احمد بن عمر الداودي الذي توفي 713هـ/1313-1314م، وبعد وفاة أبي يحي اختار السنية زعيما روحيا جديدا هو محمد بن الأزرق المقري وهو:

1- **محمد بن الأزرق:** المولود في مدينة مقرة والدي زاول دراسته في بجاية ويسمى فقيه مقرة لذلك بعد وفاة أبي يحي بن احمد بن عمر الداودي الذي توفي 713هـ/1313-1314م، خليفة سعادة الرحماني مؤسس الحركة الصوفية السنية عين ابن الأزرق زعيما لهده الحركة، وبعد التدخل الزياني بقيادة السلطان ابن تاشفين ضد الحفصيين سنة 719-731هـ/ 1319-1330م لجأ ابن الأزرق عند بني مزني الذي عينوه قاضيا على بسكرة[33].

2-**احمد بن أبي القاسم بن أبي عمارة أبو العباس المسيلي** :ت 789هـ/1387م قاض ومحدث و مقريء كان في وقته يعتبر من كبار فقهاء المذهب المالكي ولد بالمسيلة وتعلم بها و بقسنطينة وبجاية وولي قضاء بجاية وتوفي بها[34] .

3-**احمد بن محمد بن احمد المسيلي:** تبعد775هـ/1373م فقيه ومفسر من أهل المسيلة رحل إلى تونس فأخذ عن ابن عرفة وأبي مهدي عيسى الغبريني وغيرهما له تقييد في التفسير قيده عن ابن عرفة[35].

4-**عبد الله بن محمد المسيلي:** هو جمال الدين أبو محمد عالم من كبار فقهاء المالكية من أهل المسيلة قال عنه ابن فرحون الإمام العلامة الأوحد البارع المتفنن صاحب المصنفات البديعة والعلوم الرفيعة كان حله عجيبا و منزعه غريبا وتصانيفه في غاية الجودة والإفادة والتنقيح انتفع به القاضي فخر الدين بن شكر المالكي توفي بالقاهرةسنة744هـ/1343م من كتبه غاية الحصول في أصول الفقه[36].

5-**السعيد المقري** :ولد قبل 930هـ/1523م بمقرة قرب المسيلة بالحضنة وتوفي 1010هـ/1601م هو عم أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب كان مفتيا في تلمسان ستين سنة ثم سافر إلى فاس واخذ عن شيوخها[37].

علماء مدينة قلعة بني حماد الذين انتقلوا خاصة إلى بجاية وهم أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي ت637هـ/1239م،[38] واحمد بن محمد المعافري القلعي(ق7هـ/13م) المعروف ابن الخراط اختصر كتاب التفسير لأبي عمرو الداني[39]، أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي(ق7هـ/13م)[40]، محمد بن أبي بكر القلعي العالم بالفقه والفرائض له كتاب نهاية القرب[41]،والفقيه والمؤرخ عبد الله عباد القلعي(ت669هـ/1070م)[42] ،وعالم الفرائض والحساب محمد بن أبي بكر القلعي(670هـ/1271م)[43].

خاتمة:

يمكن القول إن منطقة المسلة في العهد الحفصي ظلت تتمتع بموقعها الهام حيث زارها معظم الزعماء السياسيين والثقافيين من ملوك بني حفص والمرينيين والزيانيين وبن خلدون عبد الرحمن ويحي، لكن دون أن تتمتع بالاستقرار السياسي.

أما اقتصاديا فعرفت الفقر بسب نهب الإعراب والضرائب الحفصية الثقيلة والحروب واجتماعيا عرفت التهجير والتمزيق الاجتماعي بسبب الصراعات السياسية، كما أن ضعف التجارة اضعف الزراعة والصناعة بسبب تهديد الطريق التجاري المار بالمسيلة.

ثقافيا العصر عصر ضعف في معظم العلوم لكنها عرفت عدة علماء فقهاءهم:ابن الأزرق فقيه مقرة واحمد بن أبي القاسم بن أبي عمارة أبو العباس المسيلي واحمد بن محمد بن احمد المسيلي وعبد الله بن محمد المسيلي، والسعيد المقري ، أما العلماء القلعيين فهاجروا إلى بجاية وتونس خاصة هروبا من الخراب والفقر والظلم ،مما يعني ضعف العلوم العقلية والتجريبية في هده الفترة للأسباب السابقة الذكر.

الهوامش:

[1]–بن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتقديم وتعليق بوزياني الدراجي، ج2 ،دار الأهل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر2007 ،ص445-446 ،يوسف بنوجيت: قلعة بني عباس إبان القرن السادس للميلاد،ترجمة سامية سعيد عمار ،تقديم محفوظ قداش ،دار النشر دحلب، الجزائر1993،ص177،عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، دار الثقافة بيروت لبنان 1980، ص46.

[2]–عبد الرحمن الجيلالي: المرجع نفسه ، ص138.

3- إبن قنفذ القسنطيني:الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تقديم وتحقيق:محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر،1968م،ص127.

[4]–ابن خلدون عبد الرحمن:التاريخ،ج6، دار الكتاب اللبناني 1983،ص313.

[5]– الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس 1966، ص.45

[6]– ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق،ج6،ص327، الزركشي: المصدر السابق، ص46، ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية،تحقيق و التقدم الطاهر بن محمود المعموري ،الدار العربية للكتاب،1984م ، ص79،احمد ابن أبي الضياف:إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،ج1،ط2، الدار التونسية للنشر تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1976 ،ص 210-.212

[7]– ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج6،ص303-305، ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص142-143، الزركشي: المصدر السابق،ص45-50، مصطفى أبو ضيف احمد عمر: القبائل العربية في عصر بني مرين ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1982،ص131-132.

[8]– الزركشي: المصدر السابق، ص46،ابن الشماع:المصدر السابق، ص77-78، ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق، ص142.

[9]– ابن الشماع: المصدر السابق، ص80-.81

[10]– هو الفضل بن علي بن احمد بن الحسن بن علي بن مزني مؤسس إمارة بني مزني في بسكرة قتل سنة683هـ/1284م أيد أبي إسحاق الحفصي ضد أخيه المستنصر ينظر ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج6،ص915 ،عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية ،بيروت لبنان1986 ،ص295.

[11]– ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص349، روبار برنشفيك :تاريخ افريقية في العهد الحفصي، من القرن 13- إلى نهاية القرن 15، ج2، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان 1988 ،ص192.

[12]– روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص.191

[13]- عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج2،ص55.

[14]- مصطفى أبو ضيف احمد عمر:المرجع السابق، ص 138.

[15]- مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق،ص131-132، محمد قويسم: عوامل سقوط إمارة بني مزني، الملتقى الدولي حول بني مزني، المجلة الخلدونية ،عدد09 بسكرة الجزائر181، 2011.191.

[16]- بن الشماع :المصدر السابق ص89.

[17]-بن خلدون يحي: المصدر السابق، ج2 ،ص445-446.

[18]- بن خلدون يحي: بغية الرواد ،ج1 ،تحقيق عبد الحميد حاجيات ،المكتبة الوطنية، الجزائر1980،ص29.

[19]- بن خلدون يحي:المصدر السابق،ج1،ص35.

[20]- ابن قنفذ القسنطيني: المصدر السابق،ص 188 .عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث قسنطينة 19،ص92.94.

[21]- إسماعيل العربي:عواصم بني زيري ملوك أشير القلعة بجاية غرناطة المهدية ،دار الرائد العربي بيروت لبنان 1984،ص.45

[22]- الوزان الفاسي: وصف افريقية،ج3، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان1983 ، ط2 ص92، 132 ،روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2،ص226

Dominique valériane,Bougie port maghribine1067-1510,école . française de Rome paris france2006,p139,189

[23]- الوزان الفاسي: المصدر السابق،ج21،ص52.

[24]- روبار برنشفيك: المرجع السابق،ج2،ص.248

[25]- الوزان الفاسي: المصدر السابق،ج1، ص.51

[26]- ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق، ج6،ص34، مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق، ص212، بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا،ط2، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص126.

[27]- ابن خلدون عبد الرحمن :المصدر السابق، ج6، ص33-35، 289-290، مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق، ص130-.131

[28]- ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق ،ج7 ،ص171-172،عبد الحميد الخالدي: الوجود الهلالي السلمي في الجزائر، دار هومة الجزائر، 2007، إسماعيل العربي :المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ص164-165،ص75

Dominique Valérien,op cit, p153.

29- الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص52 .

30- إفريقيا ،ترجمة محمد حجي، دار نشر المعرفة الرباط المغرب 188، ص.381

31- الوزان الفاسي: المصدر السابق، ج2، ص52 .

32- الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 8 و9 الهجريين 14و15، إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز فيلالي،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2010،ص ، أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف،ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر 1991،ص418.423.

33- ابن خلدون عبد الرحمن: المصدر السابق ،ج6،ص39، روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص350، مصطفى أبو ضيف احمد عمر: المرجع السابق،ص291.

34- ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تحقيق عادل نويهض ط1 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1978،ص376،عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى الوقت الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية بيروت لبنان1976، ص299.

35- التمبكتي احمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،تحقيق علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة القاهرة،مصر 2004م، ص77، أبو القاسم الحفناوي:المرجع السابق،ج1،ص327.عادل نويهض:المرجع السابق ،ص.299

36-ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق محمد الاحمري، دار التراث القاهرة مصر 1992، ص450، التمبكتي احمد بابا:المصدر السابق، ص143، أبو القاسم الحفناوي:المرجع السابق ، ج2،ص61، عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين م 14/3هـ ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1995،ص255

37- الحفناوي:المرجع السابق، ج1،ص426.

38- الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية،ط2، تحقيق رابح بونار الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981، ص94، محمد بن عمرو الطمار: تاريخ الأدب الجزائري الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1993،ص95، عادل نويهص: المرجع السابق،ص267.

39- أبو القاسم الحفناوي:المرجع السابق، ج1، ص328-329، عادل نويهض: المرجع السابق،ص132

40- الغبريني: المصدر السابق، ص189،عادل نويهض:المرجع السابق،ص195، أبو القاسم الحفناوي:المرجع السابق،ج1،ص.340

41- الغبريني: المصدر السابق،ص227، التمبكتي أحمد بابا: المصدر السابق،ص230،أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق،ج2،ص344.

42- الغبريني: المصدر السابق،ص93،عادل نويهض: المرجع السابق، ص266.

43- الغبريني: المصدر السابق،ص227.

ملحق رقم 1

المدن والقرى بأفريقية في العهد الحفصي

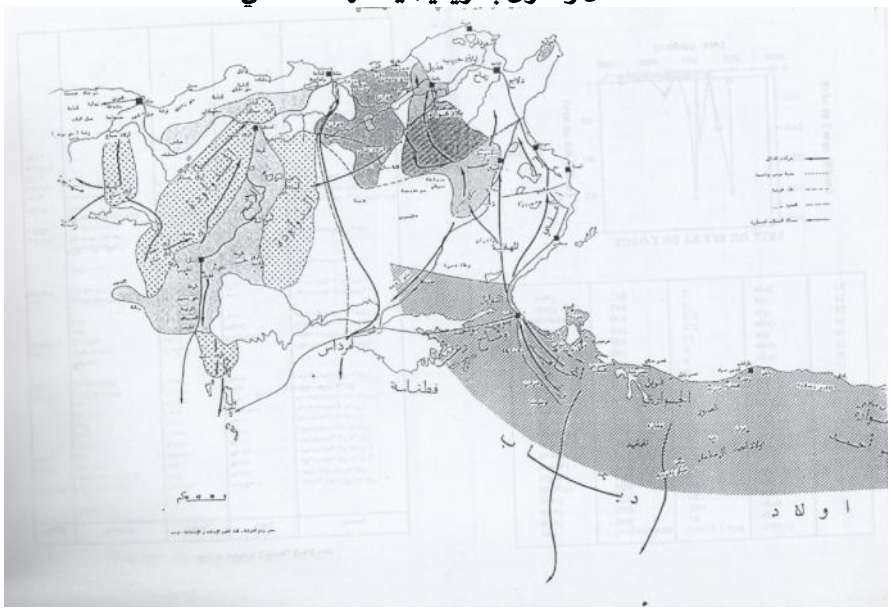

المرجع:

محمد حسن:المدينة والبادية بافريقية في العهد الحفصي، ج1، جامعة تونس الأولى 1999، ص565.

تسويـــق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت بالمكتبات الجامعية الجزائرية (دراسة ميدانية بالمكتبة الجامعية المركزية بجامعة المسيلة)

أ. بونيف محمد لمين، جامعة المسيلة- الجزائر

الملخص :

يعتبر تسويق خدمات المعلومات بالمكتبات الجامعية إلى مختلف الأطراف المستفيدة منها عبر شبكة الانترنيت قفزة نوعية وانجازا عظيما فرضته تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، ومتطلبات المستفيدين المتلاحقة ، حيث أصبحت المكتبات تستحدث طرقا مبتكرة وصيغا جديدة لاستقطاب المستفيدين نحو خدماتها وتلبية احتياجاتهم المتزايدة . عن طريق متابعة طلباتهم والعناية الفائقة باحتياجاتهم وتلبيتها بالطريقة التي يحبذونها بصورة مستمرة دائمة وفي إطار تكنولوجيا شبكة الانترنيت وتسهيلاتها.

مقدمة:

يعد التسويق عبر شبكة الانترنيت احد المفاهيم الأساسية المعاصرة التي استطاعت خلال السنوات القليلة الماضية أن تقفز بمجمل الجهود والأعمال التسويقية وبمختلف الأنشطة إلى اتجاهات معاصرة تتماشى مع العصر الحالي ومتغيراته. وقد بدأت المكتبات الجامعية في العالم تتسابق من اجل تقديم خدمات المعلومات على أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وفق نمط تسويقي معاصر، يهدف الى تغيير النظرة القائمة على أن تسويق الخدمات نشاط هامشي لا يناسب طبيعة المكتبات ومراكز المعلومات بحجة أنها لا تهدف إلى الربح وأنها تقدم خدماتها في الأصل مجانا، حيث بدأت أهمية التسويق تزداد مع التوجه الحالي نحو المكتبة الإلكترونية التي أحدثت تغيرا جذريا في بنية المكتبة التقليدية وفي مصادرها وتجهيزاتها، مما يستدعي البحث عن أساليب جديدة لتسويق خدمات المعلومات بالمكتبة الحديثة، ودراسة البدائل العديدة لوصول المستفيدين إلى المعلومات.

1. مشكلة الدراسة:

لعل من أهم العناصر التي تعرضت للتغيير بفعل النقلة التكنولوجية بالمكتبات الجامعية هو عنصر خدمات المعلومات والتي تعد مؤشرا هاما من مؤشرات نجاح المكتبة الجامعية في تأدية رسالتها وتحقيق رضا المستفيدين عنها، وهو ما يدفع بهاته المكتبات الى وجوب انتهاج سياسة تسويق ناجعة لهاته الخدمات عبر شبكة الانترنيت قصد تحقيق أكبر فعالية ممكنة . وهذا ما يجعلنا أمام التساؤل التالي :

***هل تنتهج المكتبات الجامعية الجزائرية إستراتيجية علمية في تسويق خدمات المعلومات للمستفيدين عبر شبكة الانترنيت ؟**

2. أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الإسهام في التعريف بمفهوم التسويق الحديث بجوانبه المختلفة كأحد النشاطات المهمة، وما مدى تطبيقه في المكتبات الجامعية وهل هناك إستراتيجية تسويقية تتبعها المكتبة لخدماتها بهدف الوصول لعدد من الحقائق من أبرزها ما يلي:

- تحديد طبيعة ومفهوم التسويق الحديث كأحد النشاطات الأساسية في المكتبات الجامعية.
- التعرف على واقع تسويق خدمات المعلومات للمستفيدين في المكتبات الجامعية

- التعرف على التوجهات التكنولوجية للمكتبات الجامعية في ميدان تسويق الخدمات خاصة عبر الانترنيت.
- التعرف على الأساليب والتكنولوجيات التي توظفها المكتبة في تسويق خدماتها عبر الانترنيت.

3. أهمية الدراسة:

لم يعد هناك أدنى شك في أن تقدم المكتبات الجامعية وازدهارها يتوقف على مدى مسايرتها لأحدث التطورات في المجالات العلمية والتكنولوجية والاتصالية وعليه تأتي أهمية الموضوع من الدور الذي يلعبه التسويق الحديث في العمل المكتبي وبالذات عبر شبكة الانترنيت وما يساهم به في تحقيق أهداف المكتبات الجامعية ورسالتها وذلك عن طريق استخدام الانترنيت في التعامل مع كل أنواع المستفيدين من خدمات المعلومات التي تتيحها المكتبات الجامعية.

وما يزيد في أهمية الموضوع هو وجود المكتبة الجامعية كطرف فاعل في مجتمع المعلومات الحديث والتي تسعى جاهدة لإتاحة مصادر المعلومات للمستفيدين وتحقيق رضاهم عن الخدمات المقدمة من طرفها بصفتهم النخبة في المجتمع في ظل التنافس الذي تواجهه من طرف بقية أنواع المكتبات ومراكز المعلومات في محيط المستفيد، وعليه تنبع أهمية الدراسة من خلال عدة جوانب نوجزها في النقاط التالية:

- ✓ يرتبط موضوع الدراسة مباشرة بجانب مهم من الجوانب التي تحظى باهتمام كبير من طرف المختصين في ميدان المكتبات والمعلومات والمتمثل في تسويق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت.
- ✓ تقصي واقع تسويق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت بالمكتبات الجامعية.
- ✓ معرفة نوعية خدمات المعلومات المسوقة عبر شبكة الانترنيت بالمكتبات الجامعية الجزائرية ومدى تحقيق الإفادة منها .
- ✓ إبراز أهمية وايجابيات تسويق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت بالمكتبات الجامعية.
- ✓ التأكيد على ضرورة رعاية المكتبات الجامعية لهذا النمط من التسويق لمواجهة تطورات العصر.
- ✓ التوجه بالمكتبة الجامعية نحو أساليب التسويق الحديثة الملائمة للنقلة التكنولوجية خاصة الانترنيت .
- ✓ معرفة الاستراتيجيات المستقبلية التي تسعى المكتبات الجامعية لتوظيفها من أجل الارتقاء بمستوى تسويق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت .

4. منهج الدراسة :

للتعرف إلى واقع تسويق خدمات المعلومات عبر شبكة الانترنيت في المكتبات الجامعية الجزائرية، اعتمدنا على المراجعة النظرية للموضوع وفي الجانب التطبيقي تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، الملائم لمثل هذا النوع من الدراسات، وقد تم استخدام الاستبيان كأداة لجمع البيانات، حيث قمنا بصياغة استبيان بسيط صمم ليساعد في تحديد واقع المكتبة من ناحية تسويق الخدمات، وتم توزيعه على رؤساء المصالح بالمكتبة المركزية للجامعة .

5. مصطلحات الدراسة:

التسويق : يقصد به في هذه الدراسة ذلك النشاط التسويقي الذي يخدم المكتبة ويعرف بخدماتها، وحسب الجمعية الأمريكية للمكتبات فالتسويق في بيئة المكتبات والمعلومات هو " مجموعة من الأنشطة الهادفة إلى تعزيز التبادل في البناء السريع والاستجابة بين موردي خدمات المكتبات والمعلومات والمستفيدين أو المستخدمين الفعليين والمتوقعين لهذه الخدمات وتعني هذه الأنشطة بإنتاج هذه الخدمات وتكلفتها وتوصيلها وطرق تحسينها ".[1]

خدمات المعلومات: وتعني الأنشطة والعمليات والإجراءات والتسهيلات التي تقوم بها المكتبات ومراكز المعلومات، من اجل خلق الظروف المناسبة لوصول الباحث او المستفيد الى مصادر المعلومات التي يحتاجها بأسرع الطرق وايسرها من اجل إشباع ما لديه من حاجة للمعلومات .[2]

المكتبات الجامعية: هي تلك المكتبات التي تنشأ وتمول وتدار من قبل الجامعات وذلك لتقديم المعلومات والخدمات المكتبية المختلفة لمجتمع المكتبة المكون من الطلبة والمدرسين والاداريين العاملين في الجامعة وكذلك المجتمع المحلي.[3]

الأنترنيت:هي مجموعة ضخمة من شبكات الإتصال المرتبطة ببعضها البعض، وهذه المجموعة تنمو ذاتيا بقدر ما يضاف إليها من شبكات وحاسبات.

كما تعرف بأنها مجموعة من شبكات الحواسيب على اختلاف أنواعها وأحجامها، وشبكات الإتصالات ترتبط فيما بينها لتقدم العديد من الخدمات والمعلومات بين الأفراد والجماعات، تعتمد نظم تراسل عالية وبرمجيات لتشكل لغة تخاطب واحدة تفهمها جميع الشبكات والحواسيب المتصلة بالأنترنت، تساعد على نقل وتبادل المعلومات.[4]

6. الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات نذكر منها :

- دراسة سالم بن محمد السالم . تسويق خدمات المعلومات في المكتبات الإلكترونية: دراسة حالة للمكتبة المركزية بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية .سنة 2007 " وقد لاحظ الباحث أن المكتبات الجامعية تنعم بخدمات معلومات متنوعة إلا أن الإفادة منها ليست بالشكل المطلوب، وذلك بسبب ضعف تسويقها

- دراسة بهجة مكي بومعرافي بعنوان تسويق خدمات المعلومات في المكتبات مع عرض تجربة مكتبات جامعة الشارقة، "في مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية،مج12،ع1 يوليو2006 . وتناولت فيها مفهوم التسويق في علم إدارة الأعمال وتطرقت في الدراسة إلى التعريف بمفاهيم التسويق ومبادئه وأساليبه، مع التركيز على الوضع القائم للتسويق في مكتبات جامعة الشارقة، والأساليب التي

استخدمتها في تسويق خدماتها، وأكدت على أن ضعف تطبيق التسويق يعود على ضعف نظرة المكتبيين.

7. مفهوم التسويق في المكتبات:

تعريف التسويق لغة : يعرف التسويق في اللغة على أنه : " دراسة السوق " هو علم أو فن التسويق، هو نظرية التجارة بالبضائع بالجملة = تجارة = بيع وشراء = متاجرة = تسويق بالبضائع بالجملة .[5]

تعريف التسويق اصطلاحا : إن تحديد مفهوم التسويق من الناحية الاصطلاحية عرف عدة وجهات وآراء فكل اتجاه نظر له من جانب، ومن هنا سنحاول طرح عدة تعاريف رأينا أنها الأقرب إلى المفهوم الحديث والمعاصر لهذا المصطلح :

لقد عرفت الجمعية الأمريكية التسويق " بأنه أداء أنشطة الأعمال التي تعنى يتدفق السلع من المنتج إلى المستهلك أو المستعمل " وفي عام 1985 أعادت الجمعية الأمريكية صياغة مفهوم التسويق حتى تزيل اللبس، حيث عرفته على أنه عملية تخطيط وتنفيذ لمفهوم التسعير والترويج والتوزيع للأفكار لاستحداث التبادلية التي تشبع وتحقق أهداف الأفراد والمنظمة[6]

ويذهب فيليب كوتلر Philipe kotler إلى أن التسويق مجموعة من المفاهيم الأساسية التي ترتبط مضامينها بالحاجات والرغبات الأساسية والسلع والخدمات المتاحة إضافة إلى ما تتطلبه من عمليات مبادلة وتعامل وأسواق . ويمكن أن نجمل الإطار العام للتسويق في ثلاثة عناصر رئيسة هي:

1. التسويق نشاط اجتماعي اقتصادي.
2. التسويق نظام متكامل.
3. التسويق مجموعة من الوظائف.

اما في مجال المكتبات والمعلومات فالتسويق هو مجموعة من الانشطة والاعمال المتكاملة التي تقوم بها ادارة متخصصة بالمكتبة او مركز المعلومات، تسعى من خلالها الى توفير السلع، او الخدمات، او الأفكار للمستفيدين الحاليين او المتوقعين بالكمية والمواصفات والجودة المناسبة والمطلوبة وبما يتماشى مع أذواقهم وفي الوقت والمكان المناسبين وبأقل تكلفة ممكنة، وبأسهل الطرق المتاحة، وذلك بالتعاون مع الدوائر الأخرى في المكتبة او مركز المعلومات.

8. دوافع تسويق خدمات المكتبات:

- تحقيق أهداف ورسالة المكتبة.
- تحقيق رضا المستفيدين من خلال تلبية احتياجاتهم المختلفة.
- تطور خدمات المعلوماتية الملقاة على عاتق المكتبات والتي يقابلها تغير حاجات المستفيدين.
- تطور نشاط البحث العلمي بسبب الانفجار العلمي.[7]

9. خدمات المعلومات المسوقة في بيئة المكتبات ومراكز المعلومات :

بعد ظهور التسويق الذي يدعو إلى التركيز على المستفيد والسعي وراء جذبه وكسبه بعدما صار عدد المستفيدين يعد مؤشرا قويا لمؤشرات نجاح المكتبات في تقديم خدماتها، ارتأت المكتبات أن تنهج هذا المنهاج وتطبق خطة علمية تضفي عليها شيئا من الإقبال والرضى .فالتسويق لم يغير الخدمات في حد ذاتها بل غيَّر وعدَّل في أسلوب تقديمها وطرق توصيلها . وبإمكاننا أن نرى بعض الخدمات التي يمكن

تسويقها والتي تنتج ما يسمى بالسلع المعلوماتية مقاربة للمنتجات في الحقل التسويقي التي يمكن تعريفها على أنها "المعلومات وصفتها ووسائلها الملموسة وغير الملموسة الموجودة فعليا في المكتبة أو المتاحة عبرها ومن خلال الوسائل الالكترونية الحديثة لإشباع حاجات المستفيدين "[8]. فكل خدمة تقدم من خلالها هذه المعلومات تعد نشاطا تسويقيا، ومن نماذج الخدمات نقترح ما يلي :

✓ تسويق خدمة الاحاطة الجارية: وهي عملية استعراض الوثائق والمصادر المختلفة المتوفرة حديثا في المكتبة او مركز المعلومات واختيار المواد وثيقة الصلة باحتياجات باحث او مستفيد او مجموعة من المستفيدين، تهدف هذه الخدمة إلى توفير فرص الاطلاع أمام المستفيدين على ما يبذله غيرهم من جهود وما توصلوا إليه من نتائج في موضوع اختصاصاتهم واهتماماتهم بصورة مستمرة حيث توفر هذه الخدمة أمام المستفيدين فرص الاطلاع بصورة مستمرة على ما يبذله غيرهم من جهود وما توصلوا إليه من نتائج في موضوع اختصاصاتهم واهتماماتهم. وهي بذلك تحيط المستفيدين بالجديد عن مقتنيات المكتبة وتسجل هذه المواد من اجل الإعلام عنها بطريقة تسويقية مناسبة . ولتسويق هذه الخدمة لابد من الاعتماد على بعض المتطلبات ممثلة في الأتي

- مراجعة الوثائق أو تصفحها أو سجلات الوثائق باستمرار.
- اختيار المواد المحتويات وذلك بمقارنتها باحتياجات الأفراد الذين تمسهم هذه الخدمة.
- إعلام هؤلاء الأشخاص بالمواد أو معلومات عن المواد والوثائق التي لها صلة باختصاصاتهم وذلك عن طريق النشرات التقليدية أو عن طريق البريد الالكتروني أو على موقع المكتبات .

✓ تسويق خدمة البث الانتقائي للمعلومات : هي الطريقة التي يتم بها تعريف المستفيد بالمطبوعات الحديثة والتي لها اتصال بموضوعات بحثه أو عمله وتضاهي هذه المعلومات الاهتمامات العلمية للمستفيد وميوله بناء على معلومات جمعت من المستفيد من قبل ذلك بواسطة استبيان أو مقابلة شخصية حدد فيها المستفيد احتياجاته العلمية موضوعات بحثه (بحوثه) الجارية واهتماماته العلمية أو الأوعية المتعلقة بموضوع بحثه أو عمله . وتضاهى هذه المطبوعات باهتمامات المستفيد لاستخلاص ماله أهمية واستبعاد ما ليس له أهمية".[9]

وتعتبر من اهم انواع خدمة الإحاطة الجارية التي تهدف الى ربط المستفيد بآخر التطورات في مجال اهتماماته الموضوعية التى يحددها لنفسه وعملية تسويق هذه الخدمة يتطلب من المكتبة إتباع مجموعة من الأساليب التسويقية عن طريق اجراء مسح شامل لكافة المستفيدين ثم يتم إعداد كل ملف على حدى يحتوي على بيانات خاصة من المستفيد من حيث الاسم والعنوان والدرجة العلمية والوظيفة والتخصص واللغة أو اللغات التى يجيد استخدامها وبعدها توضع استمارة خاصة باهتماماته المتعددة وفي الاخير يتم الاعلان عن النتائج من خلال الهاتف او البريد الالكتروني...الخ.

وهناك عدة مميزات لهذه الخدمة في مقدمتها توفير وقت المستفيدين واسترجاع كل ما له علاقة باهتماماتهم وضمان عمل مسح شامل للإنتاج الفكري في موضوعات تهم المستفيد .

✓ تسويق خدمة الإعارة: تعتبر الإعارة من أهم الخدمات العامة التي يجب أن تسوق لها المكتبات ومراكز المعلومات وإحدى المؤشرات الهامة على فعالية المكتبة في تسويق خدماتها وتحقيق أهدافها حيث يتم تسويق هذه الخدمة بإتباع مجموعة من الطرق والأساليب الخاصة كالتنظيم وإدارة عمليات الاعارة وتنفيذ الخطط

والاجراءات والمقترحات وتدريب العاملين على ذلك، وتحديد من لهم حق الاعارة وتجميع قوائم الطلبات واجراء الجرد والبحث عن الكتب المفقودة والاشراف على المحجوزة منها فهي تعتبر الواجهة الاساسية التى تطل منها المكتبة على المستفيدين والتى من خلالها يحكم عليها في اداء عملها بالنجاح او العكس .

✓ تسويق خدمة البحث بالاتصال المباشر: وهي عبارة عن نظام لاسترجاع المعلومات بشكل فوري ومباشر عن طريق الحاسوب والمحطات الطرفية(terminals) التي تزود المستفيد بالمعلومات المخزنة في نظم أو بنوك أو قواعد المعلومات المقروءة آليا لهذا تحرص المكتبات على توفير وإتاحة الاتصال بقواعد البيانات عن طريق نظام الاتصال المباشر بالقواعد أو عن طريق الأقراص المكتنزة CD ROM ويتم تسويق هذه الخدمة أولا بمقابلة المستفيد قبل إجراء البحث لفهم طبيعة حاجاته بدقة من خلال تحديد مفاهيم ومصطلحات البحث ثم اختيار قاعدة أو قواعد المعلومات المناسبة وبعدها يتم الاتصال بنظام المعلومات المناسب وإجراء البحث المباشر وأخيرا تقيم النتائج وتقديمها للمستفيد والاحتفاظ بنسخة منها .

10. إستراتيجية تسويق خدمات المعلومات في المكتبات :

يمكن توظيف تسويق خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات من خلال إستراتجية متكونة في خمس خطوات رئيسية: يمكن توظيف تسويق خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات من خلال إستراتجية متكونة في خمس خطوات رئيسية:

1. تحديد رسالة المكتبة أو مركز المعلومات :

وهو بمثابة بيان رسمي صريح المسار أو الاتجاه العام للمكتبة والذي يشكل أساسا لصياغة أهدافها وإستراتجيتها دون خوف بحيث تسمح للمكتبة بتوسيع نطاق ومجال نشاطها وتوفير المرونة لها لتطوير الاستراتجيات المختلفة والأهداف البديلة وتحديد الفرص المتاحة لها والتوجه نحو تلبية احتياجات المستفيدين منها.

2. وضع قائمة بأنواع الخدمات التي يمكن تقديمها للفئات المستهدفة :

ويمكن التفكير هنا في ترشيد الإمكانيات وتحديد جوانب القوة والضعف وتحديد الأساليب المناسبة لربط المستفيد بالمكتبة ولهذا ينبغي أن تكون المكتبة على معرفة تامة بما يتوفر لديها من مصادر وتجهيزات وموارد وتحديد الشكل الذي تعرض فيه والوقت المناسب لعرضها أو لترويجها داخل البيئة الخارجية أو الداخلية .

3. دراسة جمهور المستفيدين، وتحديد احتياجاتهم، والكشف عن اتجاهاتهم:

إذ ينبغي أن نأخذ في الحسبان عند دراسة السوق التفاوت الواضح بين مختلف فئات الجمهور المستهدف لأنه لا يمثل في الواقع الحقيقي فئة متجانسة ومنسجمة بل موزع إلى شرائح مختلفة ومتنوعة من التوجهات والرغبات والاحتياجات الخاصة

بكل فئة على حدي وهذا التباين يؤدي إلى ضرورة البحث عن أسلوب تسويقي ينسجم مع هذه الحقيقة وإدراك هذه الفروق يساعدها على ترجمتها إلى واقع ملموس بحيث يتم التخطيط المسبق بشكل استراتيجي يرضي الرغبات والحاجات المتفاوتة للمستخدمين .

4. اختيار أساليب الاتصال المناسبة للتعامل مع المستفيد المستهدف :

حيث يتم عرض خدماتها عليه ومنها تحفيزه على ارتياد المكتبة أو مركز المعلومات وترغيبه في التعامل معها والنظر على أنها جزء أساسي في حياته والواقع هناك مجموعة من الأساليب التي يمكن توظيفها لخدمة هذا الهدف .

5. تقويم البرامج التسويقية وتحديد مواطن الضعف وإيجاد الحلول المناسبة لمعالجتها:

وذلك بغرض التأكد من تحقيق الأهداف المرسومة سلفا والموجودة في رسالة المكتبة والتي تم وضعها منذ البداية وكذا تحديد مواطن الضعف وإيجاد الحلول ومعالجة الإشكاليات المطروحة واقتناع المسئولين بالدور الحيوي الذي تقوم به المكتبة وهذا التقويم لا يكون هكذا عشوائي أو عمل ارتجالي تقوم به إدارة المكتبة وإنما يجب إسناده إلى معايير ومقاييس موضوعية لمقارنة ما تم انجازه والتوصل إليه بما هو مطلوب تحقيقه والمراد بلوغه. [10]

11. تسويق خدمات المعلومات بالمكتبة الجامعية بالمسيلة :

تعود نشأة المكتبة الجامعية بالمسيلة إلى نشأة المعاهد الوطنية للتعليم العالي، ومنذ ذلك التاريخ بدأت المكتبة تتطور هيكليا، بشريا، ووثائقيا من اجل تقديم خدمة مرجعية لكل أفراد الأسرة الجامعية، فهي توفر لروّادها رصيدا وثائقيا متنوعا ومتطورا بأكثر من لغة، وتغطي جزءا من احتياجات الأسرة الجامعية وتغذي البرامج الدراسية، والمشاريع البحثية، وهي بمثابة الممول، والرافد المهم في حياة كل من الطالب والأستاذ.

يقدر رصيد المكتبة المركزية ب 32 ألف عنوان في اكثر من 180 ألف نسخة كما توفر كذلك:

1/ رصيدا مهما من الوثائق السمعية البصرية (أسطوانات مضغوطة- أشرطة سمعية بصرية) تستعمل كمراجع مساعدة في بعض التخصصات كاللغات الأجنبية، العلوم التطبيقية كالبيولوجيا، الإعلام الآلي، الزراعة.

2/ مجموعة من الخرائط الطبوغرافية، والجيولوجية لتخصصات الهندسة المدنية وتسيير تقنيات العمران.

3/ قواعد معطيات محمية على الخط، توفر أكثر من إحدى عشر ألف عنوان دورية ومجلة علمية وعامة، تغطي أهم التخصصات العلمية والأدبية وتتميز بالحداثة وإمكانية طبع وإرسال المقالات عبر البريد الالكتروني، يمكن الاستفادة منها في قاعات الانترنت.

4/ قاعة للانترنت مخصصة للأساتذة والباحثين، باعتبار أن المعلومات الرقمية والكتب الالكترونية مصدرا مهما من مصادر المعلومات السريعة والمتكاملة"، وتغطي كذلك بعض العجز في توفير الكتب والوثائق والدوريات الغالية الثمن أو غير الموجودة بالمكتبة.

وقد تم الإشارة سابقاً إلى أن إستراتيجية وخطة التسويق لابد أن تتماشى مع سياسة المكتبة أو المؤسسة، وتحديد رسالتها وأهدافها بدقة وتوظيف التسويق لخدمة هذه الأهداف وتحقيقها، وذلك لاستغلال الموارد البشرية والإمكانات المادية للمكتبة، ومن خلال البحث في التطبيق الفعلي لتسويق خدمات المعلومات في المكتبة الجامعية بالمسيلة محل الدراسة

اتضح أن المكتبة توفر للمستفيدين الخدمات الموضحة في **الجدول رقم01**:

الرقم	نوع الخدمة	متوفرة	غير متوفرة
1	خدمة الإحاطة الجارية		×
2	الخدمة المرجعية	×	
3	خدمة الإعارة	×	
4	خدمة الترجمة		×
5	خدمات تدريب المستفيدين		×
6	خدمة التصوير والاستنساخ		×
7	خدمة التكشيف والاستخلاص		×
8	خدمة البث الانتقائي		×
9	خدمات إتاحة الفهارس	×	
10	خدمة الانترنيت	×	
	المجموع	04	06

الجدول رقم (1) الخدمات التي توفرها المكتبة الجامعية بالمسيلة

من الجدول السابق يتضح أن المكتبة الجامعية بالمسيلة تتوفر على اربعة أنواع من خدمات المعلومات من أصل عشرة خدمات من أهم أنواع الخدمات ألأساسية التي

توفرها المكتبات بنسبة 40٪، وهي نسبة غير مشجعة انطلاقا من التزامها بتأمين الخدمات التقليدية الروتينية وعزوفها عن الخدمات الحديثة. وقد يكون هذا راجعا الى قلة الموظفين المتخصصين وضعف التكوين وكذلك قلة الامكانيات المادية سببا مباشرا في عدم توفير بعض الخدمات، مثل خدمة الاحاطة الجارية والبث الانتقائي للمعلومات والتكشيف والاستخلاص وكذلك الترجمة وهي خدمات مكلفة ماديا وتتطلب يدا عاملة مؤهلة وماهرة رغم كون هاته الخدمات المرآة الحقيقية التي تعكس نشاطات وأهداف وقدرات المكتبات الجامعية على إفادة المستفيدين، وهي المقياس الحقيقي لمدى نجاح المكتبات الجامعية أو فشلها، كما انها تمثل همزة الوصل بين المستفيد من المعلومات من جهة والمعلومات التي يمكن أن يفيد منها من جهة أخرى.

ثم تطرقنا بعد ذلك الى تسويق خدمات المعلومات في المكتبة محل الدراسة من ناحية نشاط المكتبة التسويقي للخدمات، حيث توصلنا الى أن المكتبة تعمل على تسويق بعض من خدماتها، بصورة متفاوتة، كما هو موضح في **الجدول رقم 02**:

الرقم	الخدمة	دائمًا	أحيانًا	نادرًا	لا يتم تسويقها
1	خدمة الإحاطة الجارية				×
2	الخدمة المرجعية		×		
3	خدمة الإعارة			×	
4	خدمة الترجمة				×
5	خدمات تدريب المستفيدين				×
6	خدمة التصوير والاستنساخ				×
7	خدمة التكشيف والاستخلاص				×
8	خدمة البث الانتقائي				×
9	خدمات إتاحة الفهارس		×		
10	خدمة الانترنيت	×			
	المجموع	1	2	1	6

الجدول رقم (2) تسويق خدمات المعلومات في المكتبة الجامعية بالمسيلة

حيث لا يتم تسويق أي خدمة تماما بنسبة 70٪، ما عدا خدمة الانترنيت التي تسوق بشكل دائم بنسبة 10٪، وهذه النسبة ضئيلة ومؤسفة. بالنظر الى حجم المكتبة وعدد المستفيدين مما يؤدي الى طرح التساؤل حول أسباب غياب الخدمات الأساسية وانعكاساتها الحقيقية على مردود المكتبة وتحقيق الرضى لدى المستفيدين،

باستثناء خدمة الإعارة التي تعد خدمة أساسية للمستفيد وتسوق بصورة نادرة لقلة الإمكانيات وضعف التأطير البشري. وبالنظر لباقي الخدمات نجد أنها تسوق خدمتين فقط أحيانا بنسبة 20٪، ومن خلالهاته النسب نتوصل الى مدى الضعف المتمكن من المكتبات الجامعية الجزائرية في صلب الهيكل الخدماتي والبشري بسبب ضعف التكوين وشح الموارد المادية احيانا وسوء توظيفها في احيان كثيرة اخرى.
ومن خلال استقصاء وتتبع الأساليب التي تتبعها المكتبة الجامعية بالمسيلة لتسويق خدمات المعلومات التي تنتهجها تبين أن المكتبة تعتمد عددا من الوسائل الموضحة في

الجدول رقم 03:

الرقم	الوسيلة	دائمًا	أحيانًا	لا يتم تسويقها
1	عبر الادلة والمطبوعات	×		
2	عبر موقع المكتبة الإلكتروني		×	
3	عبر الإعلانات الجدارية	×		
4	عبر التواصل البريدي			×
5	عبر التواصل الهاتفي مع المستفيدين المحتملين			×
	المجموع	2	1	2

جدول رقم (3) الوسائل المستخدمة في التسويق

حيث نجد الوسائل الدائمة الاستخدام والتي لا تتجاوز نسبتها 20 ٪ من مجموع الوسائل المعروضة في الجدول بواقع وسيلتين فقط، وتعد هذه النسبة ضعيفة تصب في نفس سياق السؤالين السابقين حول الاتجاه التقليدي للمكتبة في توظيف الوسائل المستخدمة في التسويق مما يؤكد لنا أنه لا يوجد خطة إستراتيجية لتسويق الخدمات في المكتبة، وهذا راجع الى ضعف الوعي بالنجاعة التسويقية عبر شبكة الانترنيت لخدمات المعلومات لدى المسيرين بالمكتبات الجامعية انطلاقا من كون هؤلاء غير مستفيدين من تكوينات علمية متخصصة تساهم في ترسيخ هاته الاستراتيجية في التسيير لديهم.
وتستخدم المكتبة لهذا الغرض وسيلة الإعلانات الجدارية، ووسيلة الأدلة والمطبوعات وهي وسائل تقليدية على الرغم من أهميتها، الا انها تتسم بالقوة والفعالية نظرا لقدرتها على الوصول السريع للمستفيد في حين ان وسيلة التواصل عبر موقع المكتبة الإلكتروني المدمج في موقع الجامعة يسهم في الوصول إلى أكبر شريحة من المستفيدين، خاصة المهتمين بالإعلام الآلي والانترنيت.
اما بخصوص ما يتعلق بتوفر الخدمات التي تقدمها المكتبة الجامعية بالمسيلة عبر الإنترنيت فيحددها **الجدول رقم 04 كما يلي:**

الرقم	الخدمة المقدمة	تقدم	لا تقدم
1	خدمة الإحاطة الجارية		×
2	الخدمة المرجعية		×
3	خدمة الإعارة		×
4	خدمة الترجمة		×
5	خدمات تدريب المستفيدين		×
6	خدمة التصوير والاستنساخ		×
7	خدمة التكشيف والاستخلاص		×
8	خدمة البث الانتقائي		×
9	خدمات إتاحة الفهارس	×	
10	خدمة الانترنيت		×
	المجموع	1	9

الجدول رقم (4) خدمات المعلومات المتاحة عبر الإنترنت

اتضح من خلال الجدول 04 أن هناك خدمة واحدة فقط يتم إتاحتها للمستفيد عبر الإنترنت بنسبة 10٪، تتمثل في خدمة إتاحة الفهارس للبحث وهي مؤشر على اهتمام المكتبة بالمستفيدين وتطور ملحوظ في نوعية خدمات المستفيدين بها، في حين لا توفر المكتبة الجامعية بالمسيلة، أيا من بقية أنواع الخدمات، مما يدل على ضعف المكتبة في هاته الناحية وهو ما يتطلب إستراتيجية علمية ومخططات عمل جديدة لتقوية وتطوير الأداء في هاته الناحية .انطلاقا من رؤية علمية كاملة ومسؤولة من الاطراف المسيرة الفاعلة في المكتبة .

12. نتائج الدراسة:

لاحظنا من خلال البحث في موضوع تسويق خدمات المعلومات في المكتبة الجامعية بالمسيلة خاصة والمكتبات الجامعية الجزائرية بصفة عامة، أن المكتبات الجامعية الجزائرية لا تتوفر على بنية أساسية لتسويق خدمات المعلومات وإن توفرت فهي

لن تخرج عن كونها بعض الممارسات التسويقية البسيطة هذا إذا علمنا بأن وجود التسويق في المكتبات ومراكز المعلومات ضرورة حتمية مرتبطة بشروط تقوم أساسا على وجود الوعي التام لدي مستخدمي القرار بضرورته وكذا حسن ممارسته داخل المكتبات ومراكز المعلومات تم تحديد مجموعة من النتائج يمكن حصرها في النقاط التالية:

- غياب إستراتيجية تسويقية ناجعة بالمكتبات الجامعية الجزائرية .
- ضعف التكوين والمهارة لدى مسيري المكتبات الجامعية الجزائرية في ميدان التسويق
- حداثة فكرة التوجه نحو تسويق خدمات المعلومات عبر الانترنيت في المكتبات الجامعية الجزائرية.
- محاولة المكتبات الجامعية الجزائرية الشروع في اعتماد الأساليب التسويقية عبر الانترنيت في الوصول للمستفيدين من خلال بعض الخدمات، مثل إتاحة الفهارس العامة للمكتبات على الخط المباشر، وإمكانية البحث ضمن بعض قواعد المعلومات.

وكنتيجة لغياب مبادئ التسويق نلاحظ كذالك أن المكتبات الجامعية الجزائرية تعاني واقع التخلف في ميدان التسويق، كما نجد أن الطرق التقليدية التي تستخدمها معظم المكتبات في الجزائر في تنفيذ مهامها والتي لازالت مهتمة بالمنتوج عوض التوجه نحو المستفيد وتلبية رغباته واحتياجاته .

13. التوصيات:

- توحيد الجهود بين المكتبات الجامعية الجزائرية للارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للمستفيدين على شبكة الانترنيت .
- رفع مستوى التكوين والمهارة لدى مسيري المكتبات الجامعية الجزائرية في ميدان التسويق عن طريق التربصات والدورات التدريبية لتطوير الفكر التسويقي بين المكتبيين.
- الاهتمام بتسويق خدمات المعلومات في المكتبات الجامعية عن طريق توظيف المكتبيين المتخصصين وتوفير أليات العمل الايجابي والسليم .
- تفعيل دور التسويق في المكتبات الجامعية الجزائرية، وذلك من خلال تقديم جميع خدمات المعلومات الممكنة خاصة الاساسية منها .
- وجوب عمل المكتبات الجامعية الجزائرية على وضع خطة إستراتيجية تسويقية مستقبلية متكاملة.
- وجوب تعيين إطارات بشرية مقتدرة، مدربة ولديها الكفاءة الكاملة للعمل على ترسيخ ثقافة تسويق الخدمات بالمكتبة.
- تشجيع الدراسات والبحوث المهتمة بتسويق الخدمات في المكتبات ومراكز المعلومات في المؤسسات الجامعية والبحثية الجزائرية .
- محاولة الاستفادة من التجارب الاجنبية وتطبيقها على المكتبات الجامعية الجزائرية بما يتناسب وخصوصية الجامعة الجزائرية وامكانياتها .

14. الخاتمة:

وعليه فاستغلال التسويق من قبل المكتبات الجامعية لم يعد أمراً ممكناً فحسب بل أصبح ضرورة ملحة لكي تحسن تلك المكتبات من أسلوب الإدارة الذي تتبعه، ومن نوعية الخدمات التي تقدمها للمستفيدين، وتجذب لنفسها سمعة طيبة في الوسط الأكاديمي. مما يتطلب ضرورة قيام المكتبات الجامعية بإحداث أقسام تعنى بالتخطيط للبرامج التسويقية وتنفيذها وتقويمها وتعديلها حسب الحاجة، وزيادة الاهتمام بالمستفيدين، كما ينبغي على المتخصصين في مجال المكتبات والمعلومات زيادة الاهتمام بالدراسات التسويقية بغرض إثراء الإنتاج الفكري في هذا المجال.

ان استخدام التسويق في المكتبات لا يؤدي فقط إلى حل المشكلات المادية ولكنه يزيد من عدد مستخدمي المكتبة وهو الهدف الأساس من وجود المكتبة.

إن نجاح خطة التسويق ولو على مستوى زيادة عدد المستفيدين فقط سوف يدعم مبررات دعم المكتبة واستمرارها من صانعي القرار.

وفي الأخير يمكن القول ان التغيرات الحاصلة في المفاهيم وكذا المقاربات والانعكاسات التي تؤدي إليها سواء فيما يتعلق بخدمات المعلومات أو ما يرتبط بالأساليب المستخدمة في تسويقها والتعريف بها وإيصالها إلى المستفيد عبر شبكة الانترنيت يتطلب تعاونا دائما بين نظم المعلومات فيما بينها وثقافة معلوماتية للارتقاء بأنظمة المعلومات إلى المستوى المطلوب حتى يتسنى لها تحقيق التنمية الشاملة والمساهمة في إرساء قواعد مجتمع معلوماتي متطور.

الهوامش:

1 منصور ، عصام ، تسويق خدمات المعلومات بمكتبات كليات ومعاهد الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت ،مجلة دراسات المعلومات ع 7 جانفي ،2010، ص 25.

2 بومعراف، بهجة مكي:"تسويق خدمات المعلومات في المكتبات : عرض تجربة مكتبة جامعة الشارقة" ، مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية،مج12،ع1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، يوليو2006م ، ص 177.

3 حافظ،عبد الرشيد عبد العزيز:" التسويق في بيئة المكتبات الجامعية: المبررات والمعوقات"، مجلة المكتبات والمعلومات العربية،س23،ع3 ، دار المريخ ، الرياض ، يوليو2003 ، ص 6

4 السعفي، حسن محمد؛ غنيم، مها أحمد.- شبكة الأنترنت العالمية واستخداماتها في المكتبات ومراكز المعلومات.- تكنولوجيا المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات العربية بين الواقع والمستقبل.- المؤتمر العربي الثامن للمعلومات.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1999. ص. 416

5 الكرمي ، حسن سعيد : قاموس المغني الأكبر : معجم اللغة الانجليزية الكلاسيكية والمعاصرة : انجليزي عربي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 2001 ، ص.766.

6 زين، عبد الهادي . جلال، بهجت : تسويق الخدمات المكتبية وخدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات : مدخل نظري ، الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات ، س1،ع1، القاهرة ، 1994 م، ص. 92 - 94

7 ايدروج، الأخضر، صناعة المعلومات وديناميكية التسويق للخدمات المكتبية، المجلة العربية للمعلومات، مج 17، ع 1، 1996، ص 35 - 40

8 ربحي، مصطفى عليان.إيمان، فاضل السامرائي: تسويق المعلومات، دار صفاء. عمان، 2004، ص 103

9 جاسم ،محمد جرجيس ، بديع، محمود القاسم : مصادر المعلومات في مجال الأعلام والاتصال الجماهيري ، مركز الإسكندرية للوسائط الثقافية والمكتبات ، الإسكندرية ، 1998 ، ص25 .

10 بوعزة،عبد المجيد:" تسويق خدمات المكتبات الجامعية. وقائع الندوة العربية التي نظمها الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ومركز سيرميدي ومركز التوثيق القومي حول: المكتبات الجامعية دعامة للبحث العلمي والعمل التربوي في الوطن العربي"، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان ،1994م، ص 112.

نظام ل. م. د و عالم الشغل(الإيجابيات و السلبيات)

أ.فرفار سامية، أ.رزقي محمد- المركز الجامعي البويرة- الجزائر

الملخص:

تعتبر الجامعة مركز إشعاع حضاري و علمي في المجتمع انطلاقا من مهمتها التي تضطلع إلى تكوين إطارات تساهم في النهوض بالمجتمعات و صنع التقدم في كل المجالات، بحيث تعتمد درجة حيويتها على عنصر بشري يملك القدرات المطلوبة للأداء الجيد يتقاسمه كل من الأساتذة و الطلبة و الهيكل التنظيمي.
و على هذا الأساس شهد التعليم الجامعي اهتماما كبيرا على مختلف الأصعدة المحلية و العربية و العالمية لدفعه نحو الأفضل لمواكبة حاجات الأفراد و المجتمع استجابة للتطورات العلمية و التكنولوجية و متطلبات هذا القرن و مختلف تحدياته المستقبلية.

و لما كانت الجامعة المركز الذي يتلقى فيه الطالب مجموعة المعارف و العلوم و المهارات مكونا بذلك فكرا تحليليا يحاول من خلاله الكشف عن الحقائق و تكوين رصيد معلوماتي في مجالات مختلفة يوظفها في وضعيات لاحقة في ميدان الشغل، جعل الجزائر تحمل على عاتقها مسؤولية استحداث قطاع التعليم العالي وصولا به إلى آخر مرحلة التي عرفت اعتماد نظام ل.م.د في معظم التخصصات و على مستوى كل الجامعات الجزائرية تقريبا. و يهدف هذا النظام في عمومه إلى ربط الجامعة بسوق العمل و المشاركة في التنمية المستدامة للبلاد بالتفتح على العالم الاجتماعي و الاقتصادي من خلال البرامج و المناهج المناسبة في إكساب الطالب القدرات المعرفية و المهارات الفنية. فإلى أي مدى يساهم نظام ل.م.د في تكوين إطار قادر على الاستجابة لمتطلبات الشغل؟ وهل قامت الجامعة الجزائرية حقيقة بتجهيز الأرضية المناسبة لتبني نظام ل.م.د؟ وهو ما سنحاول مناقشته في هذه الورقة البحثية.

مقدمة:

تعتبر الجامعة مركز إشعاع حضاري و علمي في المجتمع انطلاقا من مهمتها التي تضطلع إلى تكوين إطارات تساهم في النهوض بالمجتمعات و صنع التقدم في كل المجالات، بحيث تعتمد درجة حيويتها على عنصر بشري يملك القدرات المطلوبة للأداء الجيد يتقاسمه كل من الأساتذة و الطلبة و الهيكل التنظيمي.
و على هذا الأساس شهد التعليم الجامعي اهتماما كبيرا على مختلف الأصعدة المحلية و العربية و العالمية لدفعه نحو الأفضل لمواكبة حاجات الأفراد و المجتمع استجابة للتطورات العلمية و التكنولوجية و متطلبات هذا القرن و مختلف تحدياته المستقبلية.
و لما كانت الجامعة المركز الذي يتلقى فيه الطالب مجموعة المعارف و العلوم و المهارات مكونا بذلك فكرا تحليليا يحاول من خلاله الكشف عن الحقائق و تكوين رصيد معلوماتي في مجالات مختلفة يوظفها في وضعيات لاحقة في ميدان الشغل، جعل الجزائر تحمل على عاتقها مسؤولية استحداث قطاع التعليم العالي وصولا به إلى آخر مرحلة التي عرفت اعتماد نظام ل.م.د في معظم التخصصات و على مستوى كل الجامعات الجزائرية تقريبا. و يهدف هذا النظام في عمومه إلى ربط الجامعة بسوق العمل و المشاركة في التنمية المستدامة للبلاد بالتفتح على العالم الاجتماعي و الاقتصادي من خلال البرامج و المناهج المناسبة في إكساب الطالب القدرات المعرفية و المهارات الفنية. فإلى أي مدى يساهم نظام ل.م.د في تكوين إطار قادر على

الاستجابة لمتطلبات الشغل؟ وهل قامت الجامعة الجزائرية حقيقة بتجهيز الأرضية المناسبة لتبني نظام ل.م.د؟ وهو ما سنحاول مناقشته في هذه الورقة البحثية.

1- التطور التاريخي للجامعة الجزائرية:

يعتبر استقلال الجزائر هو بداية التعليم الجامعي بالنسبة للجزائريين إذ لم يكن بالجزائر غداة الاستقلال إلا جامعة الجزائر، "بنيت سنة 1877، وأعيد تنظيمها سنة 1909، إلا أنه لم يتخرج منها أي جزائري إلا بعد الحرب العالمية الثانية ولم يتخرج منها قبل الاستقلال إلا عدد محدود من الجزائريين، وقد كان غالبيتهم في الآداب والحقوق. إلى جانب جامعة الجزائر، كانت هناك مدرستان وهما المعهد الوطني للفلاحة، والمدرسة الوطنية متعددة التقنيات"(رابح تركي1981: 164)

لهذا أعارت الجزائر المستقلة اهتماما خاصا بالتعليم العالي، الذي مر بعدة مراحل في إطار سيرورة التطور، مسايرة للتحول السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حيث يمكن تقسيم التطورات التي عرفها قطاع التعليم العالي إلى ثلاثة مراحل:

1-1 المرحلة الأولى:

تمتد من الاستقلال سنة 1962 إلى سنة 1970 تاريخ إنشاء أول وزارة متخصصة في التعليم العالي والبحث العلمي، تتميز هذه المرحلة بفتح جامعات في المدن الرئيسية بالجزائر، فبعد أن كانت بالجزائر جامعة واحدة وهي جامعة الجزائر، وكانت مختصة في تكوين أبناء المعمرين بالدرجة الأولى، فتحت جامعة وهران سنة 1966، تلتها جامعة قسنطينة سنة 1967، ثم تلتها بعد ذلك كل من جامعة العلوم والتكنولوجيا –هواري بومدين- بالجزائر وجامعة العلوم والتكنولوجيا –محمد بوضياف- بوهران، وجامعة عنابة، بينما فتحت الجامعة الإسلامية –جامعة الأمير عبد القادر- بقسنطينة سنة 1984.

كما كانت الجامعة مقسمة إلى كليات وهي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية، كلية الطب، كلية العلوم الدقيقة.

و هذه الكليات مقسمة بدورها إلى عدد من الأقسام، تهتم بتدريس التخصصات المختلفة، حيث أن النظام البيداغوجي كان مطابقا للنظام الفرنسي، و تتمثل مراحله فيما يلي:

- "مرحلة الليسانس: وتدوم ثلاث سنوات بغالبية التخصصات، وهي عبارة عن نظام سنوي للشهادات المستقلة، التي تكون في مجموعها شهادة الليسانس.
- شهادة الدراسات المعمقة: وتدوم سنة واحدة، يتم التركيز فيها على منهجية البحث، إلى جانب أطروحة مبسطة لتطبيق ما جاء بالدراسة النظرية.
- شهادة دكتوراه الدرجة الثالثة: وتدوم سنتان على الأقل من البحث لإنجاز أطروحة علمية.
- شهادة دكتوراه الدولة: وقد تصل مدة تحضيرها إلى خمس سنوات من البحث النظري أو التطبيقي، حسب تخصصات الباحثين واهتماماتهم.

وبهذا نسجل أن المرحلة الأولى كانت تهدف إلى توسيع التعليم العالي، والتعريب الجزئي والجزأرة، مع المحافظة على نظم الدراسة الموروثة"(وزارة التعليم العالي:2004. 05).

1-2 المرحلة الثانية:

وتبدأ من سنة 1970، سنة إحداث وزارة متخصصة للتعليم العلي والبحث العلمي، تلاها مباشرة إصلاح التعليم العالي سنة 1971، ويتمثل هذا الإصلاح في تقسيم الكليات إلى معاهد مستقلة تضم الأقسام المتجانسة واعتماد نظام السداسيات محل الشهادات السنوية. وقد أجريت التعديلات التالية على مراحل الدراسة الجامعية:

-مرحلة الليسانس: وهي ما يطلق عليها أيضا مرحلة التدرج، وتدوم أربع سنوات، أما الوحدات الدراسية فهي المقاييس السداسية.

- مرحلة الماجستير: وهي ما يطلق عليها أيضا مرحلة ما بعد التدرج الأولي، وتدوم سنتين على الأقل، وتحتوي على جزأين: الجزء الأول وهو مجموعة من المقاييس النظرية أما الجزء الثاني فيتمثل في إنجاز بحث يقدم في صورة أطروحة.

- مرحلة دكتوراه العلوم: وهي ما يطلق عليها مرحلة ما بعد التدرج الثانية وتدوم حوالي خمس سنوات من البحث العلمي.

إلى جانب التغيرات المذكورة، تتميز عملية الإصلاح بإدخال الأشغال الموجهة والتطبيقات الميدانية في البرامج الجامعية،وقد تميزت هذه المرحلة بفتح مجموعة من المراكز الجامعية في مختلف ولايات الوطن لمواجهة الطلب المتزايد على التعليم العالي.

كما تم في هذه المرحلة أيضا وضع الخريطة الجامعية (1984) وكانت تهدف إلى تخطيط التعليم الجامعي إلى آفاق سنة 2000

معتمدة في ذلك على احتياجات الاقتصاد الوطني بقطاعاته المختلفة. كما عمدت إلى تحديد الاحتياجات من أجل العمل على توفيرها وتعديل التوازن من حيث توجيه الطلبة إلى التخصصات التي تحتاجها السوق الوطنية للعمل، كالتخصصات التكنولوجية والحد من توجه الطلبة إلى بعض التخصصات الأخرى كالحقوق والطب، كما تم بموجب الخريطة الجامعية تحويل معاهد الطب إلى معاهد وطنية مستقلة وهذا رغبة في التناسق مع متطلبات سوق العمل في المجتمع.

1-3 المرحلة الثالثة:

كانت بدايتها مع سنة 1998 إلى يومنا هذا، تميزت بالتوسع التشريعي والهيكلي والإصلاح الجزئي،وقد عرفت هذه المرحلة إجراءات تتمثل فيما يلي:

- وضع القانون التوجيهي للتعليم العالي الذي وافق عليه مجلس الحكومة في سبتمبر 1998.

- قرار بإعادة تنظيم الجامعة في صورة كليات، كما تم إنشاء ست جذوع مشتركة، يتم توجيه الطلبة الجدد إليها ضف إلى ذلك ترقية المراكز الجامعية إلى جامعات.

كما شهد قطاع التعليم العالي وتيرة من الإصلاحات بدء من النظام الجديد (ليسانس، ماستر، دكتوراه) الذي تحاول وزارة التعليم العالي والبحث العلمي توسيع دائرة تطبيقيه في مختلف الجامعات والتخصصات، وهذا بهدف بلورة مسار الجامعة في ظل الجودة والنوعية المواكبة للعولمة "حيث تم إنجاز منذ سنة 1999 (12) جامعة بمرافقها، وتم فتح (13) مركز جامعي وهكذا أصبحت الشبكة الجامعة الجزائرية تتكون من ثلاثة وستون (63) مؤسسة للتعليم العالي موزعة

على ثلاثة وأربعون (43) ولاية، سبعة وعشرون (27) جامعة وعشرون (20) مركزا جامعيا واثنتا عشر (12) مدرسة وطنية عليا وأربعة (04) مدارس عليا للأساتذة"(مجلة صدى الجامعة:2008. 03)

كما تم ترقية سبع (07) مراكز جامعية إلى مصاف جامعات مستوفية جميع الشروط وهي تبسة، أم البواقي، المدية، الجلفة، معسكر، سعيدة، بشار وهذا سنة 2008. وكذا كلا من: البويرة ، الوادي، خميس مليانة، سوق اهراس، خنشلة، غرداية، برج بوعريريج والطارف في خطاب رئيس الجمهورية ليوم 14 ديسمبر سنة2011 بمناسبة افتتاحه للسنة الجامعية 2011-2012.

2- وظائف الجامعة:

لقد تغير مفهوم ووظائف الجامعة منذ نشأتها الأولى حتى وقتنا الحالي، فبعد أن كانت قاصرة على النشاط الأكاديمي، ومنعزلة عن المجتمع وعن مشكلاته، وما يحدث فيه من متغيرات وما يواجهه من تحديات أصبحت اليوم أكثر ارتباطا بالمجتمع، نتيجة للمتغيرات المجتمعية والمتغيرات الجامعية بالإضافة إلى حاجة الجامعات إلى التمويل والدعم المادي والأدبي. "فبعد أن كان للتعليم الجامعي وظيفتان تقليديتان هما التدريس والبحث العلمي وتعتبر وظيفة التدريس بكافة أنواعه وأشكاله هي أولى وظائف الجامعة منذ نشأتها وحتى وقتنا الحاضر، ولكن بتعقد الحياة اتسعت مسؤولية الجامعة وأصبحت تهدف إلى إعداد كوادر قيادية في مختلف التخصصات والأعداد للمهن المختلفة والبحث العلمي، والإنتاج الفكري وتوليد المعرفة والتنشئة الفكرية والثقافية والحضارية وخدمة البيئة والمجتمع"(حسن محمد حسان:2008. 6).

ومن هنا يجب أن تقوم الجامعة بوظائف تؤهلها لذلك والتي يمكن تحديدها في الآتي:

" - أن تقوم الجامعة بإعداد القوة الدافعة لحركة تطوير المجتمع وقيادة هذا التطوير، وذلك عن طريق تربية الشباب وتوجيههم توجيها فكريا ووجدانيا وروحيا بما يتلاءم مع الروح الحضارية، والولاء للوطن والرغبة في الانفتاح على العالم حتى يمكنهم قيادة البلاد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا بصورة إبداعية.

- تطوير النماذج المعرفية على اختلاف أشكالها، لأن الجامعة مؤسسة علمية متقدمة ينبغي أن تسعى إلى تطوير المعرفة العلمية لإغناء التراث الوطني والإنساني بأبعاده المختلفة، حتى يبقى المجتمع الإنساني قادرا على النهوض بأعباء الحياة وما تتطلب من شروط معرفية"(رمزي أحمد:2006. 76)لتطوير البلاد في كافة نشاطاتها، ولذا فعلى الجامعة الإعداد لتخصصات مستقبلية تفرضها التطورات العلمية، واحتياجات السوق العربية خاصة و الدولية عامة حاضرا ومستقبلا.

- حمل رسالة البحث العلمي، وما تتطلبه هذه الرسالة من شروط منهجية وتقنيات وأن يوجه هذا البحث ليكون الدرع الواقي لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة، مع تطوير كافة مجالات العلوم البحتة والتطبيقية والإنسانية والاجتماعية، لكي يكون البحث هو أداة للنهوض بالمسؤولية العلمية والاجتماعية في آن واحد لأن البحث العلمي ليس في أصله ترفا ثقافيا بقدر ما هو سعي جاد للتغلب على المشكلات الاجتماعية.

- توعية الطلبة والمجتمع بمشكلاتهم في الواقع الاجتماعي، فالجامعات مسئولة عن إثارة الوعي الأصيل والصادق نحو مشكلات الواقع كشرط ضروري للتنبيه إليها وحشد الجهود لمواجهتها.

- ومن أعباء الجامعة في الدول النامية دورها في ربط خريجيها بمجال عملهم وطوال حياتهم العملية، والالتزام بواجبها في التعليم المستمر، حتى لا تتجمد معرفة الأجيال المختلفة من الخريجين عند تاريخ تركهم للجامعة، كما يجب عليها أن تتبين أن غايتها الحقيقية ومبرر وجودها هو خدمة المجتمع والجنس البشري، وأن الطالب والخريج إنما هو أداتها لبلوغ تلك الغاية.
- تأهيل عناصر الهوية الثقافية بحيث تبقى مكونات حياتية نافعة في مد البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشكل مستقبل الأمة في صيغة من العقلانية وقبول التجديد والانفتاح على الخبرة العالمية للمحافظة على الذات الثقافية الوطنية دون انعزال عن الذات الثقافية للإنسان. فالتعليم الجامعي الصحيح لا ينبني إلا على مبدأين أساسيين:

أ- مبدأ نظري: غايته نشر المعرفة والكشف عن الحقيقة لبنية خالصة وبعزيمة صادقة بعيدة عن كل مصلحة شخصية أنانية.

ب- مبدأ عملي: ويتمثل في وظيفتها الاجتماعية التي لا يمكن تحقيقها إلا بالتلاحم بينها وبين حاجات الإنتاج في المجتمع.

وعليه ينبغي للجامعة الحديثة أن تنشر المعرفة وتكشف عن الحقيقة، كذلك يجب عليها إعداد المؤطرين الذين تحتاج إليهم الأمة في مختلف القطاعات: أطباء، مهندسين، قضاة، محامون، أساتذة.....الخ.

وليس ثمة تناقض بين هذين المبدأين لأن البحث عن الحقيقة المجردة يؤدي بطبيعة الحال إلى الكشف عن نتائجها العلمية من ناحية ولأن التخصيص في تطبيقات العلم لا يبلغ غايته إلا إذا كان مصحوبا بدراسات علمية مبينة على أسس نظرية من ناحية أخر ى.

ومنه فنجد أن التعليم الجامعي لا يصل إلى غايته إلا إذا جمع بين المبدأين النظري والعلمي على صعيد واحد حتى يصير البحث العلمي إحدى وسائل وأدوات التطور الاجتماعي والتقدم العلمي، وحتى يكون الإعداد العلمي للحياة متفقا مع حاجات التخطيط الوطني ولا ينبغي أن يؤدي إلى انقطاع الاتصال بين الفكر والحياة أو بين النظرية والعمل.

وخلاصة القول أن جامعة الأمس تختلف اختلافا شاسعا عن جامعة اليوم، من حيث الأهداف والوظيفة والهياكل الجامعية ووسائل وأساليب التدريس والتعليم، وأعضاء هيئة التدريس والدراسات العليا والبحث العلمي، فحركة الجامعة يجب أن تتكيف مع الواقع وتتطور مع أحداث التغير، حيث يمكن أن نلخص وظائف الجامعة في أنها تمثل مجتمعا يهتم بالبحث عن الحقيقة، التعليم وخدمة المجتمع.

3- أهداف الجامعة:

حتى وإن كان ظهور الجامعة يختلف من مكان إلى آخر حسب فترات زمنية مختلفة، فإن الهدف الرئيسي الذي تواجدت لأجله هو تلقين المعرفة العلمية، العقلية والفكرية لمن تفوقوا من أبناء الأمة في المراحل التعليمية ما قبل الجامعة، وذلك لتحضير قيادات مختلفة للمؤسسات الاجتماعية، الاقتصادية والعلمية، ومن ثم فإنها تعمل على إكساب الطالب رصيدا معرفيا و ثقافيا عاليا و مهارات تفيد في اقتحام مجال العمل.

وإذا كان البحث العلمي هو الرسالة الأولى للجامعة، فإنه من المؤكد أنها تجمع فريقين من الناس: أساتذة وطلبة متفقين حول مهمتها الأساسية وبالتالي كلاهما طالبا للحقيقة وباحثا عنها، أحدهما (الأستاذ) أكثر خبرة وأوسع معرفة وأشد ملكا لأصول وأساليب البحث وهو يرشد الآخر (الطالب) ويوجهه في العمل المشترك أي البحث عن باطن الأمور وكلياتها وفي هذا الإرشاد والتوجيه يكمن جوهر العلم.

بالإضافة إلى ذلك هناك غاية أخرى تسعى إليها الجامعة وهي بناء الفكر والرؤية النقدية والعقل العلمي الرشيد والشخصية العلمية المتواضعة وذات الخلق الحسن لأن العلم الصحيح يتطلب الأمانة والثقة والمثابرة والتضحية وهذه كلها فضائل خلقية.

من هنا فإن وضوح أهداف الجامعة المنشودة وغاياتها المرسومة التي يراد تحقيقها جميعها عناصر مهمة يجب أن تترسمها الإدارة الجامعية من جهة وتعمل على تعريف العاملين بها من أعضاء هيئة التدريس وإداريين وطلبة من جهة أخرى وعلى كافة المستويات لكي تتظافر الجهود وتتفاعل لتحقيق أهدافها وغاياتها، وباختصار فإن الجامعة تسعى إلى تحقيق الأهداف العامة الأساسية التالية:

3-1- التدريس الجامعي:

ويتمثل هذا الهدف في إعداد الكوادر والطاقات البشرية المتخصصة والمؤهلة في كافة التخصصات في شتى المجالات التربوية والإسلامية والثقافية والأدبية والعلمية والمهنية... والتي يحتاجها المجتمع والتنمية الاجتماعية، الاقتصادية.

3-2- البحث العلمي:

ويتمثل هذا الهدف في "إجراء البحوث الأساسية النظرية والإجرائية والتطبيقية ودعمها وتوظيفها وبخاصة تلك البحوث المنغلقة بقضايا المجتمع وحل مشكلاته، ويمكن تحقيق ذلك من خلال قيام أعضاء هيئة التدريس وطلبة الدراسات العليا ومراكز البحوث"(زيتون عايش محمد:1996. 23) في الجامعة بالبحث العلمي ونشاطاته المرافقة.

3-3 خدمة المجتمع وتنميته:

ويتحقق ذلك من خلال تزويد المجتمع بالتخصصات والمهن المطلوبة في المجتمع، وكذلك المشاركة في وضع الخطط والسياسة الوطنية للتنمية "وتأمين حاجات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من الكوادر والقوى البشرية المؤهلة وتنفيذ المشروعات والاستثمارات وتطوير المجتمع المحلي والوطني وإعدادات القيادات المؤهلة لتبوأ مراكز القيادة والريادة في المجتمع وفي مختلف التخصصات والمهن بمجالاتها المختلفة ولتأكيد أهداف الجامعة ووظائفها.

ومن ثمة فإن الجامعة مؤسسة تربوية تعليمية بحثية وتنموية قيادية في المجتمع والنموذج في العمل ورائدة في التغيير الإيجابي في المجتمع، وهي إحدى مؤسسات المجتمع الهامة التي يفترض أن المجتمع هو الذي يقيمها ويشيدها ويبنيها وبالتالي ينبغي أن تلبي حاجات المجتمع التنموية وتحقيق أهدافه وحل قضاياه ومشكلاته.

4- مقومات تحقيق أهداف الجامعة:

تستطيع الجامعة القيام بوظائفها وتحقيق أهدافها إذا توفرت لديها جملة من المدخلات فإن كان الطلاب أهم تلك المدخلات، فإن الأساتذة أهم مقوماتها، فالجامعة تحتاج لتوعية متميزة من أعضاء هيئة التدريس ذلك لأن الجامعة بأساتذتها لا بمبانيها، والجامعة بفكر هؤلاء الأساتذة وعملهم مع طلابها وخبرتهم وبحوثهم وتطبيق مختلف طرائق التدريس عن طريق المقررات والمناهج الدراسية وفيما يلي نذكر أهم المقومات لتحقق الجامعة أهدافها وهي:

4-1 عضو هيئة التدريس:

يعد العماد الرئيسي الذي تقوم عليه العملية التعليمية بالجامعة ويتوقف على تكوينه وجهده ونشاطه نجاح العملية التعليمية في تحقيق أهداف الجامعة "فهو الذي يوصل المعرفة إلى طلابه ويقوم بتصميم المناهج التي تناسبهم وتساعد في بناءهم العلمي، بحيث يقع على عاتقه عبء الإشراف على الرسائل العلمية

والبحوث، فيقوم بتوجيه الطلاب وإرشادهم. ويعتبر الأستاذ الجامعي مصدرا رئيسيا للمعرفة لطلابه بحيث يلزمه ذلك أن يكون متعمقا في مادة تخصصه ومتجددا وملاحقا لكل جديد في مجال العلم والمعرفة سواء بالأمور المتعلقة بمادة تخصصه الأكاديمي أو بعض الثقافات العامة التي تضفي لشخصيته سمات تميزه عن باقي أفراد المهن الأخرى"(وفاء محمد برادعي:2002. 302)، فضلا عن التزامه الأخلاقي بآداب المهنة العامة، ضف إلى ذلك احترام عضو هيئة التدريس لأفكار وآراء وجهود طلابه في مجال مادته التخصصية وأي من المناقشات الحرة التي تتم بينهما سواء داخل الأسر الطلابية إذا كان يترأس إحداهما أو من خلال الندوات واللقاءات الثقافية، مما يتطلب منه إدراكه التام بمتطلباتهم الفكرية واحتياجاتهم العقلية والنفسية والأخلاقية وقد يحتاج الأستاذ الجامعي إلى الحرية بنوعيها:

1- الحرية الأكاديمية: "ويقصد هنا بالحرية الأكاديمية غياب القيود والضغوط التي يمكن أن تفرضها السلطات السياسية أو الدينية أو الإدارية أو غيرها من السلطات والقوى خارج الجامعة أو داخلها. والتي من شأنها أن تبث الخوف أو القلق في عقول ونفوس العاملين في الجامعة من أساتذة وباحثين وطلاب بحيث تمنعهم من الدراسة أو البحث بحرية في أي موضوع يثير اهتماماهم أو مناقشته أو تدريسه أو نشر أية نتائج يتوصلون إليها.

2- الحرية المدنية: "ويقصد بها تلك الحرية المستمدة من المبادئ الأساسية والاجتماعية، وتعني الحريات والحقوق التي يتمتع بها الأستاذ الجامعي كأي إنسان في المجتمع، حيث يتمتع بالحريات المدنية العامة، كمواطن عليه واجبات فوقية ودستورية يؤديها وله حقوق يحصل عليها(حسن شحاته:2001. 37). وإذا كانت الحرية الأكاديمية مستمدة من المبادئ العلمية بالأكاديمية الجامعية والحرية المدنية مستمدة من الدستور فإن هذا يعني أن الأستاذ يتمتع بالأولى كميزة والثانية كحق.

4-2 المناهج والمقررات الدراسية:

تعتبر المناهج والمقررات الدراسية من أهم المقومات لتحقيق أهداف الجامعة، وحتى الآن ونحن على أعتاب الألفية الثالثة مازالت المناهج تحتوي على مقررات دراسية تقليدية رتيبة، تحتل فيها الدراسات النظرية والإنسانية مركز الصدارة مع ضعف الارتباط بين المناهج الدراسية في الجامعات ومتطلبات التنمية، بالإضافة إلى ضعف العناية والاهتمام بالدراسات التطبيقية مع عدم خضوع المناهج لتقويم مستمر كما أن هناك بعض الأمور التي تتعلق بالمناهج والمقررات الدراسية أهمها:

- مازال الأستاذ الجامعي هو الذي يقوم في أغلب الأحيان بوضع البرامج الدراسية وبناءها وتطويرها، مما يجعل تلك العملية مسؤولية تتعلق بقراراته البحثية والعلمية ومهاراته في التجديد والاستحداث والاطلاع على ما هو جديد وأي قصور ينسب إلى المناهج هنا هو قصور في إعداد وتدريب الأستاذ الجامعي.
- فقدان التوازن بين المناهج الدراسية في المجال النظري والتطبيقي، ويتضح ذلك من كم الدراسات النظرية المعرفية والإنسانية مقارنة بالدراسات التطبيقية.
- الاعتماد المتزايد على الترجمة من المراجع الأجنبية والموسوعات العلمية أو إلزام الطلاب بدراستها بلغتها الأجنبية، مما يولد في نفوس الطلاب مواقف سلبية تتسم بالتبعية والشعور بالعجز والاغتراب والتبعية الفكرية.
- مازالت المناهج مستوردة من الدول الغربية، تصبح بدلك غريبة عن المجتمع بعيدة عن حاجاته وخصائصه وقاصرة عن تلبية متطلباته واحتياجات الطلاب وخصائصهم العقلية والاجتماعية والفكرية.

4-3- طرائق التدريس:

إن طرق التدريس المستخدمة حاليا في جامعتنا تعتمد على المحاضرة و التلقين والتي تعتبر قاصرة ومتخلفة عن البحث والتطبيق والموضوعية العلمية في التعلم والتعليم، الأمر الذي يتطلب تطويرا جوهريا في طرائق التدريس لتتنوع بين الإلقاء والمناقشة والحوار وإثارة القضايا المتنوعة سواء كانت وطيدة الصلة بمادة التخصص أو القضايا العامة في المجتمع، مع إحداث توظيف المعلومات وتنوع التكليفات والمطلوب أداءها من الطلاب بين إعداد التقارير، جمع المادة العلمية، عمل الأبحاث، المشاركة في التدريس مع تنوع الوسائل التعليمية المرئية والمسموعة لإحداث مواقف مثيرة تعليميا.

4-4- الطلاب:

إذا كان المجتمع الجامعي ببيئة منتقاة، وإذا كان هذا الانتقاء يشير إلى قدر كبير من التميز للعناصر المختارة سواء من أعضاء هيئة التدريس أو الطلاب، إلا أننا لا نستطيع أن ننس تلك الحقيقة الاجتماعية التي تؤكد أن هذه العناصر تظل جزء من الجسم الاجتماعي الكلي العام للأمة، منفعلة بظروفه وأصوله وما يضطرب به من أحوال سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وهذه المتغيرات المجتمعية ليست مجرد عناصر منفصلة تتجاور مع ما يتلقاه الفرد الجامعي من معارف ومهارات وقيم، وإنما تدخل في نسيج التكوين الشخصي بحيث تلتحم بما يتعلم وتتفاعل معه بل وقد توجهه.

فإذا كانت الجامعة كأحد وظائفها وأهم أهدافها تعد مصنعا هاما للفكر فإن عليها عبء دراسة متطلبات الطلاب والاحتياجات النفسية والاجتماعية والعقلية والثقافية، لتستطيع من خلال أسس موضوعية وتخطيطية مدروسة تحديد ما يقدم لهم في صورة مناهج ومقررات دراسية أو ما يدور داخل الحرم الجامعي من نشاطات ثقافية حضارية تلبي تلك الاحتياجات وتحقق أهدافها.

5- أهداف نظام التعليم الجديد:

على ضوء توصيات اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية و التوجيهات المتضمنة في مخطط تطبيق إصلاح النظام التربوي الذي صودق عليه في مجلس الوزراء يوم 20 أفريل 2002 ، سطرت وزارة التعليم العالي و البحث العلمي كهدف إستراتيجي لمرحلة 2004-2003 إعداد و وضع أرضية لإصلاح شامل و عميق للتعليم العالي، و تتمثل المرحلة الأولى في وضع هيكل جديد للتعليم مصحوب بتحسين و تحيين مستوى البرامج البيداغوجية و كذا إعادة تنظيم لتسيير البيداغوجي .

يؤكد هذا الإصلاح على الطابع العمومي للتعليم العالي ، كما يؤكد على المبادئ الأساسية التي ترتكز عليها رؤية المهام الموكولة إلى جامعة الجزائرية و التي تتلخص فيما يلي :

- توفير تكوين نوعي للجميع مدى الحياة لنيل إدماج مهني أحسن ، و التكفل بتلبية الإحتياجات المشروعة للمجتمع فيما يخص التعليم العالي .
- المشاركة في التنمية المستدامة للبلاد بالتفتح على العالم الإجتماعي و الإقتصادي .
- ترسيخ قواعد الإستقلالية الذاتية الحقيقية للمؤسسات وفقا لمبادئ التسيير الرشيد.
- السماح للجامعة الجزائرية باسترجاع مكانتها كقطب للإشعاع الثقافي و العلمي على المستويين الإقليمي و العالمي.

و لتجسيد هذا المبدأ فإن وزارة التعليم العالي و البحث العلمي قد تبنت نموذجا جديدا للتعليم العالي المعروف باسم ل.م.د (ماستر – ليسانس – دكتوراه).

1.5 ما معنى ل.م.د LMD ؟

يمثـــل LMD بنيـة التعلـيم العـالي ، المستلهمة مـن البنيـات المعمـول بهـا في البلدان الأنغلو ساكسونية و المعممة في البلدان المصنعة، تتمفصل هذه البنية حول ثلاث أطوار للتكوين ، يتوج كل منها بشهادة جامعية .

الطور الأول = بكالوريا + 3 سنوات و يتوج بليسانس.

الطور الثاني = بكالوريا + 5 سنوات و يتوج بماستر.

الطور الثالث = بكالوريا + 8 سنوات و يتوج بدكتوراه.

و في كل طور من هذه الأطوار تكون المسارات منظمة في وحدات تعليمية ضمن سداسيات دراسية، و يكون التقويم فيه سداسيا خلال السنة.حيث نجد من ميزات الوحدة التعليمية أنها قابلة للجمع أو التحويل مما يعني أن اكتسابها من طرف الطالب يكون نهائيا و أنه يمكن أن يستعمله ا في مسار تكويني آخر (مما يمنح للطالب حرية التنقل، و الخيار المتنوع و يسمح له بمزاولة مسار جامعي مفرد).

المبدأ الثالث الذي يرتكز عليه نظام LMD هو الوضوح : بإمكان سوق الشغل مقارنة شهادات LMD بكل سهولة في البلد نفسه أو من بلد إلى بلد آخر،و بالفعل فإن بنية التعلمات هي نفسها في كل البلدان التي تطبق هذا النظام .

❖الليسانس: هذا الطور من التكوين ينظم في طورين:

- تكوين قاعدي متعدد المواد مدته من سداسيين (02) إلى (04) سداسيات مكرسة لإكتساب المبادئ الأساسية للمواد المعنية بالشهادة و تكوينا متخصصا أكثر بإختيارين: " ليسانس أكاديمية " و " ليسانس مهنية ".

❖الماستر: تكون مدة التكوين في هذا الطور سنتين بعد الليسانس أي 5 سنوات دراسات عليا بعد البكالوريا . يكون الماستر في متناول كل حاصل على شهادة الليسانس مهما كان اختصاصه.

الماستر يشبه الليسانس في كونه ذو إختيارين : "ماستر أكاديمي" و " ماستر مهني" . تسمح الشهادة الأكاديمية بالإلتحاق مباشرة بالدراسات الجامعية المطلوبة و المتخصصة أكثر (من الليسانس إلى الماستر و من الماستر إلى الدكتوراه).

حيث تسمح الشهادة المهنية بالإندماج السريع في سوق العمل . و على العموم، فشهادة كهذه يكون معترف بها إن تكفلت بها مؤسسة أو مجموعة من المؤسسات.

❖الدكتوراه : تحضر هذه الشهادة بعد الماستر خلال 3 سنوات على الأقل في مخبر للبحث، يحضر هذه الشهادة حاملي شهادة الماستر الراغبون في الشروع في دراسات البحث و التفرغ فيما بعد لمهنة أستاذ باحث .

2.5.الخصائص الرئيسية لنظام (LMD) : " ليسانس – ماستر – دكتوراه "

زيادة على مزايا هذه البنية البسيطة المتكونة من ثلاث شهادات، فإن نظام LMD يرتكز على رؤية عرض التكوين المنسجم أكثر، إذ تقدم عروض هذا التكوين على شكل ميادين و تنظم في شكل مسالك نموذجية .

ميدان التكوين : هو عبارة عن جملة من المواد منضوية في مجموعة منسجمة من حيث المجالات التي تؤدي إليها،يمكننا أن نذكر منها ما يلي :

- علوم المادة - الرياضيات و الإعلام الآلي و التطبيقات للعلوم (MI).

- علـوم الحيـاة (ع.ح) - علـوم الأرض و الكـون (ع.أ.ك) العلـوم الدقيقـة و التكنولوجيات الخاصة بالمهندس – الفنون – النشاطات الرياضية – الآداب و الآداب العربـي – الآداب و اللغـات الأجنبيـة – العلـوم الإداريـة و القانونيـة – العلـوم الإجتماعية – العلوم الإنسانية – العلوم الإقتصادية – العلوم الإسلامية ، أي 14 ميدانا .إذ فـي كل ميدان من هذه الميادين الأربعة عشر يوجد عدد من المسالك النموذجية التي توافق التخصصات المطلوبة.

❖المسلك النموذجي: هـو تشكيل متجانس لوحدات التعليم بطريقة بيداغوجية منسجمة ، يحددها فريق بيداغوجي تطبيقا للهدف المصادق عليه من المركزية

❖وحدة التعليم: هـي مجموعة مواد تعليمية أو مقاييس متمفصلة بطريقة بيداغوجية متجانسة وفق تدرج منطقي لإكتساب كفاءات محددة و عليه يمكن إبراز ثلاث أصناف:

- وحدة التعليم الأساسي التي تجمع الدراسات القاعدية .
- وحدة تعليم الاكتشاف التي تحضر كتعلمات تسمح بتوسيع آفاق معارف الطالب كما تفتح أمامه آفاقا أخرى في حالة ما إذا كان هناك إعادة التوجيه .
- وحدة التعليم المستعرضة : و تضم هذه الوحدة دراسات اللغات الأجنبية ، و الإعلام الآلي ، و تكنولوجيا المعلومات و الإتصال ، قصد اكتساب الطلبة ثقافة عامة و تقنيات المنهجية .

كل وحدة من هذه الوحدات مرفقة بمعدل عام و رصيد ، يؤكد معدل الوحدة التعليمية فيما إذا اكتسبت الوحدة أم لا ، بينما يسمح الرصيد بجمع العلامات المرتبطة بالوحدة التعليمية إذا كانت مكتسبة .

❖ الرصيد : هو وحدة تقاس بها الدراسات المكتسبة ، و كل وحدة تعليم لها قيمة معينة يعبر عنها بالرصيد ، و محددة من خلال عمل منجز من طرف الطالب (حجم التوقيت، الأهمية، العمل الفردي، مذكرة التخرج ...) .

أي يشكل الرصيد مرجعا مشتركا لكل المؤسسات ، و هو بهذه الصفة قابل التجميع و التحويل و نادرا ما يكون مختلفا و إذا تعلق الأمر بالتحويل من وحدة تعليمية إلى أخرى و هذا يعود إلى تقدير الفروق المتباينة بين وحدات التعليم إلى الفريق البيداغوجي للمؤسسة المستقبلة.

يتكون الفصل السداسي من 30 رصيدا ، و عليه يمكن حصر 180 رصيدا للحصول على شهادة ليسانس و 300 رصيد للحصول على الماستر . علما أن شهادة الدكتوراه لا تقدر بالرصيد بل هي تكوين في البحث، متوج بشهادة تمنح بعد عرض الأطروحة و مناقشتها.

❖التقييم و التدرج: بشهادة تمنح إما باكتساب الطالب لكل وحدة تعليمية مكونة للمسار أو بتطبيق الأسلوب التعويضي بين الوحدات التعليمية.

❖التوجيه: لا توجد قواعد محددة مسبقا؛ لذا يعتمد أساسا على رغبات و مهارات الطالب في المسار المختار. و على الطالب أن يختار مجال تكوين يؤدي إلى عدد من الشعب أو الإختيارات علما أنه في نهاية السنة يسمح للطالب بالتغيير من شعبة إلى شعبة أخرى مرغوب فيها.

❖المعبر: إن المعبر يسمح للطالب بتغيير مساره البيداغوجي خلال تمدرسه ، و هو ممكن سواء في المؤسسة التي ينتسب إليها الطالب أو بمؤسسة أخرى و ذلك بمقتضى مبدأ المرونة و بشكل عام يبقى الطالب على صلة دائمة بالفريق البيداغوجي الذي يرشده إلى متابعة إحدى الوحدات التعليمية للمسار المطلوب .

❖فريق التكوين: يتكون من مسئولي الفرق البيداغوجية لمسار بيداغوجي معين و يرأسه رئيس القسم.
❖الفريق البيداغوجي : يتشكل هذا الفريق من كل أساتذة الوحدة التعليمية لنفس المسار البيداغوجي .

5-3 - نظام LMD و طبيعة التخصص:

عندما نرجع إلى الهدف الأساسي من النظام الجديد المتمثل في ربط الجامعة بسوق العمل نقول أنه صالح أكثر للتخصصات العلمية و التطبيقية و التقنية شريطة مشاركة المحيط الاجتماعي و الاقتصادي، ولنأخذ نموذجا واقعيا حيث بحكم التخصص تمت مشاركتنا في فتح تخصص تقني ألا و هو ليسانس الشبكات الكهربائية. هذا التخصص يستحيل تطبيقه بدون موافقة مسبقة من طرف سونلغاز لأن برنامج السنة الثالثة يعتمد اعتمادا كليا على ما توفره هاته الشركة من وسائل لإجراء زيارات ميدانية وبحوث تطبيقية خصوصا و أن هذا التخصص يوجد به مادة مهمة سميناها مادة PFE (مشروع نهاية السنة) ذات أكبر عدد من الأرصدة (05) و حجم ساعي 42 ساعة. في المقابل يوفر تعليم هذه المادة تماسا مباشرا بين الطالب و سوق العمل من خلال التعارف المزدوج بين سونلغاز و الطالب، و هذا في ليسانس أكاديمي فما بالك بليسانس تمهين عندئذ يكون التواصل أكبر من خلال إزدياد الحجم الساعي.
و إذا ما قارنا هذا مع العلوم الإنسانية و الإجتماعية نجدها بعيدة عن هذا النظام لأنها مازالت تركز على الجانب النظري أكثر من التطبيقي و لعل هذا يظهر أكثر في تقرير التخرج الذي يعتمد على شقه النظري و هو ما يجعل هذه التخصصات بعيدة عن فحوى نظام ل.م.د.

5-4- إيجابيات و سلبيات نظام LMD :

❖الإيجابيات:

- الرسملة (Capitilisation) : و تعني أن الوحدات الدراسية المكتسبة لا مجال لإعادتها حتى لو تم تحويل الطالب إلى مؤسسة أحرى، حيث يمكنه تحويل الرصيد (القروض) عند مغادرة المؤسسة الأصلية.

- الحركية (Mobilité) : و يمكن الطالب أو الطالبة من تحويل ملفه البيداغوجي و تسجيله في أي مؤسسة جامعية في الجزائر أو خارجها أو حتى تغيير المسار الدراسي.

- الوضوحية (Lisibilité) : يمكن لسوق العمل أن يقارن بسهولة شهادات ال: ل.م.د في إطار التشغيل.

- المصداقية : حيث أن شهادة الLMD معترف بها دوليا.
- إمكانية التطور : يمكن تطوير برامج التدريس بكل دينامكية و ليونة ضمن إطار مهام الفريق البيداغوجي.
- تفاعله مع عالم الشغل: حيث أن هذا التفاعل يتم منذ البداية خصوصا لنظام ل.م.د تمهين فعادة لا يقبل مشروع ل.م.د دون التوقيع على اتفاقيات مسبقة مع قطاعات اقتصادية (مؤسسات عمومية و خاصة)، و هذا لأجل تفادي المشاكل خصوصا في المرحلة الأخيرة من الدراسة أي أثناء إنجاز الأطروحات و المذكرات.

❖ السلبيات:

- جهل الطلبة و تخوفهم من هذا النظام الجديد مما يؤدي إلى نقص الإنتاجية وانخفاض المستوى التعليمي لهم. لذا ينصح للمكلفين بتطبيق هذا النظام النزول إلى الوسط الطلابي من أجل الشرح و تبديد شكوك الطلاب.

- النقص الواضح للإمكانيات الموجهة لتجسيد هذا النظام المكثف .
- غموض طريقة تطبيق هذا النظام.
- غياب النظرة المستقبلية لأفاق النظام انطلاقا من تنظيم الدفعات الأولى للماستر .
- غياب المادة العلمية الخاصة بهذا النظام و الإعتماد على برامج المقاييس في النظام الكلاسيكي و الكتب القديمة.
- التهرب من معالجة ظاهرة الرسوب المرتفعة في هذا النظام.
- نقص تفعيل قنوات الحوار الجاد و البناء على جميع الأصعدة المحلية و الوطنية.
- هشاشة النسيج الصناعي في الوطن مما لا يساعد على إجراء التربصات التطبيقية لطلبة هدا النظام.

- وجود نسبة بطالة نوعا ما مرتفعة عند الشباب دون 30 سنة، ومع قصر مدة تكوين نظام ل.م.د مقارنة بالنظام الكلاسيكي قد يؤدي إلى تفاقم مشكلة البطالة أكثر. بما يؤدي إلى اتهام غير موضوعي لهذا النظام.

6- الجامعة الجزائرية بنظامين ؟ :

من دون شك أننا نتساءل جميعا عن بقاء اعتماد الجامعة الجزائرية للنظام الكلاسيكي على الرغم من تبنيها نظام ل.م.د. فهل يرجع الأمر إلى عدم ثقة القائمين على التغيير في هذا النظام و تخوفهم من فشله و إبقاء النظام الكلاسيكي كنوع من الحكاية أم هي قضية وقت و التغيير سيتم بطريقة تدريجية ليعمم في الوقت المناسب له. لكن الأمر الذي نتفق عليه هو أن تواجد نظامين تعليميين في آن واحد و في نفس المكان يخلق الكثير من الحساسيات و المقارنات بين مساوئ نظام و محاسن الآخر خاصة في أوساط الطلبة مما يخلق عندهم نوع من التشتت و عدم الوضوح و عدم الرضا في اختياراتهم لا سيما طلبة ل.م.د فتنقص دافعيتهم نحو التعلم و البحث عن المعارف و الإكتفاء باكتساب المعلومات عن طريق الإلقاء و التلقين لتجد الجامعة نفسها في نهاية المطاف أمام نظامين و لكن بأسلوب واحد في التدريس.

7 - نظام LMD و سوق العمل:

لعل الهدف الأول الذي أرادته الدولة من وراء اعتماد هذا النظام إضافة إلى الإستجابة للتغيرات العالمية و الثورة التكنولوجية هو تكوين طالب مؤهل يعترف بشهادته في العالم من جهة و يدمج بسرعة في عالم الشغل من جهة أخرى، أي إنتاج طلبة متخصصين أكثر منهم حاملين لشهادات، و لكن تجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الخصائص تبقى نظرية أكثر و بعيدة كل البعد عن التحقيق الميداني الفعلي. لأن شهادة ل.م.د ما زال يحيط بها الكثير من الغموض و التخوف خاصة فيما يتعلق بحاملي شهادة الليسانس، فأرباب العمل يجدون بأن ثلاث سنوات لا تكفي للحصول على معارف شهادة ليسانس و فعلا هذا ما واجهه بعض خريجي هذا النظام من مختلف الجامعات الجزائرية. الأمر الذي يرجع إلى غياب التوعية و الإعلام و كذا التوضيح بأهمية هذا النظام في البناء الاقتصادي و الاجتماعي.
و في خضم هذه المعطيات يتعين على وزارة التعليم العالي أخذ هذا الجانب على محمل من الجد و ذلك من أجل التنسيق بين الجامعات و مؤسسات الدولة لاحتواء هذه الفئة و الاستفادة من تكوينها و استثمار مهاراتها و خبراتها. فمن خلال تجربتنا البسيطة نجد أنه حان الوقت لوضع عدد من الآليات لإنجاح الإصلاح في الجامعة الجزائرية أهمها:

- إنشاء مجلس للشراكة بين المحيط الاجتماعي و الاقتصادي و الجامعة ، يكون في البداية مركزيا ثم توضع له فروع عبر كل جامعات الوطن. تقع على هذا المجلس مسؤولية اختيار طبيعة التكوين المناسبة ، كما يمكن مع تطور هذا المجلس

المساهمة في تطعيم وتغيير بعض المناهج الدراسية. نشدد على أن القرارات يجب أن تتخذ من طرف الجامعة لأنه قد يكون لدى الشريك الاقتصادي نظرة آنية و قصيرة المدى قد لا تخدم التطور البعيد المدى للوطن، وباختصار يكون دور هذا المجلس كبداية استشاريا فقط.

و في الأخير لا يسعنا إلا القول بأن نظام ل.م.د في الجامعة الجزائرية يعتبر حقيقة تجربة رائدة لصنع التقدم الاقتصادي و الاجتماعي و التكنولوجي للمجتمع شريطة أن تهيأ له الأرضية الخصبة لإحتواء مبادئه و معاييره حتى تظهر نجاعتها وفائدتها أكثر على الطالب و الجامعة من جهة وميدان الشغل و المجتمع من جهة أخرى.

الهوامش:

1- رابح تركي، ابن باديس رائد الاصلاح و التربية في الجزائر،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،ط3،الجزائر،1981.

2-وزارة التعليم العالي و البحث العلمي،ملف لاصلاح التعليم العالي، الجزائر،جانفي 2004.

3-حسن محمد حسان، التعليم الجامعي الخاص، دار الجامعة الجديدة، الأزاريطة، 2008.

4-رمزي أحمد عبد الحي، التعليم العالي و التنمية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر،ط1، الاسكندرية،2006.

5-زيتون عايش محمود،أساليب التدريس الجامعي، دار الشروق للنشر و التوزيع،ط1 ، 1996.

6-وفاء محمد البرعي، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري،دار الجامعية للنشر، ط1 الاسكندرية،2002.

7-حسن شحاتة، التعليم الجامعي و التقويم الجامعي بين النظرية و التطبيق،مكتبة دار العربية للكتاب،ط1، 2001.

نماذج من حركات المقاومة الوطنية في السودان الغربي

خلال القرن 19م

أ.عطية عبد الكامل-جامعة المسيلة- الجزائر

المقدمة:

يعتبر القرن التاسع عشر مجالا خصبا للدراسات التاريخية المتعلقة بغرب إفريقيا،ففيه ظهرت فكرة الجهاد لنشر الإسلام وتطورت تطورا كبيرا،ولم تعد هذه الحركة قاصرة على نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين وإنما أصبح هدف روادها التصدي للأطماع الأوربية الاستعمارية.كما شهد القرن التاسع عشر تأسيس ممالك إسلامية كبيرة،مثل الفولاني والتكرور،ومملكة ساموري العسكرية.وفيه أيضا تم تقسيم القارة الإفريقية بعد مؤتمر برلين1884-1885م [1] بين الدول الأوربية الاستعمارية مما ترتب عليه نشوب صراع عنيف بين الدول الغازية والزعامات الوطنية الإفريقية [2].

جوبه الاستعمار الأوربي منذ أن وطأت قدماه أرض السودان الغربي بمقاومة عسكرية عنيفة،وثورات عارمة متصلة،وكانت المواجهة غير متكافئة؛إذ أن أوربا استعملت في إخماد هذه المقاومات أحدث ما توصل إليه العقل الأوربي من أسلحة للفتك والبطش، فيما اعتمد الأفارقة على الأسلحة البسيطة من سيوف وحراب وسهام،وسقط الآلاف من أبناء السودان الغربي ذودا عن أراضيهم وأعراضهم وممتلكاتهم [3].

من أبرز حركات المقاومة للمد الاستعماري التي شهدها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر حركتي " الحاج عمرالفوتي" ،"وساموري توري"، وقد اخترت النموذجين على سبيل المثال لا للحصر. فتاريخ السودان الغربي غني بالحركات المقاومة ،والمناهضة للتواجد الاستعماري بمختلف أشكاله عبر مختلف مراحل التاريخ.

وقبل التطرق لعرض جهود القائدين الجهادي ارتأيت أن ألخص أهم أسباب ظهور فكرة الجهاد لدى الزعماء الأفارقة خلال القرن التاسع عشر، وهي كالتالي:

- اختلاط العقيدة الإسلامية بطقوس الوثنية.
- تلقى بعض الزعماء الأفارقة لتعليمهم الديني بالأزهر الشريف ،وقيام بعضهم بأداء فريضة الحج كان له أثر كبير عليهم، فعادوا لبلدانهم وكلهم حماس لنشر الدين الإسلامي وتصحيح ما نحرف من عقائد المسلمين، وتطهيرها من الشوائب والممارسات الغريبة عن الدين الحنيف.
- انتشار المراكز الإسلامية في السودان الغربي،مما أدى إلى إبراز فكرة الجهاد وانتشارها،ومن أهم هذه المراكز سوكوتو وحمد الله [4].
- لقد كان لإحياء الثقافة العربية الإسلامية في أواخر القرن الثامن عشر أثره في قيام هذه الحركات الجهادية،وكانت الكتب والقصائد الشعرية قد بصرت المسلمين بأحوالهم، وأخذت ترثي لحالهم ،وهكذا هيأة المؤلفات الأدبية النفوس للجهاد الإسلامي [5].

- انتشار الطرق الصوفية،مثل القادرية، التجانية،السنوسية وقد حرص أتباع هذه الطرق على نشر الإسلام بين الوثنيين،ثم نادوا بعد ذلك باستخدام القوة والعنف ضد الغزو الأوربي للمنطقة أي أن فكرة الجهاد نفسها تطورت فبعد أن كانت ضد الوثنيين شملت الأوربيين أيضا[6].

1- حركة الحاج عمر الفوتي[7]:

تعد حركة الحاج عمر من أشهر الحركات الإصلاحية الجهادية التي شهدها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي. ففي سنة 1849م أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين،واستطاع خلال عشر سنوات أن يسيطر على كل السودان الغربي من حدود مدينة تمبكتو حتى حدود السنغال الفرنسية ،واعتبر الحاج عمر أن رسالته المقدسة هي تنقية الإسلام في السودان الغربي من كل ماعلق به من شوائب،ووضع حدا للوثنية،وتطبيق الشريعة الإسلامية،حيث قام ببناء المساجد ،والمدارس القرآنية في كل أرجاء المنطقة التي امتدت إليها حركته الإصلاحية [8].

بدأ الفرنسيون يدركون مدى قوة الحاج عمر الصاعدة، وخاصة أن مسلمي "فوتا" السنغالية تطلعوا للإتحاد معه،ولذلك كان لابد " لفيدارب "[9]. من الاعتماد على قوة أخرى يواجه بها "التكرور"[10] فلجأ إلى التحالف مع قبائل "البمبارا"[11] الوثنية كخطة مبدئية، وفي نفس الوقت رحب "البمبارا" بهذا التحالف على أمل أن يمكنهم من استعادة نفوذهم ومركزهم السياسي[12].

وخلال هذه الفترة كان الحاج عمر يرغب في تحسين علاقاته مع الفرنسيين مقابل الحصول على السلاح ،والذخيرة،وكان على استعداد للموافقة على تسهيل تجارة الفرنسيين عبر إمبراطوريته حتى لا يهاجموه في المؤخرة إذا ما انشغل في حروبه مع كارتا[13].

لكن الفرنسيين رفضوا ذلك خوفا من تزايد قوته العسكرية،وفي الوقت نفسه عملوا على تسليح "البمبارا"،ولذلك تغير موقفه من الفرنسيين وأخذ أتباعه يهاجمون المراكز الفرنسية ويهددون التجارة في منطقة "باكل"[14]،ثم أقدم الحاج عمر على خطوة خطيرة إذ أعلن عن نواياه في محاربة الفرنسيين حتى يدفعوا له الجزية.كما دعا أتباعه في "سانت لويس"[15] إلى عدم التعاون والاتفاق مع الخونة الفرنسيين،وكتب إلى فيدارب بأنه يعارض إرسال أي سفينة حربية فرنسية[16].

وقال:« أن الحرب ضد الوثنيين يجب أن تستمر حتى يوافقوا على دفع الجزية».وكانت هذه الدعاية التي نشرها الحاج عمر على طول نهر السنغال ضد الفرنسيين من العوامل التي جعلت القائد الفرنسي يخشى قوة الحاج عمر،وأكد في مراسلاته المستمرة إلى باريس على أن الحاج عمر ينوي شن هجوم شامل على الفرنسيين أسوة بالأمير عبد القادر الجزائري،وفي شهر فيفري سنة1856م كتب إلى وزير المستعمرات والبحرية قائلا: « أن الحاج عمر ينظم ثورة عامة ضدنا»[17].

أما حاكم خاسو سامبالا (Sambala) فقد رحب بالفرنسيين في أرضه وقبل ببناء حصن فرنسي في "ميدين" ،يساعد على رد هجومات الحاج عمر، وإنشاء هذا الحصن يشكل تهديدا كبيرا لطموحات الحاج عمر التوسعية فقام الحاج عمر بحصاره لمدة ثلاثة أشهر سنة 1857م ،وقد عانى سكان الحصن الجوع ونقص المؤونة ،حتى وصول الإمدادات الفرنسية[18].

أظهر حصار الحاج عمر لحصن ميدين قوته ،ومدى رفضه لإنشاء الحصون الفرنسية في المنطقة، وفي سنة 1859م قام بمحاصرة حصن "ماتام" ومركز "جيمو" Guemou،غير أن الفرنسيين نجحوا في فك الحصار المضروب،وفشل الحاج عمر في التصدي للفرنسيين ،وخلال هذه الفترة حدث نوع من الهدوء بسب المعاهدات[19] الموقعة بين الحاج عمر ،والفرنسيين، لذلك فضل الحاج عمر خلال هذه الفترة عدم الاحتكاك بالفرنسيين أكثر لذلك فضل الاتجاه بفتوحاته صوب النيجر لاستكمال بناء إمبراطوريته،وأصبح نهر السنغال هو الحد الفاصل بين إمبراطوريته ،والفرنسيين[20].

وبفضل النجاحات الدينية ،والسياسية التي حققها المجاهد الحاج عمر أصبح يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء،تمتد من "تمبكتو" إلى المحيط الأطلسي ،وظلت تدين له بالولاء طيلة أربعين سنة، وكانت الطريقة "التجانية" هي الطريقة الرسمية في كل أرجاء الأمبراطورية[21].

وعند عودة فيدارب إلى السنغال خلال ولايته الثانية 1863م ،وجد بأن إمبراطورية الحاج عمر قد اتسعت بدرجة كبيرة ،وخوفا منه على فقدان النفوذ الفرنسي في المناطق الداخلية أصدر تعليمات إلى الضابط البحري " أوجين" ماج" Mage Egenns لتوجه في بعثة إلى "سيقو" عاصمة عمر سنة 1863م وكان الهدف هو التعاون مع الحاج عمر في المستقبل القريب على الأقل،طالما كانت الفرق الفرنسية مشغولة بتدعيم سيطرتها على الساحل[22].

وأمام التحالف الذي تكون ضد الحاج عمر من "الماسينيين" أنفسهم ،ومن قادري تمبكتو،هبة ماسينا في ثورة عارمة ضد الحاج عمر في شهر ماي 1863م انتهت بحصار حمد الله[23] التي كانت تعج بالسكان وقلة الموارد الاستهلاكية لمدة ستة أشهر، جاءت نهاية المجاهد الحاج عمر، حيث استشهد في أحد المغارات يوم الجمعة 03 رمضان 1280هـ الموافق لـ 12 فيفري 1864م[24].

وهكذا استشهد المجاهد الحاج عمر عن عمر ناهز السبعين سنة،حاول خلالها بناء دولة إسلامية تطبق فيها أحكام الشريعة الغراء من جهة ومقاومة الغزاة الأوربيين من جهة أخرى، الذين جاؤوا للسيطرة على السودان الغربي واستعباد أهاليه ،ونهب موارده المتنوعة،وترك الحاج عمر مسؤولية هذا العبء الكبير لأبنائه من بعده لمواصلة المسيرة الجهادية[25].

لم يكن جهاد الحاج عمرالفوتى التكرورى في غرب أفريقيا مجرد محاولة لأحد مواطني المنطقة نشر الدين الإسلامي ومكافحة المستعمر الفرنسي ، بل كان لهذا الشيخ وجهاده عدة إنجازات ترك بصماتها على المنطقة حتى بعد وفاته و من ذلك:

كان جهاد الحاج عمر فريدا من نوعه حيث يتميز بأنه خارج أرضة ، و كان عليه أن يقاوم في جبهتين ، داخلية ضد جامعات وثنية ، و خارجية ضد الأطماع الاستعمارية الفرنسية ،وساعدت بركتة على نشر الدين الإسلامي بالمنطقة و خاصة بين الجماعات الوثنية و التي لم تكن قد دخلت بعد إلى الأديان السماوية .وعمل الحاج عمر الفوتى على نشر الطريقة التيجانية[26] و التي صارت تنافس الطرق الصوفية الأخرى[27].

واثبت جهاد الحاج عمر وحلفاؤه في تلك الفترة من القرن التاسع عشر أن المسلمين لم يدركوا أبعاد المخاطر التي تحدث لهم ، وانشغلوا في صراعاتهم الداخلية ، واثبت الحاج عمر أنه كان بعيد النظر ، وأنه كان يسعي لتوسيع الإمبراطورية الإسلامية وتكوين حلف قوي يصمد أمام الاستعمار الفرنسي الذي عرفه عن قرب وفهم أهدافه[28].

2- حركة ساموري توري[29]:

يعد ساموري توري من الزعماء الأفارقة الذين لعبوا دورا هاما في مقاومة الاستعمار الفرنسي في السودان الغربي ،وقد استمرت مقاومته للغزاة قرابة 17 عاما حتى ألقي عليه القبض سنة 1898م، بعد أن كان قد أسس دولة إسلامية قوية في أعالي النيجر.

لقد تصادف قيام جهاد ساموري توري مع ظهور البحرية الفرنسية،واستكمال سلاح المشاة بشكل جعله فعالا وصالحا للحرب في المستعمرات وصار هذا السلاح من أحدث وسائل الغزو التي استخدمها الفرنسيون ضد ردود الفعل الإفريقية آنذاك،وكانت لدى ساموري القدرة على الرؤية بوضوح ،والتجاوب بفاعلية مع الظروف المتغيرة،وكانت رسالته الكبرى في الحياة هي الدفاع عن إمبراطوريته، التي كانت إلى حد كبير نتيجة جهوده الشخصية التي قامت من أجل نشر الدين الإسلامي ، ومواجهة التوسع الاستعماري والتغلغل المسيحي في السودان الغربي[30].

في منتصف الستينيات من القرن التاسع عشر، وجدت النواة التي ستقوم عليها الدولة المقترحة،والتي ستنشأ عاصمتها في "بيساندوجو Bissandugu" القريبة من مسقط رأس ساموري توري،وقد كان ساموري على درجة عالية من الكفاءة والقوة ، فقد باعت قواته خلا هذه الفترة الأسلاب،والعبيد الذين أسرتهم أثناء توسعاتها،وفي نفس الوقت قامت قواته بشراء الخيول،والأسلحة الحديثة[31]،وكان على الدولة الفتية أن تعد نفسها لفتوحات كبيرة ، وبعد أن تم لها ذلك قامت بتنظيم القرى المفتوحة،حيث قام حكمها بجمع الجزية من الذهب ،ومن الإنتاج الزراعي[32].

وكان أعظم نجاح حققه ساموري أنه أصبح ملما بقدر كبير من العقيدة الإسلامية. وفي سنة1874م حصل على لقب "الإمام"،وقام ببناء المساجد وفرض الشريعة الإسلامية على رعاياه،وقام بالسيطرة على مصادر الذهب في "بوري Boure" كموارد هامة لدولته الناشئة، ومد فتوحاته إلى ثنية نهر النيجر[33].

بدأ أول اتصال بين الفرنسيين وساموري[34] سنة 1881م ،عندما أرسل له الملازم الكاماسا Alkamassa من "كايتا Kita" يطلب منه الابتعاد عن بلدة "كينيرا"[35] Keniera ،التي كان ساموري يغير عليها من حين إلى آخر،وإزاء هذه الغارات المتكررة من ساموري ،أرسل حاكم كينيرا "باجوبا Bagoba"رسالة يطلب فيها النجدة من الفرنسيين في كايتا سنة 1881م[36].

خشي قائد حصن كيتا التسرع في إرسال النجدة إلى "كينيرا" خوفا من توغل قواته في بلاد مازالت مجهولة عند الفرنسيين، واكتفى بتشجيع بجوبا على مقاومة الحصار الذي فرضته قوات ساموري،التي رفضت وساطة الفرنسيين في فك الحصار،وعجز الفرنسيون أنفسهم عن تقديم أي مساعدة تذكر للمدينة المحاصرة خاصة بعد تفشي الحمى الصفراء في المنطقة[37].

وعندما ما وصل القائد الفرنسي "بورجنيس دسبورد" إلى مدينة "كيتا" طلب من ساموري الانسحاب من كيني ران ،لكن ساموري رفض ذلك،وازداد هذا الرفض عندما استخدمت القوات الفرنسية القوة ضد ساموري في 22 فيفري 1882م. لكنه اضطر إلى الانسحاب بحذر بعد أن خاض معركتين في منطقة "وياناكو" قرب "باماكو" في الثاني من أفريل[38].

تواصلت المواجهات العسكرية بين ساموري والفرنسيين خلال الفترة الممتدة بين 1882م إلى غاية 1898م،ومما يسترعي الانتباه أنه خلال هذه الفترة حدث نوع من التقارب الحذر بين الطرفين جسدته المعاهدات[39] الموقعة بينهما كضرورة تمليها تلك المرحلة ،وسرعان ما يتم نقضها من أحد الطرفين ،لأن كل طرف كان هدفه هو ربح الوقت وتحين الفرصة في الانقضاض على الطرف الأخر.

إلى جانب المهارة الحربية التي كان يمتلكها ساموري،فإنه تميز كذلك بالدبلوماسية البارعة ،وقد سعى في العديد من المرات إلى الوقيعة بين كل من السلطتين الفرنسية والبريطانية ،فبعد توقيع معاهدة "بيساندوجو" مع الفرنسيين وقع في العام التالي أي سنة1888م معاهدة "فستنج" مع القائد البريطاني ،كذلك بعد توقيعه معاهدة "نياكو" سرعان ما أعلن رفضها ،ووقع معاهدة ثانية مع البريطانيين،فوقع معاهدة "جاريت" ولذلك صممت إدارة الاحتلال الفرنسي التخلص منه ،ومن المشاكل التي دأب على إثارتها من وجهة نظرهم[40].

وأمام فشل الخطط الفرنسية في كبح جماح المقاومة السودانية بقيادة ساموري توري لجأت فرنسا في 1891م لاستعمال القوة ،ومهاجمة ساموري ،وتعقب أثره ،فنجحوا في الاستيلاء على كل من "كان كان" و"بيساندوجو"،وما يلفت الانتباه أنه بعد الاستيلاء على المنطقتين،بدأت فكرة الإتحاد بين الزعماء الوطنيين تظهر إلى حيز الوجود نتيجة للخطر المشترك،لكن الفكرة جأت متأخرة ،لأن فرنسا كانت قد عزمت على اكتساح السودان الغربي بأكمله ،وخاصة أن الضعف انتاب قوات الزعماء الوطنيين ،ولم يعد في مقدورهم مجابهة فرنسا[41].

أرغمت القوات الفرنسية قوات ساموري على الانسحاب إلى مرتفعات غينيا،وإخراج أنصاره من ساحل العاج،فاتجه نحو فولتا العليا ،وهناك وجد نفسه محصورا بين القوات الفرنسية ،والبريطانية،فرجع إلى شمال ليبيريا وتتبعه المستعمرون حتى وقع في الأسر في سبتمبرسنة1898م، وتم نفيه إلى الجابون حيث توفي هناك سنة 1900م[42].

وإذا كان ساموري قد هزم في النهاية إلا أن ذلك لا يرجع إلى قصور في العمل أو تراجع عن المبادئ ،ولكن السبب الرئيس يكمن في قلة الموارد وضعف الإمكانات.وعدم التنسيق على المستوى المحلي بين زعماء المسلمين الذين انشغلوا بصراعاتهم الداخلية مع بعضهم،بل تحالف البعض الآخر مع الأعداء، فكان هذا في حد ذاته كافيا لتقويض دعائم هذه الممالك الإسلامية[43]

وباختفائه اختفت الدولة الإسلامية في السودان الغربي ،ليبدأ الاستعمار الأوربي في بسط سلطانه ،وثقافته على البلاد والعباد،وشرع في عملية استغلال خيراته،والسيطرة على موارده المتنوعة،كما شرع في تنفيذ مخططه الرامي لتنصير المنطقة التي عرفت عبر التاريخ قيام ممالك إسلامية ذاع صيتها في مختلف أرجاء المعمورة[44].

يتضح لنا مما سبق أن فرنسا دعمت سيطرتها في منطقة غينيا الفرنسية عن طريق التوسع في المنطقة الساحلية المعروفة بأنهار الجنوب، وفي المنطقة الداخلية في فوتا جالون، وقد أتاح هذا التوسع الامتداد نحو النيجر فمدت نفوذها إلى أعالي النيجر بعد أن قضت على إمبراطورية التكرور بزعامة أحمدو شيخو ، وإمبراطورية الماندنجو بزعامة ساموري توري [45].

يمكننا القول أن الحركات الإصلاحية ،والجهادية التي شهدها السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر عموما ،وحركتي الحاج عمر وساموري توري خصوصا،استطاعت أن ترسي دعائم الدين الإسلامي من جديد، وأن تنقيه مما حل به من شوائب ،كما استطاعت أن تحافظ على الكيانات السياسية التي أنشأتها ولو لفترة من الزمن،وقد عبرت من خلال هذه الكيانات عن مدى تمسكها بالأرض ،والدفاع عنها بكل الوسائل المتاحة آنذاك،ورغم فشلها عسكريا في حسم المعركة لصالحها، إلا أنها تركت أثرا أدبيا تمثل في بقاء روح المقاومة مستمرة ضد الغزاة لدى شعوب السودان الغربي.

الهوامش:

(1)- جاء مؤتمر برلين1884-1885م تتويجا لجهود ومحاولات القوى الأوربية لتنظيم عملية التكالب والسيطرة على القارة الإفريقية،ويعتبر هذا المؤتمر خاتمة المطاف لذلك الصراع الدولي الأوربي على القارة الإفريقية وثمرة الدبلوماسية الأوربية في تكالبها على السيطرة على القارة برمتها.أسفر المؤتمر في النهاية على تغيير ملامح الخريطة السياسية للقارة بعد أن نظم عمليات السيطرة والاحتلال.انظر: الجمل شوقي عطاالله و إبراهيم عبد الله عبدالرزاق : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ط2،دار الزهراء الرياض، السعودية،2002م.ص 152.

(2)- إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا،دار المريخ للنشر،مصر،1988م،ص ص 35- 36.

(3)- موسى فيصل محمد: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر،منشورات الجامعة المفتوحة، ليبيا ،1997م.**ص 217.**

(4)- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص **37.**

(5)- الجمل شوقي و عبد الله إبراهيم عبد الرزاق:دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الإسكندرية،1998م،ص **140.**

(6)- إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص **37.**

(7)- ولد الحاج عمر بن سعيد الفوتي 1212هـ الموافق لـ 1797م "بحلوارAlwar" بالقرب من بدور في إقليم فوتا تورو بقطر السنغال .وتربى وترعرع بين أبوين كريمين وحفظ القرآن الكريم عن والده الشيخ سعيد بن عثمان،ثم اجتهد في تحصيل العلوم الشرعية حتى أشير إليه بالبنان في المنقول والمعقول،أخذ مبادئ الطريقة التجانية عن الشيخ مولود فال الشنقيطي وكذا عن الشيخ عبد الكريم الأوراد اللازمة للطريقة ،وقد أدى الحاج عمر فريضة الحج وأقام بمكة حوالي ثلاث سنوات درس خلالها على يد زعيم الطريقة التجانية محمد الغالي،الذي عينه خليفة للتجانية في السودان الغربي ثم مر الحاج عمر على القاهرة وزار الأزهر الشريف حتى التقى بكبار العلماء ورجال الدين وعلماء الصوفية ، وعندما عاد إلى السودان استقر بعض السنوات في سوكوتو حيث استقبل من قبل أميرها محمد بلو بن عثمان فوديو وتزوج أبنته،وأخذ عنه محمد بلو مبادئ الطريقة التجانية ولا شك أن رحلات الحاج عمر إلى مكة والقاهرة وسوكوتو قد أفادته كثيرا فزادت ثقافته الدينية وأطلع على شؤون العالم الإسلامي ولعل أهم نتيجة لهذه الرحلات هو أنه أصبح زعيما للطريقة التجانية في السودان الغربي ورغم إشتغاله بالجهاد والدعوة والأسفار الطويلة كان شديد الاهتمام بالعلم ،ففتح عدة مدارس للتعليم تخرج منها أئمة وعلماء ،وقد ألف عدة كتب أهمها: (رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم) و(سفينة السعادة).انظر: محمد الحافظ التجاني:الحاج عمر سلطان الدولة التجانية ،الزاوية التجانية بالقاهرة ،مصر،د.ت ،ص9. وإلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق ،ص48.

(8)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المسلمون والاستعمار الأوربي لإفريقيا،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت،1989م، ص ص68-69.

(9)- **لويس فيدارب**: أول حاكم عام فرنسي يعين في مستعمرة السنغال بين (1854-1864) رقى لرتبة جنرال سنة 1863م، وله عدة إنجازات منها: إنشاؤه لبنك السنغال في سنة 1855م وميناء دكار سنة 1862م، ترك عدة أعمال وأبحاث حول إفريقيا .انظر:

George, Hardy :Faidereb en de Le encyclopedia de Limpire Francais ,Paris,1947,PP.9-40.

Bois, Alexis ؛ Sénégal et Soudan, Challamel aîné, Paris,1886.P2 .

(10)- **التكرور** أو**التكلور**: اعتنقوا الإسلام بحماس ،وكانوا بذلك أول المجموعات الزنجية في غرب إفريقيا التي انتشر بينها الإسلام،وحمل علماء التكرور راية الإسلام إلى ما جورهم من القبائل الزنجية ، وكانت حرفتهم الرئيسة الزراعة،وهم على جانب كبير من الذكاء ،والشجاعة،وقد لعبوا دورا كبيرا في مقاومة الغزو الفرنسي للمنطقة ،وكون منهم الحاج عمر إمبراطوريته الكبيرة التي امتدت من أعالي السنغال حتى أعالي النيجر.انظر: أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث،ط1 ،دار المريخ ،الرياض،1981م،ص171.و

(11)- **البمبارا**: ينتشر شعب البمبار في السنغال ،ومملكة مالي ،وحوض نهر السالوم ،وأعالي النيجر يكثرون على الساحل وكثير منهم زراع ويعتنقون النظام الأبوي.يقول بنجر Banger في تفسير اسم البمبر :« أن هذا الإسم مرادف للكلمة كافر، وهم يطلقون على أنفسهم بمنه Bamana أوبمنكة Bamenka ،وهو مشتق من بمه Bame ومعناها تمساح، وهو الحيوان الذي يتخذونه طوطما لهم ». خضعت شعوب البمبارا لسلاطين مالي ثم ظفروا باستقلالهم في القرن السابع عشر واستقلوا تماما عن باشاوات تمبكتو والمراكشيين ،وأخذوا يتوسعون في القرن الثامن عشر،فاندفعوا نحو الشمال الغربي ،وأسسوا أمارة كارتا على النيجر والتي احتفظت باستقلالها طوال القرن الثامن عشر.انظر: مراد محمد عدنان:المجتمعات الإفريقية ،منشورات إتحاد الكتاب العرب ، 1995م.ص **113**.ومحمد نبيلة حسن:في تاريخ إفريقية الإسلامية،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية،2007م.ص 110.وحسن احمد محمود:الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا،دار الفكر العربي،مصر،1963،ص 283.

(12)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص91.

(13)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص70.

(14)- **باكل**: مدينة في منطقة سينغامبيا الشرقية جنوب الفوتا تورو على نهر السنغال أحتلها الفرنسيون في إطار التوسع نحو الداخل السوداني.

(15)- مدينة سنغالية ساحلية صغيرة توسعت في عهد الاستعمار الفرنسي ،وكانت نقطة انطلاق الفرنسيون إلى المناطق الداخلية، بها أهم المنشآت الاستعمارية.

(16)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص92.

(17)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص72.

(18)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص93.

(19)- إبرام اتفاقية في شهر جويلية 1860م بين قائد باكل Bakel عن الجانب الفرنسي وتييرنو موسى عن الجانب العمري وأهم البنود التي تضمنتها الاتفاقية :

- حرية التجارة بين كارتا ومدينة،مع ما يرافق ذلك من تحرك الأشخاص والقوافل والبضائع والأموال داخل أراضي كل طرف.
- منع كل أنواع الغزو والسلب والنهب من هذا الجانب أو ذاك.
- يتوجب على أتباع الحاج عم أن يسمحوا بالمرور بكل حرية لكل الفاريين الراغبين في الالتحاق ببلدانهم .انظر: أحمد الأزمي: الطريقة التجانية في المغرب والسودان الغربي،ج2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،2000م، ص 44.

(20)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص93.

(21)- شلبي أحمد : موسوعة التاريخ الإسلامي،ج6،ط5،مكتبة النهضة المصرية،1990م.ص215. **(22)**- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص94.

(23)- **حمد الله**:عاصمة مملكة ماسينا، أسسها الشيخ أحمدو سنة 1819م،تقع هذه المدينة على ضفاف نهر باني أحد فروع النيجر. انظر:

David, Robison: La Guerre Sainte D'ALhajj Umar,Edition Karthala,Paris,PP80-81. و

Maurice Delafosse:Les Noirs de L'Afrique,editionPayot,Paris.1922.P83.

(24)- (Robert, Cornevin:Histoire de L'Afrique,tome 2,Paris.1966.P251)

(25)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص78.

(26)- الطريقة التجانية أحد أشهر الطرق الصوفية التي عرفها السودان الغربي ،في العصر الحديث،ويعتبر الشيخ محمد الحفيظ بن مختار أول من أدخل تعاليم الطريقة التجانية إلى السودان الغربي.ومن الشخصيات السودانية البارزة- التي وطدت أركانها وساعدت على انتشارها في مختلف ربوع السودان الغربي في ظل انتشار الوثنية والجهل- الحاج عمر الفوتي الذي أخذ يعظ الناس للرجوع إلى عقيدة السلف ومحاربة الوثنية وتوجيه اللوم من وجهة نظره إلى الأمراء المسلمين المحليين الذين كانوا السبب في تراجع الإسلام في بعض المناطق خلال القرنين 17 و18م نتيجة تقاعسهم وتسامحهم المفرط.انظر: أحمد شلبي :المرجع السابق،ص 215.وبن يوسف تلمساني:الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (غير منشورة)، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،1997/1998م،ص ص113- 115.

(27)- حندوقه إبراهيم فرج : الإسلام في بلاد التوكولور في غرب أفريقيا في القرن التاسع عشر، معهد البحوث والدراسات الأفريقية /جامعة القاهرة 2006.

-http://www.mubarak-inst.org/stud_reas.

(28)- نفسه.

(29)- ولد **ساموري توري** سنة1830م بسانندورو بالقرب من بيسادوجو في غينيا الفرنسية ،أي في واد ميلو على الحد الشمالي لكونيا Konuya ، وهي منطقة من الأراضي الجبلية والهضاب المرتفعة في شمال المرتفعات الغينية،درس العلوم الإسلامية في الماندي،وكان لرحلاته الأولى التي بدأها من الديولا أكبر الأثر في تأثره بحركة الإصلاح التي قامت في السودان الغربي،أكتسب ساموري تجربته الأولى عندما كان يعمل جنديا في خدمة ملك الماندي،وأكتسب خبرة في مجال التوسع.أراد ساموري أن ينشأ دولة إسلامية جديدة من بين دويلات الماندي الصغيرة لواقعة في الجنوب من أملاك الحاج عمر والتي تعرف اليوم بمجموعة غينيا ، سيراليون ، ليبيريا،ساحل

العاج.انظر فيج ،جي،دي : تاريخ غرب إفريقيا،ترجمة،يوسف نصر،ط1،دار المعارف،القاهرة، 1982م،ص301.

(30)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص ص 121-122.

(31)- Guillaumet ,Édouard : Projet de mission chez Samory, Soudan français : rapport à le Ministre des colonies, Impr. Chaix Paris, 1895.P12.

(32)- فيج ،جي،دي :المرجع السابق،ص301.

(33)- نفسه ،ص 301.

(34)- Maurice, Delafosse :Essai de manuel pratique de la longue mondé ou mondingue,edition le roux,Paris.1901.P148.

(35)- **كينيرا:** قرية على الضفة اليمنى للنيجر يوجد بها أحد أهم أسواق العبيد والملح والكولا،كما كانت مركزا هاما لتجارة الذهب القادم من بوري في أعالي النيجر،وكذلك الأقمشة، والخيول القادمة من المراكز التجارية الشمالية للصحراء.انظر: إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص147.

(36)- نفسه،ص147 .وانظر: joseph,ki-zerbo:Histoire de L'afrique Noire,Hatier, Paris,1972,PP377-378.

(37)- نفسه،ص 147.

(38)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص130.

(39)- ❖ معاهدة "كنيابا كورا": في 23 مارس 1887م ،والتي نصت على مايلي :

- اعتراف ساموري بسيادة فرنسا ونفوذها على الضفة اليسرى لنهر النيجر من نيامينا Nyamina حتى "تنكيسو" Tinkisso.
- موافقة ساموري على التخلي عن المطالبة بحقوقه في مناجم الذهب في بوري Boure والاعتراف باستيلاء الفرنسيين عليها.
- بقية الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى للنيجر ستكون تحت سيطرة ساموري.أنظر: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: المرجع السابق،ص132.

❖ معاهدة "بيساندوجو": في 25 مارس1887م بين "بيروز" عن الجانب الفرنسي وساموري توري والتي نصت على مايلي:

- موافقة ساموري على أن يعتبر نهر النيجر بمثابة خط الحدود بينه وبين الفرنسيين،كما وافق على التجارة مع المراكز التجارية الفرنسية.
- اعتراف ساموري بحقوق فرنسا على الضفة اليسرى لنهر "تنكيسو" حتى "نيامينا".
- لتأكيد السيطرة الفرنسية في هذه المناطق أنشأ الفرنسيون مراكز في سيجري على الضفة اليسرى للنيجر.

- أصبحت حدود السودان الفرنسي تمتد من النيجر من "دجالا" Deguella حتى "تجيبري" Tiguibiri ،ومن تنكيسو حتى منابعه وأصبحت المنطقة الممتدة من باماكو حتى سيجيري خاضعة لنفوذ فرنسا.

- أجبر ساموري بمقتضى المعاهدة ألا يتعدى غرب أعالي النيجر عند "سيجيري" ،وانتزعت منه ممتلكاته في شمال النيجر. انظر: Maurice, Delafosse: Haut-Sénégal-Niger (Soudan français) , Première série, Tome II Edition, Larose Paris, 1912.P346.

(40)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص147.

(41)- نفسه،ص ص 158- 159.

(42)- عمر الماحي عبد الرحمان: الدعوة الإسلامية في إفريقيا،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992م ،ص ص167-168.

(43)- إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: المرجع السابق،ص144.

(44)- يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية،دارهومة لطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر،د.ت،ص171.

(45)- إلهام محمد علي ذهني:المرجع السابق،ص162.

- اليونسكو: تاريخ إفريقيا العام ،مج7،المطبعة الكاثوليكية،لبنان،1990م،ص 129.

دويلات وممالك السودان الغربي خلال القرن19م

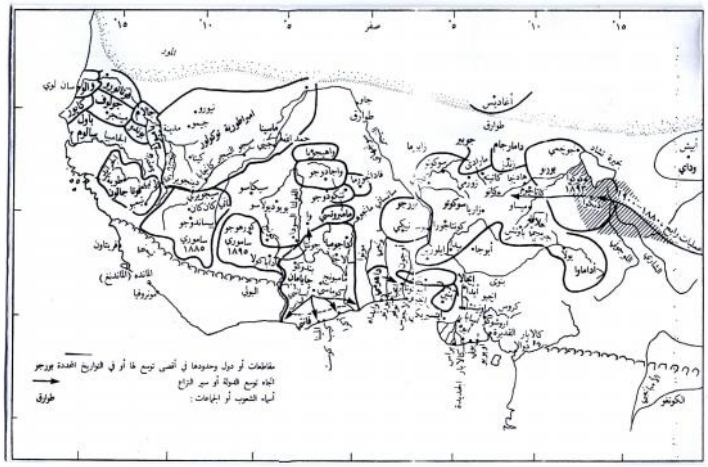

دور سياسة التشغيل الفعالة في خلق ميزة تنافسية للمنظمة

أ. عيشوش خيرة- جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان-الجزائر.

الملخص

باعتبار المورد البشري هو الذي يعمل على تفعيل و استثمار باقي الموارد المادية والتقنية الأخرى في المنظمة ،و أن نجاح المنظمة يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية هذه الأخيرة " الموارد البشرية " فإنه من الضروري أن توجه جميع جهود المنظمة في سبيل جذب أفضل العناصر البشرية و تنميتها من أجل الوصول بها إلى حد الامتياز و هذا ما يمكن تحقيقه من خلال سياسة تشغيل فعالة تعمل على التدقيق في اختيار العناصر المرشحة لشغل وظائف تسهم في قضية بناء و تنمية وتوظيف القدرات التنافسية بوضع الأسس السليمة لتقدير احتياجات المنظمة من الموارد البشرية وتحديد مواصفات و خصائص الأفراد المطلوبين بعناية إلى جانب التأكد من توافق التكوين الفكري و المعرفي للأشخاص المرشحين مع مطالب هذه الوظائف لاختيار أكثر العناصر توافقا مع احتياجات المنظمة.

الكلمات المفتاح: التشغيل، سياسة التشغيل، المورد البشري، الميزة التنافسية.

المقدمة :

يعتبر التشغيل حجر الزاوية في السياسة الاقتصادية و الاجتماعية لأي دولة و يعد من أكبر التحديات التي تشهدها دول العالم عامة و الدول العربية خاصة لارتباطه الوثيق بالاستقرار السياسي و التنمية الاقتصادية و الاجتماعية.

وقد اتسع المفهوم الاقتصادي للتشغيل ليشمل مفاهيم الكفاءة المهنية،و القدرة على التصور و الإبداع الفكري ،المبادرة ،البرمجة ،التخطيط و التنظيم و غيرها من العمليات التي هي من إنتاج العمل الإنساني و بدونها لا يتحقق أي نجاح مهما كانت الموارد المتاحة للمنظمة ،و في هذا المنظور أصبح الإنسان في منظومة العمل الجديدة هدفا ووسيلة .

ففي الوقت الذي أصبح فيه الإنسان غاية التنمية بات أقوى أداة للإنتاج إذ بدونه لا يمكن السيطرة على التكنولوجيا و الاستفادة منها.وهنا تظهر أهمية أنظمة التعليم و التدريب و التكوين المهني بأشكالها المتعددة وكذلك أنظمة التشغيل و أدوات التصرف في سوق العمل لتحقيق الهدف المزدوج و المتمثل و المتمثل في الترقية المهنية و الاجتماعية لطالب الشغل من ناحية و الاستجابة بالسريعة المطلوبة لحاجة المنظمة من المهارات الضرورية التي على أساسها تستطيع المنظمة بلوغ أهدافها المسطرة.

مما سبق يتضح أن نجاح أي منظمة على تدعيم قدرتها التنافسية يعتمد على نجاحها في جذب الأفراد الذين يتوافر لديهم المهارات الضرورية و المحافظة عليهم للوصول بتلك المنظمة إلى صياغة و تطبيق الاستراتيجيات التي تجعلها في مركز أفضل بالنسبة للمنظمات الأخرى العاملة في نفس النشاط (01).

و عليه يطرح التساؤل التالي :

كيف يمكن أن تساهم سياسة التشغيل الناجحة في خلق الميزة التنافسية للمنظمة

و للإلمام بالموضوع من جوانبه المختلفة سنتناول ؟

أولا: أساسيات حول سياسة التشغيل

ثانيا: الإطار المفاهيمي للميزة التنافسية
ثالثا :كيف تساهم سياسة التشغيل الفعالة في تحقيق الميزة التنافسية
أولا: أساسيات حول سياسة التشغيل:

يحتل التشغيل صدارة اهتمامات الدول العربية ،فالتشغيل قضية وطنية و مسئولية مشتركة بين الدولة ومنظمات أصحاب العمل و العمال و المنظمات الإنتاجية و مختلف منظمات المجتمع المدني ، و لا يعني التحول إلى اقتصاد السوق ليصبح القطاع الخاص هو الذي يتولى المسئولية الكبرى في النشاط الاقتصادي تنصل الدولة عن الالتزام بان يكون لها إستراتيجية وسياسة تشغيل.
و تعد سياسات التشغيل من أهم السياسات العامة في دول العالم المختلفة سواء كانت متقدمة أم نامية، و هذا للارتباط الكبير بين مستوى التشغيل و حالة التنمية البشرية من جانب ،و للتداعيات السياسية و الأمنية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية المترتبة عن نقص التشغيل.

I- التشغيل :

1-تعريف التشغيل :

يشمل كل الأشخاص من الجنسيين خلال الفئة العمرية (15-64) سنة و هم خلال فترة الإسناد القصيرة المحددة كأسبوع واحد أو يوم كانوا عاملين باجر أو عاملين لحسابهم(02).

2- واقع التشغيل في الوطن العربي :

أدت العولمة إلى إزالة الحواجز و الانفتاح الكامل بين الدول وحدوث المواجهة و المنافسة الشرسة مباشرة بين الدول النامية و العربية و المتقدمة و هو ما أدى إلى ظهور الفجوة الكبرى بين مستويات التعليم و التدريب المهني العربي و هو ما أضر بفرص العمالة العربية في التشغيل المحلي و العالمي نتيجة تغير متطلبات سوق العمل حيث ارتفعت مستويات جودة الأداء المطلوبة و المعرفة التقنية و المهنية و مستويات التدريب و الخبرة اللازمة توافرها لأغراض التشغيل ،وزاد من تفاقم اللازمة تبني معظم الدول العربية سياسات الإصلاح الاقتصادي مما أدى إلى الدفع بإعداد كبيرة من العاملين غير المؤهلين لأسواق العمل .
كما يعاني نظام تخطيط القوى العاملة في معظم الدولة العربية من قصور في وضع خطة تفصيلية مستقبلية قصيرة و متوسطة و طويلة الأجل للربط بين التعليم و التدريب (من جانب العرض) و فرص العمل الحقيقية الممكنة (جانب الطلب) و الممثلة لسوق العمل ،بمعنى أن قصور الموارد الموارد مع نقص الاستثمارات المتاحة المحلية و الأجنبية و تسارع معدل النمو و زيادة أعداد الخرجين تجعل حكومات الدول تلجأ للمسكنات لمنع انفجار الأزمة دون القدرة الفعلية على القيام بدور فعال في تخطيط القوى العاملة.
كما ساهمت العادات والتقاليد والعربية في إرساء سلوكيات اجتماعية سلبية ساعدت على إيجاد الاختلال بين العرض والطلب على القوى العاملة في سوق العمل العربية منها أهمية الحصول على الشهادة الجامعية وارتباط المكانة الاجتماعية للفرد في المجتمع بها، وأهمية الحصول على الوظيفة الحكومية كأساس للمكانة الاجتماعية والأمان وعدم الثقة في علاقة التشغيل بالقطاع الخاص. وقد أدى ذلك لتضخم الجهاز الإداري بالدولة بأعداد متزايدة من خريجي الجامعات (03).

2-1 قوة العمل في الدول العربية :

تُقدر قوة العمل العربية عام 2010 بحوالي 123.135.000 عامل موزعة كالآتي :(04)

الأردن 1.757.000 عامل، **السودان**16.810.000 عامل

الإمارات 1.215.000 عامل، **سوريا**6.847.000 عامل

البحرين373.000 عامل، **الصومال** 3.694.000 عامل

تونس 4.579.000 عامل، **العراق** 11.095.000 عامل

الجزائر 12.090.000 عامل، **عمان**738.000 عامل

جيبوتي397.000 عامل، **فلسطين**974.000 عامل

السعودية7.443.000 عامل، **قطر** 318.000 عامل

لبنان1.536.000 عامل، **الكويت** 1.296.000 عامل

ليبيا2.364.000 عامل، **مصر**27.412.000 عامل

المغرب 14.522.000 عامل، **اليمن**6.340.000 عامل

موريتانيا1.334.000 عامل

الإجمالي123.135.000 عامل .

ويُقدر حجم القوى العاملة من الذكور في الوطن العربي عام 2010 بمقدار 97.292.000 عامل وحجم القوى العاملة من الإناث في نفس العام بمقدار 25.843.000.

ويغلب عل هيكل العمالة في معظم الدول العربية التركز في قطاع الزراعة والصيد مع تفاوت النسبة بين الدول العربية ، ويُلاحظ أن نسبة العاملين بقطاع الصناعة ما زالت منخفضة نسبيا من حيث التوزيع المهني للقوى العاملة فهناك نقص ملحوظ في فئة الباحثين والدارسين العلميين والمخترعين والمجددين ويُقاس حجم هذه الفئة بعدد الاختراعات والتجديدات ، أما فئة القوى البشرية المهنية والماهرة من أساتذة جامعات ومهندسين وأطباء ورجال بنوك فنيون مهرة فتُشير الأرقام العربية إلى ضآلة شديدة أما فئة العمالة غير الماهرة فهي تُمثل نسبة عالية جدا من القوى العاملة العربية .

أما عن مستوي الإنتاجية فهي متدنية بالنسبة للعامل العربي فالإنتاجية هي محصلة التفاعل بين التعليم والتدريب من ناحية والتنظيم والإدارة من ناحية ثانية ومعدل الاستثمار الرأسمالي لكل عنصر من قوة العمل من ناحية ثالثة ،

والإنتاجية العربية عموما لا تتجاوز خُمس مثيلاتها في العالم المتقدم في مجال الصناعة (05).

2-2 أهداف و آليات الإستراتيجية العربية للتشغيل :

ا- الأهداف : يمكن تلخيصها فيما يلي : (06)

- التأكيد على أن العمل قيمة إنسانية وحضارية ذات أبعاد إقتصادية وإجتماعية .
- السعي الجاد لتحقيق التشغيل الكامل للقوى العربية كهدف نهائي .
- خفض معدلات البطالة في الدول العربية التى تعاني من ارتفاعها .
- العناية بفرص تشغيل المرأة
- توطين الوظائف في البلدان قليلة السكان وذات موارد مناسبة - توجيه التعليم والتدريب لخدمة تنمية التشغيل والتلائم مع احتياجات سوق العمل كميا ونوعيا .
- العمل على تقليل سلبيات تطبيق برامج التغيير الهيكلي على الاستخدام و التدريب و الاجور.
- تعزيز فرص التشغيل للمتنقلين العرب بين البلدان العربية
- المحافظة على فرص التشغيل للمهاجرين العرب .
- تنمية وتنظيم معلومات سوق العمل و تطوير مكاتب التشغيل الحكومية .

2- الآليات : من بين الآليات مايلي : (07)

- تشكيل لجان قطرية استشارية للتشغيل تشرف عليها وزارات العمل في البلدان العربية و يمثل فيها أصحاب الأعمال والعمال و بمشاركة الاطراف الاخرى المعنية بتنمية القوى العاملة و التشغيل حسب الاحتياج في كل قطر.

ويكون من بين مهام هذه اللجان :

- استكمال الجانب المعرفي للتشغيل
- تحديد مشاكل التشغيل و سياسات معالجتها
- وضع برامج قطرية و اقتراح برامج عربية مشتركة

- انشاء صناديق في البلدان التي تتفاقم فيها مشكلة البطالة وفقا لما تقرره كل دولة و يكون من مهامها تنمية التشغيل و تخفيف البطالة و يساهم في إدارة الصناديق ممثلون عن الأطراف الحكومية و المعنية بالتشغيل و منظمات اصحاب الاعمال و العمال.
- إنشاء قواعد بيانات وطنية متطورة حول سوق العمل.
- عرض مؤتمرات عربية يشارك فيها وزراء التعليم العرب و الصناعة لتحديد الروابط المشتركة لتنمية القوى العاملة.

II- سياسة التشغيل :

1- مفهوم سياسة التشغيل :

بدأ التفكير الجدي في بلورة سياسات التشغيل وتنظيمها والتحكم في اتجاهاتها نتيجة لتفاقم الأزمات الاقتصادية واحتداد سلبياتها على جهاز الإنتاج في العالم خاصة في الثمانينات من القرن الماضي حيث تعطلت نسبة كبيرة من طاقات العمل وحيال هذا الوضع أقبلت الدول في كل أنحاء العالم على التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية حيث تضمنت مجموع سياساتها العامة خططا اعتمدتها لذلك كخطوط عريضة لتوجهاتها الاقتصادية والاجتماعية.

وفي هذا الإطار شاع الاعتماد على مفهوم سياسات التشغيل. وبالرغم من اختلاف طرق الاستعمال واعتبارا لخصوصيات الدول الاقتصادية منها والاجتماعية فقد ساد تعريف عام لهذا المصطلح على أنه مجموعة من التوجهات التي تتبناها الدولة من أجل تأمين :

- أكبر قدر ممكن من فرص العمل المجزية لمواطنيها من خلال الإعفاءات والحوافز و التشجيعات دون الإخلال بالسياسات الاقتصادية العامة للبلد ؛
- الملائمة بين تأهيل الموارد البشرية وحاجيات الاقتصاد ؛
- مرونة سوق الشغل عن طريق مراجعة مشاريع العمل(08).

2- أنواع سياسة التشغيل :هناك نوعين من سياسة التشغيل

2-1- السياسة الإيجابية :

و التي تعتمد على المعالجة النشيطة للعاطلين عن عمل من خلال برامج وآليات للرفع من قابلية التشغيل والتأهيل بغاية الإعداد للإدماج أو إعادة الإدماج في سوق الشغل.و تعتمد كلّ دولة في مجال التشغيل على تمشي ذاتي يتلاءم مع نمطها الاقتصادي والاجتماعي وإمكانياتها ومواردها الوطنية. وتبرز أهمية السياسات الإيجابية للنهوض بالتشغيل من خلال تحفيز المبادرة الخاصة والتشجيع للخلق المباشر لفرص العمل وتعزيز التشغيل وتحسين قابليته.

وقد دعت كثير من المنظمات في السنوات الأخيرة على غرار منظمة التعاون والتنمية في المجال الاقتصادي إلى دعم السياسات النشيطة لسوق الشغل. ويبرر هذا الموقف تطور حاجيات السوق إلى مهارات وكفاءات عالية تحتاج بصفة متواصلة إلى التكوين والرسكلة والتأهيل حتى تواكب التطور المتسارع للتقنيات الحديثة المعتمدة في السوق.

كما أن برامج التأهيل والتدريب يمكن أن ترفع من إنتاجية العمال المستهدفين أو تطور تخصصهم بما يكفل تثبيتهم في مؤسساتهم أو إعادة إدماجهم في مؤسسات أخرى أو لحسابهم الخاص.(09)

من خلال ما سبق يمكن تلخيص السياسة الايجابية في النقاط التالية :(10)

1. تدرس الظاهرة و جذورها في البيئة المحلية و الدولية المتغيرة
2. تستعمل زمرة من الأدوات الاقتصادية و الاجتماعية و التعليمية لـ :
   - مواءمة التعليم و التدريب
   - لتنشيط الطلب
3. توفير معلومات محدثة باستمرار عن سوق العمل
4. تسهيل العمل للحساب الخاص (الصناديق الاجتماعية،الحاضنات،...)

2-2- السياسة السلبية :

كثيرا ما تعتمد السياسات السلبية للحد من وطأة البطالة وما قد ينجر عنها من إشكاليات تهم خصوصا الجوانب الاجتماعية كالفقر والتهميش والإقصاء،حيث يخصص جزء كبير من الميزانية للسياسات السلبية مثل الإعانات ومنح البطالة والتشجيع على التقاعد المبكر إلخ. و فيما يلي توضيح السياسة السلبية للتشغيل في شكل نقاط : (11)

- تعالج مظاهر المرض و ليس جذوره
- تهجر مفهوم التشغيل الكامل
- غالبا ما تكون مجرد اصطناع إحصائي للتخلص من البطالة
- تتجه للأمد القصير كتحويل زمرة قوة العمل بين الدراسة و التدريب و العمل و العون الاجتماعي لتفادي وجودهم بين طالبي مراكز الشغل.

3- الأبعاد الرئيسية لسياسات التشغيل :

يمكن القول أن أبعاد سياسة التشغيل الحالية متعددة الجوانب ،منها ما هو اجتماعي ،و منها ما هو اقتصادي و منها ما يتعلق بالجانب التنظيمي و الهيكلي ،و ما إلى ذلك من الجوانب الأخرى (12).

أ- البعد الاجتماعي :

يركز هذا البعد على ضرورة القضاء على مختلف الآفات الاجتماعية الناتجة عن آفة البطالة لاسيما بالنسبة للشباب عامة، وذوي المؤهلات الجامعية والمتوسطة خاصة، والعمل على توفير الظروف المناسبة لإدماج هؤلاء الشباب في المجتمع، وإبعادهم عن كل ما يجعلهم عرضة لليأس والتهميش والإقصاء، وما يترتب على ذلك من أفكار وتصرفات تضر بهؤلاء الشباب أولا، وبالبلاد ثانيا، كاللجوء إلى الهجرة السرية والإدمان على المخدرات وما ينتج عنه من مظاهر إجرامية متعدد الأوجه، بما فيه الجرائم الإرهابية، والانتحار، والتمرد على قيم وتقاليد وقوانين البلاد....الخ.

ب- البعد الاقتصادي :

يرتكز البعد الاقتصادي على ضرورة استثمار القدرات البشرية لاسيما المؤهلة منها في خلق الثروة الاقتصادية عن طريق توظيفها في مختلف المجالات وقطاعات النشاط بما يسمح بإحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وتطوير أنماط الإنتاج، وتحسين النوعية والمردودية ومنافسة المنتوج الأجنبي، وربح المعركة التكنولوجية السريعة التطور، و خلق مناصب عمل أكثر انتاجية.

ج- البعد التنظيمي :

ترمي الأبعاد التنظيمية والهيكلية لسياسة التشغيل إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن إيجاز أهمها فيما يلي:

- الوصول إلى تنظيم أحسن لسوق العمل وبالتالي رفع مستوى عروض العمل، تحسين المؤهلات المهنية بغرض إيجاد التوازن بين العرض والطلب في مجال التشغيل.
- تكييف الطلب على التشغيل وبالتالي المؤهلات مع حاجيات سوق العمل، للوصول تدريجيا على توافق بين مخرجات التكوين وسوق الشغل.

. العمل على تصحيح الاختلالات الواقعة في سوق العمل، وتوفير الشروط المناسبة للتقريب بين حجم عرض العمل وحجم الطلب عليه. بغرض إيجاد التوازن بين العرض والطلب في مجال التشغيل.
. تحسين المؤهلات المهنية بهدف تحقيق تحسين قابلية التشغيل لدى طالبي العمل.
. دعم الاستثمار في القطاع الاقتصادي لخلق مناصب شغل دائمة.
-ترقية التكوين المؤهل، لاسيما في موقع العمل وفي الوسط المهني، لتيسير الإدماج في عالم الشغل.
. ترقية سياسة تحفيزية باتجاه المؤسسات تشجع على خلق مناصب الشغل.
. محاربة البطالة عن طريق المقاربة الاقتصادية، والعمل على تخفيضها إلى أدنى مستوى ممكن.
. تنمية روح المقاولة لاسيما لدى الشباب.
ـ ترقية اليد العاملة المؤهلة على المديين القصير والمتوسط. وتكييف فروع وتخصصات التكوين حسب حاجيات سوق العمل. ودعم التنسيق بين المتدخلين على مستوى سوق العمل.
ـ دعم الاستثمار الخلاق لفرص ومناصب العمل، ودعم ترقية تشغيل الشباب وتحسين نسبة التوظيف الدائم.
. مراعاة الطلب الإضافي للتشغيل، وعصرنة آليات المتابعة والمراقبة والتقييم، وإنشاء هيئات قطاعية لتنسيق جهود مختلف المتدخلين في مجال التشغيل.
ـ العمل على التحكم في مختلف العناصر الأساسية التي تتحكم في تسيير سوق العمل ومعرفته أحسن عن طريق نظام المعلومات والإحصائيات و بنوك المعطيات ومختلف الأدوات الضرورية لإدخال التصحيحات والتعديلات اللازمة على مخطط العمل.

ثانيا: الإطار المفاهيمي للميزة التنافسية

يمثل إنتاج و تطوير الميزة التنافسية هدفا استراتيجيا تسعى المنظمات الاقتصادية إلى تحقيقه في ظل التحديات التنافسية الشديدة للمناخ الاقتصادي الجديد.

و يعتبر مفهوم الميزة التنافسية ثورة حقيقية في عالم إدارة الأعمال على المستوى الأكاديمي و العلمي ،فأكاديميا لم يعد ينظر للإدارة كشكل أو كمواجهة وقتية مع مشاكل ليست ذات بعد استراتيجي ،و لكن أصبح ينظر للإدارة كعملية ديناميكية مستمرة تستهدف معالجة الكثير من المشكلات الداخلية و الخارجية ،لتحقيق التفوق و التميز المستمر للمنظمة على المنافسين.

1- تعريف المنافسة :

أعطيت للميزة التنافسية عدة تعاريف نذكر منها :

تعرف المنافسة على أنها القدرة على الصمود أمام المنافسين بغرض تحقيق أهداف ربحية ونمو و استقرار و توسع والابتكار و التجديد.(13)

تعريف M.Porter:

تنشأ الميزة التنافسية بمجرد توصل المؤسسة إلى اكتشاف طرق جديدة أكثر فعالية من تلك المستعملة من قبل المنافسين، حيث يكون بمقدورها تجسيد هذا الاكتشاف ميدانياً، وبمعنى آخر بمجرد إحداث عملية إبداع بمفهومه الواسع.(14)

تعريف علي السلمي:

القدرة التنافسية هي المهارة أو التقنية أو المورد المتميز الذي يتيح للمنظمة إنتاج قيم ومنافع للعملاء تزيد عما يقدمه لهم المنافسون، ويؤكد تميزها واختلافها عن

هؤلاء المنافسين من وجهة نظر العملاء الذين يتقبلون هذا الاختلاف والتميز، حيث يحقق لهم المزيد من المنافع والقيم التي تتفوق على ما يقدمه لهم المنافسون الآخرون.(15)

تعريف نبيل مرسي خليل:

تعرف الميزة التنافسية على أنها ميزة أو عنصر تفوق للمؤسسة يتم تحقيقه في حالة إتباعها لإستراتيجية معينة للتنافس.(16)

من خلال هذه التعاريف نجد أن الميزة التنافسية تأتي من التفوق في المهارات و الموارد التي تتمتع بها المنظمة و التي تمكنها من بقاء إستراتيجية تنافسية فعالة للتميز عن المنافسين.

2- مصادر الميزة التنافسية :

إن للميزة التنافسية مصادر عديدة منها (17)

1. السلعة أو الخدمة :

حيث يكون للمنتج ميزة لا تتمتع بها منتجات المنافسين،فالسلعة التي تنفرد بمزيج سلعي متميز يكون لها السبق في نصيب السوق.

2. الترويج :

الميزة قد تكون في طريقة تصميم وتنفيذ الحملة الإعلانية أو في تكاليف الترويج أو أسلوب البيع الشخصي و المعارض.

3. **التقنية :**

الميزة قد تكون باستخدام تقنية جديدة تحقق جودة عالية و وفرات في التكلفة ،مثل خطوط الإنتاج المتكاملة و الأجهزة الالكترونية و أسلوب الإدارة.

4. البحوث:

الميزة تكون في الحصول على البيانات و المعلومات الدقيقة في الوقت المناسب و باقل ما يمكن من التكلفة مثل بحوث السوق و مدى أهميتها في الحصول على المعلومات لضمان نجاح صناعة القرار التسويقي.

5. الموارد البشرية :

هي الأصول البشرية للمنظمة (الإدارة و العاملين) ،التي تكون متميزة و قادرة على كيفية الحصول على التكنولوجيا ،و كيفية استخدامها ،و كيفية المحافظة عليها ،فالميزة قد تكون في العقل التسويقي،أو في رجل البيع أو في رجل الإدارة صانع القرار أو في المهارات الفنية لدى العاملين في الإدارات التنفيذية.

إن الميزة التنافسية مصادرها كثيرة ،إضافة إلى ما ذكر قد يكون المركز المالي للمنظمة ،و سعر بيع المنتجات،أو تكلفة عمليات التسويق و الإنتاج أو طرق التوزيع أو خدمات ما بعد البيع ...الخ.

و لكن تبقى المنظمة التي تمتلك الموارد البشرية القادرة و الراغبة في العمل بسبب الأعداد و التدريب الجيد تتمتع بميزة تنافسية طويلة الأجل تضيف للمنظمة

البقاء و التطور في بيئة العمل التي تتغير باستمرار بسبب جملة من التحديات من بينها المنافسة الشديدة للسيطرة على أكبر حصة من السوق.

3- تنمية و تطوير الميزة التنافسية :

تقوم المنظمات بتنمية مزايا تنافسية جديدة من خلال اكتشاف سبل جديدة و أفضل للمنافسة،حيث تتوقف عملية تطوير و تنمية الميزة التنافسية على المدى جودة الموارد و الكفاءات التي تمتلكها المنظمة و كذا على حسن استغلال هذه الأخيرة لها.

3-1- أسباب تطوير الميزة التنافسية :

من بين الأسباب الرئيسية التي تجعل المنظمة تحسن من ميزتها ،و تنمى ميزات تنافسية جديدة نجد (18)

- ظهور تكنولوجيا جديدة
- ظهور حاجيات جديدة للمستهلك أو تغييرها
- تغيير تكاليف المدخلات:عادة ما تتأثر الميزة التنافسية في حالة حدوث تغيير جوهري في تكاليف المدخلات مثل اليد العاملة،المواد الأولية...الخ
- التغيير في القيود الحكومية : و تتمثل هذه التغيرات أساسا في طبيعة القيود الحكومية في مجالات مواصفات المنتج ،حملة حماية البيئة من الثلوت،قيود الدخول إلى الأسواق.

3-2- فعالية الميزة التنافسية و استمرارها :

حتى تكون الميزة التنافسية فعالة يجب أن تكون: (19)

- حاسمة أي تمنح الأسبقية و التفوق على المنافسين
- ممكن الدفاع عنها ،خصوصا من تقليد المنافسين
- مستمرة أي إمكانية استمرارها خلال الزمن.

ثالثا :كيف تساهم سياسة التشغيل الفعالة في تحقيق الميزة التنافسية

أدت التحولات العميقة و المتسارعة التي يشهدها العالم حاليا إلى تغيير جذري في الأنظمة الاقتصادية المتعارف عليها و أنماط العمل ،و أصبحت مكونات التنمية و القدرة على المنافسة بين الدول تقاس بقدرتها على الاختراع و الإبداع و التجديد و التنظيم و الإدارة و اكتساب المعرفة و تصميم المعلومات و المنتجات و توزيعها و التحكم في التكنولوجيات الحديثة و من ثم فإن درجة نمو الدول أصبحت ترتبط بشكل رئيسي بمفهوم النهوض بالموارد البشرية و بالكفاءات ذات المهارات العالية المؤهلة و متعددة التخصصات.

فالنهوض بالموارد البشرية و حسن توجيهها و توظيفها أصبح يمثل المسلك الوحيد لمواكبة الثورة التكنولوجية و مواجهة المنافسة الدولية التي يحكمها بالدرجة الأولى مستوى الجودة و التميز.

و هذا ما عزز التوجه إلى صياغة سياسات تشغيل تهدف إلى التركيز على جانب التكوين و التدريب و إعادة التأهيل و تحسين ظروف العمل و في هذا الإطار بدأت الدول العربية بتفعيل سياسات تشغيل من أجل التوصل إلى طاقات بشرية و كفاءات متميزة التي تحقق لها ميزة تنافسية و هذا من خلال مجموعة من السياسات تتمثل فيما يلي :(20)

- زيادة مراكز التدريب وحسن توزيعها والتحديد الدقيق للتخصصات المطلوبة مع إيجاد حوافز للالتحاق بها.

- البدء بتحسين إمكانات التدريب القائمة قبل الشروع في التوسع بها , وذلك عن طريق ربط أفضل بين السياسات الاقتصادية وبين سياسات التدريب .

- ضرورة المرونة في مؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني لتستجيب برامجها بالسرعة التي يقتضيها تطور الاقتصاد .

و حاولت الدول العربية تحقيق الترابط والتعاون بين مؤسسات سوق العمل ومؤسسات التعليم التقني والتدريب المهني من خلال الاعتماد بعض المنهجيات والآليات , نذكر منها (21)

- إدخال أنماط ومناهج تعليمية وتدريبية جديدة تسمح بالجمع بين العمل والتعليم .

- استثمار التسهيلات والتجهيزات المتوافرة في مؤسسات العمل والإنتاج في تدريب تلاميذ و متدربى التعليم التقني والتدريب المهني , مع مراعاة عدم التأثير السلبي على كفائتها وإنتاجيتها .

- مشاركة مؤسسات العمل في رفع كفاءة وأداء الكوادر التعليمية والتدريبية العاملة في مؤسسات التدريب , وذلك لأهمية دورها في توفير العمالة المدربة وفقا للاحتياجات الفعلية لسوق العمل . ويتم ذلك من خلال المساهمة في توفير فرص تدريبية و تأهيلية داخل البلد في مؤسسات العمل وخارجه وفقا للتجهيزات المتوافرة و التي غالبا ما تكون أحدث من مثيلاتها في مؤسسات التعليم والتدريب المهني , مع إتاحة الفرصة أمامهم للتدريب على أجهزة ومعدات حديثة يتم إدخالها إلى المؤسسات الإنتاجية , مع المساهمة في تحمل نفقات هذا التدريب جزئيا أو كليا .

من خلال ما سبق يمكن القول أن سياسة التشغيل الناجحة تساهم في تحقيق التوازن بين مخرجات التعليم و المتطلبات الحقيقية لسوق العمل.كما تساهم في

تنمية قدرات و كفاءات المورد البشري الذي يعتبر أهم مقومات نجاح و تميز المنظمة.

و يرتبط نجاح سياسة التشغيل بمدى تحقيق التوافق الفكري و المعرفي للأشخاص طالبي الشغل و متطلبات الوظائف الشاغرة لدى المنظمة و مدى تمتعهم بالسمات و الخصائص التي تساهم في نجاح و تفوق المنظمة.

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة ، إرتئينا رصد مجموعة من التوصيات لتعزيز دور سياسة التشغيل من أجل النهوض بالمنظمات العامة و الخاصة و مساعدتها على مواجهة المنافسة الدولية بالاعتماد على مواردها البشرية :

- النهوض بالموارد البشرية العاملة بمصالح التشغيل و اعتماد التكوين المستمر كقاعدة أساسية للرفع من كفاءاتهم المهنية سواء محليا أو من خلال الإطلاع على تجارب البلدان الرائدة في هذا المجال.
- العمل على خلق بيئة مواتية لجذب الاستثمارات الداخلية والخارجية وتشكيل فرق عمل ولجان لتكريس وجود بيئة أعمال ملائمة للعمل والعمال.
- العمل على تحسين المزايا المالية وغير المالية لجذب الموارد البشرية للعمل في القطاع الخاص وتحفيزهم وإبقائهم فيه.
- العمل على تحديد المهارات المطلوبة والملائمة في مجالات العمل الخاص و التي تلبى متطلبات سوق العمل، ومن ثم توصيل ذلك إلى القائمين على النظام التعليمي الأساسي والجامعي لسد الفجوة بين مخرجات التعليم و متطلبات سوق الشغل.
- الاستثمار في تطوير الثروات البشرية وتشغيلها إيمانا بارتباط ذلك بالنمو. ذلك أن الثروات البشرية المؤهلة والتي تمتلك الجدارات المطلوبة تساهم بشكل مباشر وفاعل في ازدهار و تميز المنظمات.
- المساهمة بشكل مباشر في الدراسات والبحوث الخاصة بالتشغيل والنمو في الدول العربية. أن دعم الدراسات التي تخص العديد من الظواهر الخاصة بالتشغيل وطرح الحلول لها يساهم بصورة مباشرة في إبراز جوانب النقص والقضاء عليها.
- تبنى ودعم مشروع عربي مشترك يعمل على رصد المعوقات والمحفزات للاستثمار في الدول العربية والتشغيل ويضع إستراتيجية عربية موحدة للتشغيل والتنمية على ضوء المؤشرات المتاحة، بحيث يساهم هذا المشروع في إنشاء مؤسسات قطاع خاص صغيرة ومتوسطة وكبرى تحتذى بنموذج تنموي وتشغيلي يعالج كل القضايا العامة والخاصة.

- العمل على زيادة مراكز التدريب وحسن توزيعها و تطوير المناهج وأساليب التدريب لتناسب الاحتياجات الفعلية لسوق العمل على أن يكون التطوير بمشاركة فاعلة من أصحاب الأعمال والنقابات في القطاعات المعنية .

- تبني أسلوب حاضنات الأعمال والمشروعات الصغرى لتبني المبادرين و المقبلين الجدد على سوق العمل و دعمهم وتشجيعهم و تهيئة المرافق و المواقع المناسبة والمجهزة لبدء مشروعاتهم.

- إيجاد برامج لتنمية المواد البشرة المؤهلة و الكفؤة و تطبيق أساليب التدريب التحويلي للذين لا تستجيب مؤهلاتهم العلمية لفرص العمل المتاحة.

- دعوة البلدان العربية لتفعيل آليات الموائمة الحالية بين مخرجات التعليم و التدريب و متطلبات سوق العمل أو استحداث مثل هذه الآليات و آليات أخرى جديدة بحيث تشكل معا منظومة متكاملة للربط الفعال لتحسين قدرة الأسواق العربية على المنافسة العالمية.

الهوامش

(01) مصطفى محمود أبو بكر ،**الموارد البشرية مدخل تحقيق الميزة التنافسية**،الدار الجامعية،الإسكندرية،2008،ص 13.

(02) التقرير الثامن حول تطوير إحصاءات العمل العربية ، الدورة الربعة و السبعون،القاهرة ،6-7نوفمبر/تشرين الثاني 2010،ص 29.

(03) أسامة عبد الخالق،**الصعوبات التي تعوق المواءمة بين سياسات التعليم و التدريب المهني و التشغيل**،ورقة عمل في الندوة القومية حول متطلبات أسواق العمل العربية في ضوء المتغيرات الدولية،منشورات منظمة العمل العربية ، القاهرة ،2005،ص ص : 10-11.

(04) محمد صبري الشافعي،**واقع و آفاق التعليم الفني و التدريب المهني و احتياجات سوق العمل في الدول العربية**،ندوة حول متطلبات أسواق العمل العربية في ضوء المتغيرات الدولية ،منشورات منظمة العمل العربية،يونيو 2005،ص ص :16-17.

(05) نفس المرجع أعلاه ،ص 18.

(06) محمد عدنان وديع ،**سياسات التشغيل**،المعهد العربي للتخطيط API ،الكويت ،2006 ،على الموقع :

(07) محمد صبري الشافعي ،مرجع سبق ذكره ،ص 15.

(08) علي حمدي ،**تنظيم و تطوير أسواق العمل** ،المنتدى العربي للتنمية و التشغيل ،الدوحة،15-16 نوفمبر/تشرين الثاني 2008،ص ص :5-6.

(09) حافظ عتب ،**تطور مكاتب التشغيل و أقسام التوجيه المهني ورفع أدائها وفقا للمتغيرات الدولية و احتياجات سوق العمل**،الندوة الإقليمية عن دور الإرشاد و التوجيه المهني في تشغيل الشباب ،صادر عن المركز العربي لتنمية الموارد البشرية،طرابلس،11-2005/07/13،ص 24.

(10) محمد عدنان وديع،مرجع سبق ذكره.

(11) نفس المرجع أعلاه.

(12) أحمية سليمان،**السياسة العامة في مجال التشغيل و مكافحة البطالة في الجزائر**،الملتقى العلمي حول السياسات العامة و دورها في بناء الدولة و تنمية المجتمع،جامعة الطاهر مولاي ،سعيدة ،الجزائر،26-27 أفريل 2009،ص ص :4-5

(13) فريد النجار،**المنافسة و الترويج التطبيقي :آليات الشركات لتحسين المراكز التنافسية**،مؤسسة شباب الجامعة للنشر ،مصر 2000،ص 10.

(14) M Porter, **Avantage concurrentiel des Nations**, Inter Edition, 1993, p 48.

(15) علي السلمي، **إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية**، دار غريب للنشر والطباعة، القاهرة، 2001، ص104.

(16) نبيل مرسي خليل، **الميزة التنافسية في مجال الأعمال**، مركز الإسكندرية، مصر، 1998، ص 37.

(17) نبيل مرسي خليل،مرجع سبق ذكره ،ص ص:99-98.

(18) Spitezki.H,**La stratégie d'entreprise:compétitivité et mobilité** , economica ,Paris,1995,p 54 .

(19) رضا قيسومة ،ط.عبد المنعم ، **الإستراتيجية العربية لتنمية القوى العاملة والتشغيل ودر منظمة العمل العربية في النهوض بالتشغيل في البلدان العربية**،ندوة قومية حول دور المواءمة بين سياسات التعليم و التدريب المهني و التقني و متطلبات سوق العمل ،القاهرة ،14-2005/6/16،ص 24.

(20) نفس المرجع أعلاه ،ص ص :24-25.

(21) حافظ عتب،**تطوير مكاتب التشغيل و أقسام التوجيه المهني ورفع أدائها وفقا للمتغيرات الدولية و احتياجات سوق العمل** ،الندوة الإقليمية عن دور الإرشاد والتوجيه المهني في تشغيل الشباب،طرابلس،11-2005/7/13،ص ص :13-14.

الصحة النفسية للراشدين ضحايا الإرهاب

أ.رقية عزاق- جامعة محمد خيضر - بسكرة- الجزائر

ملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن مدى سلامة أفراد الجيش المتعرضين للاعتداءات الإرهابية بالكشف عن الاضطرابات التالية للصدمة التي أصيبوا بها والكشف عن تحسنهم بعد الدعم الاجتماعي من قبل أسرهم أو المجتمع الذي يعيشون فيه.تكونت العينة من 200 حالة، تم تطبيق مقياس الصحة النفسية للسكان وهو مقياس انجليزي تُرجم للغة العربية التي تتلاءم مع طبيعة البيئة الجزائرية ، تم تعديله من قبل الجمعية الجزائرية للبحث في علم النفس. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن أغلبية أفراد العينة عانوا من الاضطرابات التالية للصدمة ،بينما تراوحت صحتهم النفسية عقب ذلك بين الجيدة والحسنة والرديئة.

مقدمة:

في ظل التطورات الاقتصادية والسياسية التي شهدها العالم ولا سيما العالم العربي، انتشر العنف والعدوان والصراعات العسكرية، والاعتداء الجنسي على الأطفال، الاختطاف، إلى غير ذلك من أشكال العدوان الآخذة في الانتشار السريع، وعرفت البشرية في القرن الحالي ظاهرة جديدة هزت كيان الشعوب في جميع بقاع المعمورة انه:الإرهاب الذي تفشى كعنف مسلح في العالم وخاصة العالم العربي مما سمح للبعض بربط الإرهاب بالإسلام أطلقوا عليه الإرهاب الإسلامي،وأصبحت أخبار الاعتداءات المسلحة والانفجارات ومناظر الدم والموت شيء طبيعي، حيث لا تخلو وسائل الإعلام على مدار الساعة من أنباء العنف والعدوان الإرهابي، فقد طال جميع فئات المجتمع دون استثناء وشمل الأطفال والنساء والشيوخ وإطارات عالية، وخلف ضحايا أبرياء ليس لهم يد في التغيرات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم، انه آلة الموت العمياء التي تحصد الأرواح دون سبب وتتغذى من الأجساد المتطايرة ومن الأرواح البريئة الصامتة، انه الإعدام دون ذنب والرعب المستمر خوفا من فقدان عزيز.وقد طال الإرهاب الجزائر بشكل خطير دام سنوات عرفت بالعشرية السوداء،ومس جميع فئات المجتمع مخلفا ضحايا من مختلف الشرائح،ولم يكن الضحايا موتى فقط بل أكثر الضحايا أحياء أصبحوا يعيشون على ذكرى أمواتهم ولا يستطيعون التخلص من الألم الذي يعانونه إلا بتدخل نفسي عاجل.

-الإشكالية:

وقد مست هذه الظاهرة الدول العربية بصفة خاصة، ووطن عربي فقد عرفت الجزائر ولسنوات طويلة ولا تزال تشهد العديد من العمليات الإرهابية على مختلف الأراضي الجزائرية، وتعود جذور الإرهاب في الجزائر إلى جمعية العلماء المسلمين المنحلة سنة 1962، ثم ظهرت الحركات الاسلاماوية داخل الجامعات وأشهرها جماعة أطلقت على نفسها كتيبة محمد، وهم طلاب جامعة حاولوا فرض قوانين على الطلبة من بينها منع اللباس القصير للبنات، وتعرضت فتاة لحرقها بحمض حرق اثر مخالفتها هذه القوانين، ثم ظهرت الثورة الزراعية في السبعينات وعرفت الجزائر موجة عنف تم القضاء عليها آنذاك، وفي الثمانينات ظهرت موجة عنف

أخرى بدول الجنوب وذلك في ولاية الوادي حيث تم الهجوم على بارات للخمور، وابتدأ الموت في ولاية الاغواط سنة 1982، في الوقت نفسه عرف الحرم الجامعي بين عكنون مشادات بين رجال الدرك والطلبة اثر اعتقال قائد الحركة الإسلامية هناك، ثم جاءت الانتخابات فعرفت محكمة البليدة إطلاق النار على رجال الدرك، وتعتبر حادثة الهجوم على الثكنة العسكرية بقمار ولاية الوادي بهدف الحصول على الأسلحة الانطلاقة الرسمية للإرهاب في الجزائر في نوفمبر 1991[1] وبمجرد انفجار العنف في الجزائر في بداية التسعينات دخلت الدولة في دوامة كئيبة كانت سببا في سنوات من الدم والألم، حيث استفحلت ظاهرة الإرهاب الذي طال في البداية القادة السياسيين أمثال الرئيس الراحل محمد بوضياف، ثم امتدت إلى أفراد الجيش والأمن الوطنيين، وعم بعد ذلك جميع فئات المجتمع الجزائري، حيث كانت قنابل الغدر تزرع في الأماكن العمومية كالمستشفيات والمطارات، والمناطق الآهلة بالشعب مثل الشوارع والأسواق، وتحصد أرواح الأطفال والشيوخ والنساء، إن هؤلاء الإرهابيون أشخاص ساديين غير أسوياء كانت تستهويهم مناظر الدم والموت، وتسرهم صور الأجساد الميتة فحينما يختلط الدم بالتراب يحصلون على قمة اللذة وكانت تلك الدماء لأرواح بريئة ليس لها ذنب سوى أن القدر رماها بين أيدي قتلة وحوش جردوا من الإحساس إنهم الإرهابيين(زروق احمد.1997) ومثلما خلف الإرهاب ضحايا أموات أبرياء فانه ترك بصمته على من بقوا أحياء أتخل توازنهم النفسي أصيبوا باضطرابات مختلفة الخطورة، نظرا لما شهدوه من التعذيب والتنكيل وتروعوا من مناظر الدم وبقايا الأجساد التي خلفتها الانفجارات الغادرة، وهي اضطرابات نفسية تصيب الأطفال والمراهقين والراشدين سببها المعايشة المباشرة للعنف المسلح والاعتداءات العدوانية [2]

فقد أثبتت الدراسات التي قام بها العلماء أن صدمة العنف والعدوان مرتبطة ارتباطا وثيقا بظهور الاضطرابات النفسية عند الأطفال والراشدين ،من بينها إسهام الجمعية الوطنية لعلم النفسSARPوهي جمعية ساهمت بالعديد من الجهود من اجل التكفل النفسي بضحايا الإرهاب من الأطفال والراشدين، والذين طبقت عليهم العديد من التقنيات على المدى الطويل ومازالت تلعب الدور نفسه منذ انفجار ظاهرة الإرهاب، وتضم فريق نفسي متكامل من أخصائيين نفسيين متمرسين يحملون الخبرة الواسعة في مجال الصدمات النفسية، وقد ساهمت هذه الجمعية في مساعدة العديد من الأشخاص الذين عايشوا الإرهاب المتوحش وتعرضوا لأحداث مباشرة من العنف المسلح وفقدوا فردا على الأقل من أفراد الأسرة.

ونظرا لأهمية الموضوع فقد أفردت المنظمات الدولية مثل اليونيسيف وجمعيات تابعة للأمم المتحدة برامج خاصة لرعاية ضحايا العنف والإرهاب، وقدمت لها الجمعيات غير الحكومية المساعدة بهدف التسريع في التدخل والتكفل النفسي.

وحسب دراسات اليونيسيف التي تمت في الجزائر فان الإصابة بالاضطرابات النفسية تعود للعوامل التالية:

1-فقدان أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء.

2-التعرض للاعتداء الجسدي والمعنوي.

3-مشاهد الدم والعنف.

كعوامل أساسية بالإضافة إلى عوامل ثانوية أخرى.

كما كشفت اليونيسيف على ظهور الاكتئاب لدى هؤلاء الأفراد وتجلت أعراضه في العزلة والعزلة، كما ظهرت لديهم اضطرابات في الحياة العاطفية واضطرابات هستيرية كفقدان الرؤية كرد فعل على الأحداث الضاغطة التي تعرضوا لها.ولا يخفى علينا أن نشير إلى أن الاضطرابات النفسية التي تصيب المتعرضين للصدمة نتيجة أصابتهم الجسدية التي لحقت بهم جراء الاعتداءات المسلحة والانفجارات، هذه الإصابات الجسدية تتجلى في العمى الكلي أو الجزئي أو فقدان أحد الأعضاء التي تخلق اضطرابات نفسية تعيق تكيف الفرد في المجتمع.كما تصيبهم العدوانية اتجاه أنفسهم أو اتجاه المجتمع، وفقدان الشهية الذي يؤدي إلى فقدان الوزن [3]

يعاني الجزائريين ضحايا الإرهاب من قلق الموت خوفا من فقدان أرواحهم بعدما فقدوا أحبتهم أمام أعينهم، ويتجلى قلق الموت في الكوابيس والخوف من الخروج إلى الشارع[4]لقد جمع العلماء الاضطرابات التي تصيب الأشخاص بعد تعرضهم للصدمة وتتجلى في:

-اضطرابات سلوكية:كالتبول اللاإرادي واضطرابات النوم.

-اضطرابات انفعالية:كالقلق والانفعال.

-اضطرابات نفسية أخرى كالعدوانية وفقدان الشهية

ولأن أفراد الأمن والجيش الوطني الشعبي هم أكثر الأشخاص مواجهة للأعمال الإرهابية من خلال الاستهداف المباشر من قبل الجماعات المسلحة للجيش، كذلك إقدام أفراد الأمن والجيش على الهجمات لمقر هذه الجماعات بهدف استئصالها والقضاء عليها لنشر الأمن في صفوف الجزائريين فإنهم يعانون من اضطرابات نفسية مختلفة،حيث قامت وزارة الداخلية بتجنيد خلايا خاصة للتكفل النفسي والاجتماعي بأفراد الأمن الوطني ضحايا الاعتداءات الإرهابية والتي أثبتت الدراسات النفسية أنهم يعانون من اضطرابات نفسية شديدة نتيجة معايشة الاعتداءات الإرهابية بمختلف أشكالها من قنص مباشر أوتفجيرات أو سيارات مفخخة أو حتى حواجز مزيفة ،وتوصلت النتائج الى أن الاضطرابات النفسية التي يعاني منها أفراد الشرطة تتأرجح بين اضطرابات ما بعد الصدمة كأثر الاضطرابات شيوعا،واضطرابات أخرى ناتجة عن الصدمة النفسية [5]كما أن أفراد الجيش الوطني الشعبي من جيش ودرك وطني هم أكثر فئات المجتمع مواجهة للإرهاب، ونحاول من خلال هذا البحث الاهتمام بهذه الفئة من المجتمع الجزائري.

❖بناء على ما سبق نحاول من وراء بحثنا الإجابة على التساؤلات التالية:

-ما هي الاضطرابات النفسية التي يعاني منها أفراد الجيش الوطني الشعبي المتعرضين للاعتداءات الإرهابية؟

-هل تزول الاضطرابات النفسية عقب التعرض للاعتداءات الإرهابية عند أفراد الجيش الوطني الشعبي أم تستمر؟

-هل للتكفل النفسي والاجتماعي دور في التخلص من الاضطرابات النفسية؟

الفرضيات:

1-يعاني أفراد الجيش الوطني الشعبي ضحايا الإرهاب من الاضطرابات النفسية التالية للصدمة

2 -معظم الاضطرابات النفسية التي أصيب بها أفراد الجيش الوطني الشعبي تزول مع الوقت لكن البعض يستمر.

3 -بإمكان التكفل النفسي الاجتماعي تخفيف حدة الاضطرابات النفسية بعد التعرض للاعتداءات الإرهابية عند أفراد الجيش الوطني الشعبي.

2-تحديد مصطلحات الدراسة:

-الصحة النفسية:

هي حالة يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا:شخصيا وانفعاليا واجتماعيا أي مع نفسه ومع بيئته،ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين،ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى أقصى حد ممكن،ويكون قادر على مواجهة مطالب الحياة[6]

-الصدمة النفسية:

تعني الإثارة النفسية التي تنتج عن حدث غالبا ما يكون مفاجئا أو غير متوقع مما يخلق جراحا أو أضرارا نفسية كانت أو جسمية كوفاة شخص عزيز أو انفجار بموقع عسكري به جنود،أو رسوب في امتحان لم يكن متوقعا بحيث خلق استثارة انفعالية بالغة الشدة أربكت الجهاز النفسي للفرد أفقدته كثيرا من اتزانه،وقد تكون الآثار مؤقتة في حين أنها تستمر لدى البعض مما يجعلهم في حاجة إلى العلاج النفسي لتخطي أثارها السلبية على شخصياتهم وذلك بناء على صلابة الجهاز النفسي لدى كل شخص[7]

-الإرهاب:

الإرهاب هو استخدام العنف –غير القانوني-أو التهديد بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف،بغية تحقيق هدف سياسي معين مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد،وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات،أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال،وبشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية[8]

إجراءات الدراسة:

أولا :عينة البحث:

تم استجواب 200 حالة اختلفت من عسكري مازال يزاول مهامه العسكرية،وآخرين أحيلوا على التقاعد وشمل الأغلبية لان القانون العسكري في الجزائر يمنح العسكري المتعرض للاعتداءات الإرهابية الحق في التقاعد قبل نهاية الخدمة والاستفادة من منحة عسكرية شهرية، الذين يختلف مقر سكنهم كذلك تختلف مناطق أدائهم مهامهم العسكرية والتي تعرضوا للاعتداءات أو الأحداث الصادمة، كان اختيارنا للحالات عشوائيا دون سابق معرفة بهم حيث كانت كل حالة تدلنا على حالة أو حالات أخرى تقبل العمل معنا،حيث قوبلنا ببعض الرفض من قبل بعض الأفراد خصوصا الذين لا يزالون يمارسون المهام العسكرية وأولئك الذين يتقلدون مراكز عليا في الجيش لا تسمح لهم حساسية هذه المراكز بالإدلاء بأي تصريحات رغم عدم ذكرنا لأي أسماء في البحث، جميع حالات الدراسة من

جنس ذكري لطبيعة العمل العسكري ذو الأغلبية الذكرية،استغرق جمع البيانات من جميع الحالات سنتين متواصلتين وبضعة أشهر نظرا لحساسية العينة وطبيعة عملها والسرية التي يتميز بها هذا العمل.

ثانيا:أدوات الدراسة:

الأداة المستخدمة في البحث هي أداة تم تكييفها على المجتمع الجزائري من قبل باحثين في الجمعية الجزائرية للبحث في علم النفس وتم تجربتها في الميدان من قبل فريق بحث مكلف،واجري بها بحث ايبستيمولوجي تحصلت منه الجمعية على نتائج واسعة،وتم تسمية الأداة:الصحة النفسية للسكان.

تتكون الأداة من 03 أجزاء أساسية وكل جزء ينقسم إلى مجموعة من الاستبيانات التي صممت لقياس زاوية من زوايا البحث:

أ-استبيان البيانات السكانية(الديمغرافية):

كان الهدف من تصميم هذا الاستبيان هو الحصول على المعلومات الأساسية للمفحوصين(المستجوبين) كالاسم والجنس(الذي حدد في جنس ذكري واحد في دراستنا[الذكور])،والحالة الاجتماعية والتدين ومكان السكن بما في ذلك الانتقال،كما احتوى على جزء يبحث في الحالة الصحية للمستجوب يستقصي وجود أمراض مزمنة والشعور العام بالصحة

يضم هذا الاستبيان فرعين هما:

1-مقاييس التعرض للأحداث الحياتية المختلفة على امتداد الحياة:

تمثلت بنوده في البحث عن أهم الصدمات التي عاشها المستجوب قبل سن 12 سنة وتتعلق بالانفصال المبكر عن الأسرة أو فقدان احد الوالدين، أو سوء المعاملة في العائلة، وأحداث صادمة قد يكون تعرض لها الفرد المستجوب في فترة الطفولة.

ثم جاء استقصاء ثاني يهدف إلى الكشف عن صدمات ما بعد سن 12 بما فيها صدمة الأزمة الأمنية التي قد تكون تسببت في فقدان احد الوالدين أو الأصدقاء وهذا الفقدان يتم السؤال عنه حتى دونما يكون سببه الأزمة الأمنية،حيث يتم إحصاء عدد المتوفين وسبب وفاتهم وتاريخها وطبيعة الصلة التي تربطهم بالمستجوب،وأدرج في هذا الجزء سؤال الفرد عن أحداث حياتية تعرض لها خلال السنة السابقة للاستجواب.

2-الاستجابة المرضية لأحداث الحياة والصدمات النفسية:

2-1-المعاناة النفسية الراهنة:

يتم قياسها بواسطة قائمة الأعراض النفسية(SCL-90-R) وهي قائمة مكونة من 90 بند تحصي أعراض نفسية وجسمية تختلف شدتها على سلم 5 نقاط أعد هذه الأداة Derogatis سنة 1977 وتحتوي على عدة مقاييس فرعية أهمها:

مؤشر الشدة العام(GSI: Global Severity Index) الذي يمثل المتوسط العام لجميع البنود وهدفه قياس الشدة النفسية.

وتعتبر هذه القائمة من الأدوات الشائعة الاستعمال في مجال الدراسات النفسية للسكان.

2-2-الاضطرابات النفسية:

التي يتم قياسها بالرجوع إلى DSM وهذه المعايير أقرت بها الجمعية الأمريكية للطب النفسي،ومنظمة الصحة العالمية ،وأهم الاضطرابات التي يتم إحصائها في هذه القائمة:

-اضطرابات ما بعد الصدمةPTSD.
-الاكتئاب.
-اضطرابات القلق.
-الاضطرابات السيكوسوماتية.
وتظم القائمة استبيان خاص يقيس الإجهاد العام.

2-3-القسم الثالث:

-الدعم الاجتماعي.
-كيفية التعامل مع متغيرات الحياة.
-نماذج طلب المساعدة التي يستعين بها المستجوب.
-نوعية الحياة.
-الإعاقة.

التحليل العام للنتائج حسب فرضيات الدراسة:
الفرضية الأولى:يعاني أفراد العينة من الاضطرابات النفسية التالية للصدمة.
أثبتت النتائج المتحصل عليها من خلال الدراسة المطبقة على أفراد الجيش الوطني الشعبي أن أكثر من نصف أفراد العينة يعانون من الاضطرابات التالية للصدمة باختلاف أنواعها التي حددتها الجمعية الأمريكية للطب العقلي والتي تمثلت في:

اضطراب ما بعد الصدمة حيث نسبة 36من أفراد العينة يعانون من هذا المرض PTSD :

(chi sq=0 .18 /p<0 .001)

اضطراب القلق الحاد:بنسبة 35من أفراد العينة

Chi sq= 0 .13/p<0 .001

الاكتئاب،بنسبة 21من أفراد العينة

Chi sq=13.5/p<0.001

اضطرابات التجسيم:بنسبة6من أفراد العينة

Chi sq=3 .5/p<0/001

كل نتائج الاضطرابات ذات دلالة إحصائية.
هذه النتيجة تتوافق مع الدراسات السابقة التي أجريت على ضحايا العنف المسلح في كل ما الفيتنام والعراق وفلسطين،حيث توصل سمير قوتة وإياد السراج في دراسة على عينة من الشعب الفلسطيني لإحصاء الاضطرابات النفسية التي تنتج عن

الاعتداءات المسلحة والحوادث الصادمة أن اضطراب ما بعد الصدمة هو أكثر الاضطرابات شيوعا يليه الاكتئاب ثم القلق الحاد ثم اضطرابات التجسيم[9]

وفيمايلي سوف نُعّرف كل اضطراب من هذه الاضطرابات على حدى:

اضطراب ما بعد الصدمة:

اضطراب نفسي يحدث بعد التعرض لأحداث صادمة(حدث كان فيه نوع من التهديد لحياة شخص وشعر في مواجهته بالخوف الشديد أو العجز)ويتميز بإعادة أعراض معايشة الحدث الصادم تستمر على الأقل مدة شهر وتصحبها معاناة نفسية حادة[10]

الاكتئاب:

استجابة لتفكير مشوه للأحداث الحياتية يأخذ صورة الشمولية والذاتية والداخلية ومن منطلقات إدراكية ،وهو إحساس بالحزن وسوء المزاج عند الشخص العادي،أما حالات الاكتئاب في المرض العقلي فهي تتضمن نواحي متعددة وجدانية ذهنية سلوكية وجسمية بالإضافة إلى الإحساس بالحزن والأسى مثل التوتر والقلق[11]

القلق:

شعور دائم بالخوف والتوتر المستمرين،وقد يعتبر طبيعيا في حالات التقدم لامتحانات مصيرية مثلا،ويختلف عن القلق الطبيعي بكونه يفتقر للخطر الحقيقي أو التهديد الفعلي[12]

اضطرابات التجسيم:

هو اضطراب نفسي يتمثل في استثمار طاقات الفرد المكبوتة على عضو من أعضاء الجسم يتم اختياره لاستعداده وقابليته للإصابة بالمرض،وهو تعبير نفسي عن المعاناة النفسية التي يعاني منها الفرد المريض[13]

الفرضية الثانية: معظم الاضطرابات النفسية التي أصيب بها أفراد الجيش الوطني الشعبي تزول مع الوقت لكن البعض يستمر.

لمناقشة هذه الفرضية كان لابد من إدماج الفرضية الثالثة التي تعتبر داعمة للفرضية الأولى لأنه تم التوصل من خلال الدراسة إلى أن هناك علاقة بين حدة الاضطرابات النفسية وضرورة وجود الدعم النفسي والاجتماعي.

الفرضية الثالثة: بإمكان التكفل النفسي الاجتماعي تخفيف حدة الاضطرابات النفسية بعد التعرض للاعتداءات الإرهابية عند أفراد الجيش الوطني الشعبي

الدعم الاجتماعي هو مجموع المساعدات المادية والنفسية والاجتماعية التي يتلقاها الفرد من قبل المحيطين به[14]

توصلنا من خلال الدراسة إلى أنه كلما تعرض الفرد إلى حوادث صدمية متكررة كانت حاجته للدعم الاجتماعي والنفسي كبيرة،حيث أن الحوادث الصدمية المتكررة تجعل الفرد أكثر حساسية نفسية وأكثر حاجة لمصادر الدعم النفسي والاجتماعي للمحيطين به خصوصا أولئك المقربون إليه والذي ينتظر منهم الدعم والمساندة العاطفية والنفسية،فالأفراد المصدومين حسب عينة الدراسة الذين تلقوا دعما اجتماعيا ونفسيا من قبل المقربين إليهم عاودوا الاندماج في المجتمع من جديد بينما أولئك الذين لم يتلقوا الدعم والمساندة بقيت الأعراض مستمرة وبدرجات مختلفة من الحدة ،وحسب الدراسات المطبقة على الأفراد المصدومين وحاجتهم

للدعم الاجتماعي فان هؤلاء يصبحون بحاجة إلى وجود علاقات عائلية موسعة وعلاقات صداقة وتقارب بينهم وبين المحيط الذي يعيشونه، فقد أوضح كوب . أن الدعم الاجتماعي يوحي للفرد انه محمي من الصدمات الناتجة عن العالم الخارجي، كما عرفه على أنه علاقة بين فردين أو أكثر يحس فيها كلاهما انه مدعوم من الآخر ومحمي من طرفه على شرط أن يمثل كل طرف تقاربا وجدانيا وعاطفيا للآخر (15)

والدعم الاجتماعي يساعد بدوره الفرد على معاودة الاندماج في المجتمع وإحداث ما يعرف(Cooping)

فهو يعتبر شكل من أشكال الوساطة الذي يساعد الفرد على معاودة التكيف مع الحياة من جديد والإنتاج في المجتمع الذي يعيش فيه،وفي مايلي ندرج شكلا نوضح فيه وعلاقته بالدعم الاجتماعي(Cooping)

شكل3:يوضح العلاقة بين الدعم الاجتماعي و cooping حسب Kleber et Brom1992

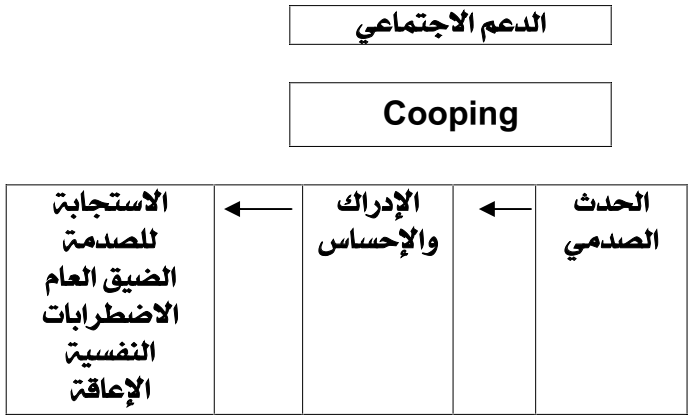

الخاتمة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة أنه جميع أفراد العينة الذين تعرضوا للأحداث الصدمية يعانون من مخلفات الصدمة وهي جملة من الأعراض النفسية،وقد أثبتت الدراسة أن تلك الأعراض تكون شديدة وقوية في الوقت اللاحق للتعرض للحدث الصادم،وهذا ما توصل له فريق البحث النفسي الأمريكي الذي تكفل بالمتابعة النفسية للجنود الأمريكان العائدين من العراق،حيث توصلت دراستهم التي دامت فترة من الزمن أن هؤلاء الجنود مباشرة بعد عودتهم من العراق أظهروا أعراض أمراض نفسية مختلفة الشدة والخطورة،حيث كانوا يعانون من الكوابيس والفزع،وأصيبوا بالانسحاب الاجتماعي وفي كثير من الحالات أظهروا اكتئاب واضح وصل في بعض الأحيان إلى محاولات انتحارية،لكن بعد التكفل النفسي والدعم الاجتماعي الذي تلقاه الجنود من قبل أخصائيين نفسانيين واجتماعيين بالموازاة مع المساندة النفسية للأسر والأصدقاء تقلصت شدة الأعراض وأظهروا نوع من الاندماج،وقد توصلنا إلى نفس النتائج في دراستنا حيث أن أفراد العينة أظهروا ارتفاعا في مستوى الأعراض النفسية المرضية التي ظهرت لديهم مباشرة بعد

التعرض للحدث الصدمي ثم انخفضت شدتها مع مرور الزمن،وعندما بحثنا عن أسباب هذا الانخفاض وجدنا أن الذين عاودوا الاندماج في المجتمع تدريجيا هم أشخاص تلقوا دعما من المجتمع الذي يعيشون فيه خاصة المجتمع الأسري والأصدقاء الذين كان لديهم بالغ الأثر في تقليل شدة الأعراض النفسية،لكن هذا لا يعني التخلص من كليا من المعاناة النفسية التي سببتها الأحداث الصدمية،حيث توصلنا إلى أن بعض الحالات مازالت تعاني من أعراض مرضية نفسية،وقد توصل فرويد في دراسة على الجنود المشاركين في الحرب العالمية الأولى والثانية بعد سنوات عديدة من انتهاء الحرب معاناتهم من أثار نفسية سيئة سببتها الحرب،فقد مازال أولئك الجنود يعيشون لحظات الحرب ويتصورون أنها مازالت مستمرة فيسمعون صوت طائرات ويعانون من اكتئاب وعدم القدرة على العودة للحياة في المجتمع مثلما كانوا عليه قبل الحرب،فغالبية الحالات انفصلت عن عائلاتها بعد الحرب جراء الأعراض النفسية مما أفقدهم المواساة النفسية والدعم النفس-اجتماعي مما جعل الأعراض تستمر والمعاناة النفسية تبقى موجودة.

وقد وجدنا من خلال هذه الدراسة التي قمنا بها أن التعرض للأحداث الحياتية السابقة للأحداث الصدمية المتعلقة بالعنف الإرهابي وأكثرها ضررا فقدان شخص عزيز والذي يبقى له بالغ الأثر في نفسية الأفراد،هذه الأحداث الحياتية تساهم بشكل كبير في ظهور الأمراض النفسية المرتبطة بالصدمة (الحوادث الصدمية).

الهوامش:

1- عبد الباسط دردور، (1996)،**العنف السياسي في الجزائر وأزمة التحول الديمقراطي**،ط1،مكتبة الجزائرية،الجزائر،ص ص 87،86.

2- زروق احمد، الإرهاب الاسلاماوي –السابقة الجزائرية-، مجلة الجيش،العدد 498، الجزائر،ص ص 19،18.

3- G.Villa et al, (sans date), **L enfant victime d agressions**, Masson, Paris, p11

4- G.Villa et al,op cit,p39

5- رشيد مسيلي،أحمد فاضلي،(2003)،**آثار الانتفاضة الفلسطينية**،دار قرطبة،الجزائر،ص181.

6- علي تونسي، (أيام 26، 27، 28أكتوبر 2002)، **الشرطة الجزائرية في مواجهة الإرهاب الأصولي**، دون طبعة، مداخلة بمناسبة الملتقى الدولي حول الإرهاب، الجزائر،ص02

7- حامد عبد السلام زهران،الصحة النفسية والعلاج النفسي،عالم الكتب، مصر،ص9

8- فرج عبد القادر طه،(1993) ،معجم علم النفس والتحليل النفسي،،ط2،دار النهضة العربية،بيروت،ص336

9- عبد الوهاب الكيالي، (1995)، **الموسوعة السياسية**، الجزء الأول، دون طبعة، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، القاهرة،ص153

10- إياد السراج،(1992)،**بحوث في الصحة النفسية الفلسطينية**،دار وائل للنشر ،رام الله،ص36

11- رشيد مسيلي،أحمد فاضلي،مرجع سابق،ص38.

12- رشيد مسيلي،أحمد فاضلي،مرجع سابق،ص46

13- Cherifa bouata **les traumatismes collectifs en Algérie**, (2007), édition Casbah, Alger, p34

14- فيصل خير الزراد،(2004) ،**الاضطرابات النفس-جسدية**-،ط1،دار الفكر،لبنان،ص22

15- Noreddin Kheled, (2000), **a propos du support social comme facteur médiateur du traumatisme**, psychologie (traumatismes, réaction, et prise en charge) n08, édition SARP, Alger,p95

16- Noreddin Kheled ,op cit,p 95

About the Mimetism and the Acclimatization of Television's Industry in the Arab Media

Dr. Daoud DJEFAFLA - LabSIC MSH - Paris XIII University (France)

Abstract

Today, the Arab space contains a lot of the news channels, which sits on the throne stations, ***Al Jazeera*** and ***Al Arabiya***. If the concept of the first to occupy this position in view of the many factors, it is difficult to see the arrival of the second to the rank of the first day of her birthday. This study is an attempt to make sense of this case and according to the hypothesis that the research process of conditioning has been studied starts by Channel Qatar, Channel Saudi Arabia. The format of Mimetisme manner in which the actors Saudi journalists in the television industry based on the idea of Acclimatization the system news reporting for *Al Jazeera* is the *Al Arabiya* channel, which produced the form in which it is today.

ملخص:

يحوي الفضاء العربي اليوم الكثير من القنوات الإخبارية التي تتربع على عرشها محطتان، الجزيرة و العربية. إذا كان مفهومٌ أن تتبوأ الأولى هذه المكانة بالنظر إلى العديد من العوامل، فإنه من الصعب معرفة وصول الثانية إلى هذه المرتبة من يومها الأول لميلادها. هذه الدراسة هي محاولة لفهم كُنه هذه القضية و التي يتعلق حسب الفرضية البحثية بعملية تكييف خضعت لها القناة القطرية فأعطت القناة السعودية. إن نسق المحاكاة الذي انتهجه الفاعلون الإعلاميون السعوديون في صناعة التلفزيون بالاعتماد على فكرة أقْلمة المنظومة الخبرية لقناة الجزيرة هو الذي أنتج قناة العربية بالشكل الذي هي عليه اليوم.

Introduction

In the industry of television by satellite in Arab space, two channels, *Al Jazeera* and *Al Arabiya*, share the theme of news continuously with the presence of accessory few other actors. If the Qatari television has long remained alone on the top of the hierarchy of the Arab production news, today hardly the monopoly because it competes with its neighbor Saudi channel. If it is somehow logical that *Al Jazeera* gets this place among all the protagonists in the pan-Arab broadcasting content, namely its launch last fifteen years, innovation, aesthetics, opening novel of political debate, tone new production of the message, etc. It is unusual that his rival comes to the Saudi compete in the first days of birth. It is true of *Al Arabiya* belongs to the Saudi MBC media group, which is the first and largest investor in the information content industry in the Middle East, the Saudi actors have extensive experience in developing media services and that this chain has managed to recruit the great talents of the Qatari television and through them had flown into power, but is it enough for her to clinch second place behind *Al Jazeera*? In other words, what is the reason why Saudi Actors have won their bet on that TV?

To answer this question, a hypothesis can be developed as follows: the Saudi channel is a duplicate of television *Al Jazeera*. In other words, *Al Arabiya* is considered a station that imitates *Al Jazeera*, which mimics its ways and appropriates its television products. In short, *Al Arabiya* starts in the skin of *Al Jazeera*. From this assumption, we must try to find the logic that such "cloning" is achieved. We believe that this is a process of imitation that which *Al Arabiya* and *Al Jazeera* are regarded as social phenomena. The advantage of this approach lies in the fact that we understand how this process of imitation and therefore identify ways from which *Al Arabiya* will fight against *Al Jazeera* in that it came mainly to rival that. It serves to review the terms and tools used by *Al Arabiya* in its fight against *Al-Jazeera* is to say, try to identify the power of this

medium and these instruments. Therefore, the question is: what is that "a media power"? The advantage of this approach is that it offers the opportunity to understand how *Al Arabiya* built its power on a logic of mimicry which is to deal with *Al Jazeera*. Therefore, it is attempting to highlight the process of mimicry of *Al Arabiya*, that by which she built her speech and uses his power struggle against Al-Jazeera. Also, it is about understanding how the Saudi channel *Al Jazeera* mimics the register of the composition of its program schedule, how it copies its emissions, etc.. In short, we find the origins of a specific element of *Al Arabiya* television products in those of *Al Jazeera*. This approach carries an interest that lies in the fact that she can understand how *Al Arabiya*, materialized by the mimicry by programming tailored, through programs and copied by *une manière de faire* "how to" imitated, *Al Jazeera* fight its offering worldview and constructing his reality television.

1. *Al Arabiya*: the acclimatization of a television

Between the Qatari channel *Al Jazeera* and the Saudi channel *Al Arabiya*, there is a close relationship that has left several authors say that "*Al Arabiya came to fight against the influence of Al Jazeera and media to reduce its impact on Arab societies*" (Wannas, 2006, p.35). In this sense, the two televisions appear as twin sisters. This qualification is the fact that the similarity between pairs of channels is noticeable on several stages. Since the Qatari is the first that has emerged in November 1996 and that the Saudi channel was born seven years later, in March 2003, it is obvious to say that *Al Arabiya* who was born under the sign *Al Jazeera*. In other words, the Saudi channel has taken the same characteristics of the Qatari and therefore it qualifies as a duplicate thereof. From there, if *Al Arabiya* is considered a string "clown" of *Al Jazeera*, a query can be asked the following formulation: how logic fits the cloning of *Al Jazeera* who gave *Al Arabiya*? Or, in other words, why Saudi actors who started their chain took the Qatari

television as a reference? The explanation for this cloning is a process of imitation, understood as "*a report that involves a model and copy*" (Tarde, 1999, p. 116) and which consists of *Al Arabiya*, an imitation of *Al Jazeera*. So the choice of taking *Al Jazeera* as part of the model seems logical to follow, what Pierre Bourdieu calls "*the existing tastes*" imposed by *Al Jazeera* (1979, p. 256). These tastes may be that these "*hot air*" (Czuba, 2007) or these and other presenters who wear western style clothing, this graphic and modern trends, this dramatic music, etc. In short, the likes of *Al Jazeera* may be just what Miles (2005) describes as a way that gives it the character of a "*Western television information*". In other words, the imitation of the Qatari lies in its "*effect of symbolic imposition*" it has on offer television in the Arab (Bourdieu, 1979, p. 256).

Therefore, it seems that Saudi actors were taken in their action, by the logic of competition with other producers, namely *Al Jazeera*, "*and the specific interests related to their position in the field of production*" TV deals (Bourdieu 1979, p. 257). In other words, the use of Saudi Arabia, Qatar to the model, is part of the defense of Saudi interests in the Arab region, damaged by the representation made on *Al Jazeera* Saudi Arabia (Fandy, 2007). Therefore, *Al Arabiya* is coming mainly to fight against the influence of *Al Jazeera*. The advantage of this is to defend a Saudi of things, because it is under the influence of actors who have organic relationship with the royal family. The strategy then is to create a copy of *Al Jazeera* (which is *Al Arabiya*) that simply contradict itself (that is to say *Al Jazeera*). Reproduction of the Saudi channel as a copy of *Al Jazeera* becomes part of a logic of imitation of the Qatari channel. From there, *Al Arabiya* becomes second *Al Jazeera* acclimated for political and ideological. Through this logic of imitation of *Al Jazeera*, *Al Arabiya* began a process of repetition, which comes in many forms by which it (the Saudi channel) appropriates elements of the Qatari channel. As part of this imitation, the chain Challenge acclimatized

products and elements of *Al Jazeera* to give his signature. The theme of the television channel as continuous news, public choice (the Arab and Arab-speaking viewers), the choice of satellites and frequencies, the choice of operators of cable distribution, the choice of the extension on Internet: www.alajazeera.net and www.alarabiya.net, etc. are all factors that militate in favor of this idea. This repetition is not limited to these records but it takes a different magnitude when it involves other stages, particularly that of television. Indeed, *Al Arabiya* has repeated much of the programming schedule of the Qatari channel. The repetition on the development of emissions, their titles, their gender, their duration, etc. To register, we record many elements of *Al Arabiya*, which are taken from the Qatari channel. However, that the Saudi channel is a television "clown", evokes a legitimate question regarding its existence and thus arises: how to duplicate this becomes a fully fledged chain fight against the original?

To answer this question, we must understand the process of imitation has led to *Al Arabiya* television. Indeed, the Saudi channel, which is the product of this process of imitation, has the skills that make "*the only large television that has the means necessary to win Al Jazeera*" (2006, Wannas, p.35). These means and expertise to offer *Al Arabiya* can acclimate to its objective and the issues that surround it. Therefore, it is considered a television acclimated for political purposes, and to achieve, she will fight against *Al Jazeera*. And since there is struggle, there is necessarily a question of power and means that *Al Arabiya* has, as a medium to conduct its struggle in The North Africa and The Middle East.

2. The Media Power of *Al Arabiya*

The question of the power of *Al Arabiya* is extremely important in understanding his discourse. Therefore, it is important to understand the concept of "power" and then locate it in the context of *Al Arabiya*. The advantage of this

approach is that it helps to understand the strategies of the Saudi channel in its "media war" against *Al Jazeera*. To try to understand "power" of the Saudi channel TV, answer the question: how the copy of *Al Jazeera* (which is *Al Arabiya*) is contradicting itself (that is to say *Al Jazeera*) and with what means? To do so, it seems that *Al Arabiya* has a "power" that allows him to construct a discourse on its own and therefore requires the determination of a specific device that supports the realization of that power. And since it is about power, it seems appropriate to first identify those concepts in their theoretical framework. To do so, we use the work of Michel Foucault in which these two concepts are, among others, the pillars of his philosophical works. Why the use of concepts in Foucault's work on the issue of "power" of media, namely television channel *Al Arabiya*? Because Foucault does not see the power nor as a coherent, unitary, stable, nor as a substance shared by a limited number of privileged over others. However, he sees as power relations. In this sense, Foucault emphasizes that power does not exist because it is "*reality of relations, a beam more or less organized, more or less pyramidalization*" (1994, p. 302). It is this aspect of power that concerns us as a media, a television channel in this case is not an institution that has the means which enable it to win and submit with "force" the public. And also, because the Foucauldian concept approved its relevance to be applied in media contexts (Esquinazi, 1996). In this perspective, power is seen as a cross arrangement in which the practices, knowledge and institutions. In this sense, power is not something in someone's hands, but the element that circulates in the social fabric and passes them all, to combine them and remove them at once. It "*does not apply, simply as an obligation or prohibition, to those who 'have not' it invests, through them and through them, it builds on them, as themselves, in their fight against him, bearing in turn it has taken on them*" (Foucault, 2003, p.31-32). Thus, the power not possessed but exercised since it is considered

an act or as Foucault describes a mode of action (Foucault, 1994, p. 313). It is this aspect of power that concerns us is to say, as a mode of action we are trying to use in a media context to examine the "power" television channel *Al Arabiya*.

To do so, our inspiration is the work of J.P. Esquenazi: *The power of media: TF1 and his discourse* in which he stresses that a theory of the power of television can not be defined using the binomial power / dominance and says that "*media can 't impose his interlocutor* (...) *he did not lock, no requirement to nothing*" (1996, p. 21). However, he finds that the French channel TF1 exercises its power by all its "*actions*" to which the partners commit themselves, in this case the speakers, to become the viewers (Esquenazi, 1996, p. 25-26). From there, it seems that the power of *Al Arabiya* manifests itself in fact establish a rapport with his interlocutors and sign a contract with them moral is to watch his television product. In this contract, the media is satisfied with mere presence of individuals before the television set connected to its programs and its power is already built. For the other part of the contract, potential viewers made their connection, as stated Esquenazi, "*in the name of the contents of its programs*" (1996, p. 27). From this, the power of media, conceived as relations with its stakeholders and its action towards them, is determined by its audio-visual and television practice. Therefore, we can say that "*power*" of the *Al Arabiya* can be articulated on two axes. First, *Al Arabiya* tries to win viewers with the aim of having a place alongside *Al Jazeera* in the Arab region. Secondly, *Al Arabiya* has, by its power, the function to be the vector of a pan-Arab Saudi Politic in Arab Region. From there, we can retain the power Foucauldian two features of great importance: the relationship and the act constituting the authority. This helps to evoke the manner of exercise of power. From there, it is necessary to highlight the discourse of *Al Arabiya* as a media that is to say, a television practice complex and therefore determine its instruments, the / the

field (s) where it occurs and the network that emerges. This question is about the next point.

3. The Discourse Operator

Before looking at the speech channel *Al Arabiya*, it is pertinent to ask: what is a discourse? Always remain on our Foucauldian approach. The philosopher does not see the discourse as all things said and how they are said, or as reports of duels between a dominant discourse and another dominated them with the class barrier. Foucault observes the discourse as the set of statements as they belong to the same *discursive formation* (1969, p. 153). It is the field "*strategic, where the elements, tactics, weapons are constantly moving from one camp to another, exchanging between the opponents and turn against the very people who use them*" (Foucault, 1994, p. 123). So the speech is first "*training*" which has its own "*rules*" that give it its function as a creator of the reports, between the parties, and its strength as the origin of power. That said, we must observe the speech as "*a field*" (Bourdieu, 2002 p.114) that is to say, as a place of confrontation. It is the place, because the position occupied by each actor (and its media partners), determines the nature of struggle and defines how the exchange control elements are. It is also an instrument because the weapons used by each player, the tactics taken by them define the issue and contradiction.

In this perspective, how to identify these "*rules*" that control the field is built and its components are used in the discourse of *Al Arabiya*? To do so, observe the television discourse not as a language text, but as a social fact that has two dimensions: an informative, that concerning its objects (JT talking about the tsunami, a report on refugees from Darfur, etc.) and indicative that focuses on the speech itself because it determines the power relations produced by this discourse (the hierarchy of the tsunami compared with other information, the very choice to make a documentary on Darfur, etc.). Therefore the understanding of discourse necessarily entails the seizure of the indicative scale. In fact

it is this that builds "*the link between discourse and the hearer: it brings together what the speech says as its assumptions, and understanding of them by their listeners can access the sense of what is said about the objects*" (Esquenazi, 1996, p. 30). In this sense we are trying to identify the function "*indicative*" of the discourse of *Al Arabiya*, as rules and practices of television, and therefore enter the media report that his interlocutor with a purpose: to reveal the power. For this, we must emphasize the rules of audiovisual discourse chain in Saudi Arabia. In other words, we must determine the *rules* of proper communication with *Al Arabiya*. For example, we must look for rules that explain the status of the subjects of discourse as the consecration of the issue *Sinaat El Mut* (the industry of death) on "terrorism" or those who forge the relationships between subjects such as restricting the issue of reform in Saudi on the on the social aspect (of cars driving by women) and restricting the issue of Saudi opposition to "Fundamentalist", or those which determine the actors who can to have the floor such as the strong presence of actors observed in the emission *Idaat* Liberals (lighting) and those for objects of discourse that is to say the user chose to give information and not information about them such as the dissemination of information on "wage increases in Arabia" in a flash of economic information and the corresponding chain in Saudi stock market. In this sense and from those rules, the discourse of *Al Arabiya* television may operate on the world, which "*selects what he speaks, he chose certain aspects, assigning positions, and assign links between objects*" (Esquenazi, 1996, p.32). Roughly from his worldview, media discourse constructs its own world. Here we are at it, the media discourse of *Al Arabiya*, as media action, such as television practice, and as a social fact, prepares reports and by those he exercises his power. This is manifested in the selection of statements, the choice of certain aspects, the allocation of positions and relationships between objects.

Therefore, it is pertinent to ask: how the chain creates a place of confrontation and how it retrieves the tools to fight? Alternatively, and because the speech is the weapon of power "*qualification and disqualification*" (Foucault, 1994, p. 124), it is also important to ask the question: what qualifies (or disqualifies) *Al Arabiya* in his discourse, how and why it does? Also, it must bring out the strength of the *Al Arabiya* discourse by highlighting the words of another (*Al Jazeera* viewers, actors, etc..) Used in his discourse: how are they retrieved, how Are they employees? In a word, we must show the discourse of *Al Arabiya* as a mode operator. To do this, an examination of the grid for programming the Saudi channel is the way that leads to the answer.

4. The Construction of The Programming of *Al Arabiya*

To bring out the discourse of the Saudi channel as a mode operator must demonstrate three elements. The first focuses on the segmentation of media time for *Al Arabiya* television about how this divides its transmission time, how it moved its production and how it articulates the programming flow and emissions. The second element concerns highlighted by the flow of the chain as it comes to identifying different types of news programs, their locations on the grid, etc. The last element of this relates to the identification of the construction of the grid emission from *Al Arabiya* interesting to examine how these products are made according to the logic of imitation with which the reference is made to *Al Jazeera.*

a. The Segmentation of Media Time

Programming the grid channel *Al Arabiya* is based, like that of the Qatari *Al Jazeera* on two rationales: the slices of schedules and time zones. These two logics of Anglo-Saxon origins, aims to have an alchemy "*that leads to a strategy of permanent peak time*" (Semprini, 1996). This segment of the broadcast day into four peak times and fragmentation in turn to sub-programs, hinged together, more or less by

specific characteristics. To learn how to fight against *Al Arabiya Al-Jazeera* programming, an observation of different peak times is necessary for the discernment in their joints as "*tools of power*" and that leads to the following:

- The peak time of the morning (5 h/10h GMT - 8 pm H/13 KSA), which is divided into two segments:

- The first of 5 pm to 7 pm GMT (8 h/10 h KSA) is devoted entirely to the issue *Sabah Al Arabiya* (morning TV). For two hours, the channel offers viewers a diverse product: news flash, press reviews, etc. This show is a true copy of *Al Jazeera Hadha As-Sabah* (Al Jazeera this morning), which aired on *Al Jazeera* because both products are made using the same design, programmed at the same time slot and presented in the same way: a duet journalists in a room that moves throughout the show and receive columnists successively. The point of demarcation of the Saudi channel from the Qatar-based channel lies in the fact that *Al Arabiya* has brought a "big dose" of news items in this issue. During the pregnancy of one of its telespeakerines, the chain has devoted an entire section on the subject.
- The second from 7 pm to 10 pm GMT (10 am/1 pm KSA) is a thematic slice reserved for the economy. It offers a loop for three hours of programs devoted entirely to scholarship. Live from the main studio in Dubai and duplex with stock exchanges in six countries of the Gulf, the channel puts its audience in the heart of the financial activity with emissions which follow: *Aswaq Saoudiya* (the Saudi stock market), *Aswaq Al Arabiya* (Al Arabiya's purse), *Akhbar As-Souq* (market news), *Aswaq Khalidjiyae* (the fellowship of the Gulf) and *Saat El Iglak* (closing time). The Saudi channel feedback again a loop of production that exists in the programming schedule of *CNN* (Semprini, 2000) where the U.S. television network broadcasts *Business Asia*, *Business Day*, *Business Morning*, *World Business Today* and *Money Line*. The programming loop is one of the few exceptions where the Saudi channel does not refer to the Qatari

channel. There are two reasons. First, because *Al Jazeera* is boycotted the rest of the Gulf countries and consequently has no access to local exchanges. Then, because *Al Arabiya* enjoys this situation, but also because it works "at it" since the biggest economic market in the Saudi peninsula. Therefore, the loop is the only economic moment, when the Saudi channel *Al-Jazeera* than by a relatively exclusive offers.

- Slice of the day (10 am/4 pm GMT – 1 pm/7 pm KSA), which is rather long, is characterized by the concentration of reruns. In a sense of alternation, it offers two types of offers: the flow between flashes and JT, and products between reruns of shows from yesterday, and documentaries.
- The edge of night, prime time (16 h/21 h GMT - 19 h/00 h KSA) is an extremely rich segment flows and emissions. The contents of this slice blend both genres and formats. It contains three newspapers "classic" 30-minute broadcast at the beginning of each hour: 16 pm, 17 pm, 18 pm GMT (19 h, 20 h, 21 h KSA) whose palette ranges from hard news to soft news via news items, politics, etc.. A sports program and a press review, *Assolta Ar Rabi* (the fourth power), are scheduled daily, respectively, 16 and 17 h 30 h 30 GMT (19 and 20 h 30 h 30 KSA). At the same time slot, the Qatari channel also broadcasts similar to those of *Al Arabiya*. It is, for the stream, two news flashes to 17 pm and 19 pm GMT (20 pm and 22 pm local Doha) and two leading newspapers to 16 pm and 20 pm Universal Time (19 and 23 h Doha h). The time span of 19 H/20 pm GMT (22 M/23 h KSA) is the main time for all programming channel *Al Arabiya*. It is dedicated to the dissemination of this unique television programming. Alternately, the channel airs every evening throughout the week, *Noktat Nidham* (Objection), *Panorama*, *Idaat* (lighting), etc. In that same time period, *Al Jazeera* broadcasts its "famous" emissions: *Akthar min raye* (more than an opinion), *Bila Houdoud* (without borders), etc. The competition between the two channels increases mainly during this time. Each channel uses a different

strategy to win viewers. At 20 pm GMT (23 am KSA), *Al Arabiya* broadcasts the program *Akher Saa* (last hour). This product is a newscast longer lasting one hour and which combines the flow of information with "analysis" of the news commentary from journalists, academics, politicians, etc.. This show is a copy of *Hassad El Youm* (harvest the day) by *Al Jazeera*, which has the same design, which is broadcast simultaneously. This confirms what we have previously explained; *Al Arabiya* is a copy of *Al Jazeera*. Consequently, and in general, and regarding the segmentation of time slots of the broadcast of programs of *Al Arabiya*, a finding can be established: the Saudi channel adopts the same slots as *Al Jazeera* and the same dissemination methods (new and reissued)

b. News and Reality

The register of the review process of imitation of *Al Arabiya* made on *Al Jazeera* and after crumb highlight similarities that occur at the stage of dissemination, it is now time to examine the Saudi production chain to capture any similarities with the Qatari television. There are two kinds of product: the flow and emissions. For News and 24 hours, *Al Arabiya* suggest to his audience, some thirty television news in three formats: the flashes of 3 to 5 minutes, the newscast of 30 minutes and hours of information. The flashes are presented alternately on two periods as: night, with JT and within the day and documentaries. The JT this chain, which last between 25 and 30 minutes are like a classic JT a television channel as it provides the news of politics, sports, economy, news items, etc. (Mœglin and Tremblay, 2005). From the point of view of TV consumption and the records of the presentation and format, this element is no different, or the JT Pan-Arab news channels (*Al Jazeera*, for example) and foreign (such as *BBC World*) nor the national terrestrial televisions JT. The difference observed in the programming and selection information.

Speaking of *Al Arabiya* television news is to evoke the JT as a television product that purports to say what happened in the world. The staging and decor are responsible for saying this (Jost, 1999, p. 76). The generic newscast from *Al Arabiya* seeks to combine two types of generic that this TV appears as a window on the world and as a mediator. The first image is the earth that turns on itself with the name of the chain that makes up the middle of the screen. This type of opening is most common in different generic TV: GPs as *TF1*, *France 2*, *Canal Algerie*, etc. or themes such as *Al Jazeera*, etc.. Apart from the generic studio *Al Arabiya* reflects this staged opening to the world. In the news of the Saudi channel information, the presenter is framed in close-up on a background of television, that either he took his image in an indefinite setting abyss, or it opens to the world, always ready to spring into its monitors. Through this chain emphasizes its ability to enter the world with viewers via technology (Djefafla, 2008). Using this technical device, *Al Arabiya* tries to showcase its range of flow that is not limited to this technical process. The Saudi channel information continuously conducts an utterance that recovery hinges on the opening mode of JT.

The newscast of *Al Arabiya* opens with Summary mode. In this configuration, the news in this chain takes the style of writing because the securities are closer to the "hat" of a newspaper or the dispatch of an agency. In this model the opening of the television news, information is the subject of a mediation which focuses on three dimensions: visual (image), oral (the presenter's voice) and writing (titles that scroll on screen) (Djefafla, 2008). The meaning of this opening summary is close to a teaching method. In other words, this practice, which attempts to simplify the presentation of the new and present through various modes of utterance (written, oral, visual) is a certain pedagogy. That's what Francois Jost considered a mobilization of the expression to put "*in the service of clarity*" (1999, p. 79). While *Al Jazeera* played on the multiplication of points of

view (the slogan), *Al Arabiya* plays on the clarity of the information is one of the pillars of the Saudi channel is still highlighted in the news as the value Basic mediation. In conclusion, it is important to note that the presentation of expository device, generic, studio, etc. is similar to that of *Al Jazeera* which confirms again the idea of imitation of *Al Arabiya* to it.

c. Mimetism as a Form of Fight Media

The subject of this review is the program schedule channel *Al Arabiya*. The purpose of this is to see the source of emissions that form it and therefore find an answer to the question of emissions of the Saudi channel are they, like other elements (News for example), duplicate the production of *Al Jazeera*? To answer this question, we must examine the program schedule of *Al Arabiya* to highlight all the elements that make up the emissions: the title, genre, duration, frequency, etc. That can help determine whether or not there is an imitation. The starting point of this review is a hypothesis which is that *Al Arabiya*, as a media product, is a "duplicate" of *Al Jazeera* because it is part of a logic of imitation and therefore the same logic, it seems that broadcasts of *Al Jazeera* are the origins of those of *Al Arabiya*. Audit Through a detailed look at the schedules of the latter, he shows a link between the original elements, which are those of *Al Jazeera*, and acclimated elements, which are those of *Al Arabiya*. The advantage of this approach is to identify these issues as tools of power television channel *Al Arabiya*. In other words, understanding such issues as the instruments, which are in the hands of *Al Arabiya*, which enable it to build relationships with viewers and to fight against *Al Jazeera* (Foucault, 1994), because the program a string Television is the medium of discourse and the essence of its existence. To highlight the issues of *Al Arabiya* compared to those of *Al Jazeera*, a comparison chart that includes much of the schedules of the two channels was achieved. This table shows a blatant imitation of the Saudi channel *Al-Jazeera*.

The composition of the schedules of *Al Arabiya* is practically, at least at the formal level, the same as *Al Jazeera*. The observation of the kind of television product, its duration and periodicity we found that emissions from *Al Arabiya* are duplicates of those of *Al Jazeera*.

Al Arabiya	***Al Jazeera***	Periodicity	Gender	Descriptive
Mouhima khassa (Spécial mission)	*Ziyara khassa* (Special visit)	**B**	***Interview***	**Visit to a personality**
Dhayfe wa hiwar (Guest ans et interview)	*Dhayfe wa kadiya* (Invited and case)	**W**	***Interview***	**Meeting with a political actor on a current issue**
Likaa el yaoum (Meeting day)	*Dhayfe el yaoum* (Guest of the day)	**D**	***Interview***	
Moukabala khassa (Special meeting)	*Likaa khass* (Special meeting)	**W**	***Interview***	
Noktate nidham (objection)	*Bila houdoud* (Borderless)	**W**	***Interview***	
Mina el Irak (Of Iraq)	*El mach'had el iraki* (View Iraq)	**W**	***Debate***	
Mahattate (stations)	*Mourassilou Al Jazeera* (Correspondant *Al Jazeera*)		**Reports**	**News magazine produced by the corresponding chain**

The device emissions of the two channels *Al Arabiya* and *Al Jazeera*

B : Bimonthly, W : Weekly, D : Daily

The observation of this table highlights the major elements *Al Arabiya* as a dedicated channel *Al Jazeera* impersonator. These elements show that the first string weaves its program schedule in a spirit of imitation which makes him a "naturalized Jazeera" *Al Jazeera* "original". This practice of mimicry occurs as follows:

- In a striking way, the program titles of the two channels are "almost" identical. The pair *Moukabala khassa* (special meeting) / *Lika Khass* (special meeting) shows that even if the statement "Special meeting" in English appeared in two occasions, it is identical in two forms in Arabic language but significantly different synonyms. The other pairs follow the same logic. *Al Arabiya* emissions are the same as *Al Jazeera* like *Mina el Iraq* (From Iraq) / *El mach'had al Iraq* (Iraqi view) *Mouhim khassa* (special mission) / *Ziyara khassa* (special visit) *Dhayfe wa Hiwar* (Guest and interview) / *Dhayfe wa Kadiya* (invited and question) and *Lika el Yaoum* (the meeting of the day) / *Dhayfe el Yaoum* (the guest of the day), etc. All these proposals illustrate the linguistic mimicry blatant *Al Arabiya* issue securities of the Qatari channel. This is explained Gabriel Tarde, saying that "*whatever effect in the number of ideas or actions that a theory or a machine synthesizes, there has never been only two elements that are both combined, adapted to each other*" (1999, p. 122). By this process of mimicry, *Al Arabiya* has clearly recovered the program titles of *Al Jazeera* to appropriate them. The objective of this seems to lie in the fact that these elements, program titles may be viewed as tools for "power" in which *Al Jazeera Al Arabiya* disarms its own. Therefore, we can consider that the manufacture of the grid emission is thus a way to struggle on the part of *Al Arabiya*, *Al Jazeera*.
- The type of emissions is also a strong point in the process of mimicry led by *Al Arabiya* in building its program schedule. The facts above pairs are almost identical in terms of their manufacture. Take for example the issue of debate *Noktate Nidham* (objection) channel *Al Arabiya*, which is a

true copy of the broadcast *Bila Hudood* (borderless) channel *Al Jazeera*. Roughly speaking, both products are characterized by the attention given to issues of timeliness often designed with a logic that is based on the controversy and an approach to provocation by the presenters. Wannas believes that the goal of this method, adopted by *Al Arabiya* and *Al Jazeera* is that it "*brings out the deals, inflame the confrontation of ideas*" (2006, p. 39). It is this characteristic that makes the news and not the substance of the debate itself. The same logic leads to the production of emissions, respectively, for *Al Arabiya* / *Al Jazeera*, *Mina el Iraq* (From Iraq) / *El mach'had al Iraq* (The Iraqi view) that address the issue of Iraq, Baghdad and released animated by Iraqi logged on site *Mouhim khassa* (Special mission) / *Ziyara khassa* (Special visit) that offer interviews made at political figures, historical, etc. ; *Dhayfe wa Hiwar* (Guest and interview) / *Dhayfe wa Kadiya* (Invited and questions) and *Lika el Yaoum* (Meeting day) / *Dhayfe el Yaoum* (Guest of the day) that are extensions of current affairs with a meeting with a political player on the day or week.

- The mimicry in the production of emissions from *Al Arabiya* can be understood as a logic that aims to disrupt the supply of *Al Jazeera* television. Explanations. By programming each day at 19 h 30 (GMT) issuing *Esolta Ar Rabi* (the fourth power), a magazine devoted to decoding the news and its representation in the press, with assistance from multiple guests, *Al Arabiya* seems to offer viewers a similar or even identical to the *Ma Wara Al Khabar* (which is behind the new) *Al Jazeera* broadcast on the same days and same times. From there, we can say evoke the same subjects, address the same aspects of the news is not necessarily say the same thing. The opposition may lie in the similarity. Watch *Esolta Ar-Rabi Al Arabiya* (the fourth power) or follow *Ma Wara Al Khabar Al Jazeera* (which is behind the new one) is not under any circumstances the same practice. Therefore, we believe that by producing emissions mimicked those of *Al Jazeera* and by

programming them into the same slots that the Qatari channel *Al Arabiya* can disrupt the supply programs of original programming which are those of *Al Jazeera*. In this process of disruption, it seems that *Al Arabiya* led the fight against *Al Jazeera* and so we can feel the power of the Saudi channel television. In this sense, we share the view of H. Brusini and J. Francis stressed that power television "*is played, is won and lost*" (1982, p.28) and we can say that the power of the Saudi channel is reflected in its programming and the use of those silent and anonymous it (Brusini, Francis, 1982, p.28). This leads us to consider that the production of *Al Arabiya* mimed may be one of the weapons to fight against media in this channel *Al Jazeera*.

Conclusion

Acclimatization of the news channel *Al Jazeera* continuously by the Saudi players to give birth to *Al Arabiya* is peculiar phenomenon in the Arab region, because it is not a mere copying of an operating mechanism or just a tactic to develop a television program but it is indeed a depth that mimicry is not limited to simple competition of the Qatari but his inconsistency is his major goal. What is important to remember in this process is not the creation of the Saudi television, but rather the idea which has conveyed its inception and design which led to the development of its informational order. In this experiment, there is an appropriation, pure and simple communicative tools and instruments suitable for a protagonist with another and accommodation strategies and mechanics of how television *Al Jazeera Al Arabiya* which explains why the media power has a hybrid nature, elusive and is "close friend" of any media and today but tomorrow you will be your competitor. This reality shows several elements that may be useful for different actors in the Arab among them, the television industry by satellite and particularly that of the continuous information is not yet reached the stage of saturation, because the scope of this topic has largely seats to be occupied by new players. Having said that Algeria has good

chance to succeed to gain a presence on the register and must grasp if not oblige to do so because all the factors militating for her to go in that direction. Its geopolitical role and its strategic position on regional issues, challenges common with other Arab countries (violence, democracy). Then there are the consequences of its absence on this stage in particular that should be rectified as soon as possible. The Algerian experience with the involvement of foreigners in Algeria and the thing slips committed by them and other domestic issues in the country (*Al Jazeera* and terrorism for example) requires a new look by the actors involved (political power , ENTV, etc..) in the subject in Algeria because it must act positively in this direction. Algeria has launched its International Radio in 2006 that is to say, twenty years after the birth of the Moroccan radio Medi 1. It is unacceptable that the same scenario repeats itself with Medi Sat launched two years ago. In other words, the arrival of Algerian television news in 2030!

Bibliography:

Bourdieu, Pierre, (2002) : *Questions de sociologie*, Paris, Les Editions de Minuit.

Bourdieu, Pierre, (1979) : *La distinction critique sociale du jugement*, Paris, Les Editions de Minuit.

Brusini, Hervé, James, François (1982) : *Voir la vérité, Le journalisme de la télévision,* Paris, Presse Universitaire de France.

Czuber, Agnieszka, (2007): « Al-Jazeera ? a mouthpiece for radicals or the Arabs ? Window on the world? » in <www.arabia.pl/english/> (Web site visited on 21/12/2007)

Djefafla, Daoud (2008) : *La chaîne d'information en continu Al Arabiya, un vecteur du panarabisme saoudien dans l'espace arabe*, Thèse de doctorat d'Etat, Université Paris XIII

El Zeydi, Moufid, (2003) : *La chaîne Al Jazeera. Braiser les tabous dans l'espace médiatique arabe*, Beyrouth, Dar Et-Talia.

Esquinazi, Jean-Pièrre (1996) : *Le pouvoir d'un media, TF1 et son discours*, Paris, L'Harmattan

Fandy, Mamoun (2007) : *(Un)Civil war of words : media and politics in the Arab world*, Praeger Security International

Foucault, Michel (2003) : *Surveiller et punir*, Paris, Gallimard

Foucault, Michel (1994) : *Dits et écrits*, Paris, Gallimard

Foucault, Michel (1969) : *Archéologie du savoir*, Paris Gallimard

Jost, François (1999) : *Introduction à l'analyse de la télévision*, Paris, Ellipses

Miles, Hugh, (2005) *Al Jazeera : The Inside Stroy of the Arab News Channel That is Challenging the West*, New York, Grove Press.

Mœglin, Pierre, Tremblay, Gaëtan (2005) : « La télévision généraliste en question », in Mœglin, Pierre, Tremblay, Gaëtan (2005) : (dir.) *L'avenir de la télévision généraliste, L'Harmattan*, pp. 7-23, Paris.

Semprini, Andria (2000) : *CNN et la mondialisation de l'imaginaire*, Paris, CNRS Editions

Semprini, Andria (1996) : *Analyser la communication, comment analyser les images, les médias, la publicité*, Paris, l'Harmattan.

Tarde, Gabriel (1999) : *La logique sociale*, Paris, Institut Synthélabo pour le progrès de la connaissance

Wannas, El Monsef (2006) « Les chaînes satellitaires arabes et son rôle dans la diffusion des valeurs civiques », Les radios arabes, n° 2, 2006, Tunis, pp. 34-46.

Les facteurs psychosociaux de la crise de transmission des valeurs: Perspectives d'une nouvelle génération

Par:Bechka Azzedine. Ecole doctorale en sciences sociales
Univ: Oum-el-Bouaghi-Algérie

Résumé:

Dans le présent article, nous évoquerons un phénomène qui a retentit depuis des années sur la scène éducative et qui représente des corrélations multidimensionnelles, notamment ses retombées psychosociologiques, il s'agit de la dominance de la femme: écolière, étudiantes (tablier rose) et fonctionnaires; une dominance quantitative qui engendrera des perspectives qualitatives.

De ce fait, cet article ne s'efforce pas de donner des réponses philosophiques, ni de tracer le militantisme féminin, mais tend à frôler un espace contentieux entre la femme et l'homme au sein de la société algérienne, qui en plein mutation et que nous essayons de décrire ses contours matriarcaux et patriarcaux.

Nota benne: toute citation comportant "homme" veut dire ses références: masculine, et toute citation "femme" veut dire ses références féminines.

Mots clés: tutelle, pouvoir, dominance, influence

Abstract:

In this article, we will evoke a phenomenon which has resounded since years on the educational scene and which represents multidimensional correlations, in particular its psychosociological repercussions, it is about the dominance of the woman: schoolgirls, students (pink apron) and civil servant, a quantitative dominance and which will generate qualitative prospects.

So, this article does not endeavour to give philosophical answers, nor to trace the female militancy, but tends to come very close to contentious space between the woman

and the man within the Algerian society, which into full change and that we try to describe its matriarchal and patriarchal contours.
Nota benne: any citation comprising "man" is related to his references: male and any citation "woman" is related to her female references.
Key words: custodianship, authority, dominance, influence

Chaque société dans son parcours historique, esquisse son futur qui s'enrichit des divergences émanant des conflits qui touchent les aires de manœuvres forgés à partir des expériences, vécus dans le monde intellectuel, personnel ou dans le monde des objets.

L'antagonisme qui réfute toutes sortes de statut quo, poussent le clash des idées pour donner naissance à de nouvelles réalités qui prédominent la vie psychique et sociale des sociétés concernées.

Parmi les sphères qui seront touchées au premier lieu durant cet antagonisme est la sphère des valeurs et des normes que vit la société algérienne, qui est en pleine mutation à cause de la compulsation des systèmes archaïques tel que le système patriarcal.

Ainsi, pour débattre les causes et déterminer les conséquences, nous essayons d'explorer la genèse de ces phénomènes tels que la dominance féminine que nous décrivons dans cet article.

1- visions autour du parcours de la femme algérienne:

La société algérienne comme divers sociétés arabo-musulmanes est gouvernée par un réseau de loi qui régit la vie sociale dans toutes ses perspectives, mettant ainsi l'ordre anthropologique et culturel. La femme, qui est la subordonnée de l'homme, vit sa liberté dans les aires masculines (père, frère et mari) d'où une autonomie engagée par les décisions de l'homme.

Comme étant L'autonomie qui est la possibilité de s'assumer, de prendre des décisions soi-même est une forme de liberté, L'absence d'autonomie des femmes a donné naissance au féminisme.

La révolution contraceptive était le premier tournant dans l'histoire de la rivalité entre les deux sexes, associée à d'autres paramètres tels que la scolarisation obligatoire , au début de cette rivalité,le sens unique de la réflexion a conquis tout les domaines, pour aboutir à l'obstruction de toutes idées qui peuvent challenger le rôle de la femme, et dans les cas les plus dérisoires, la femme doit renoncer pour regagner le foyer afin d'élever ses enfants; telle est sa tache primordiale et l'objectif du mari pour mettre fin à son hégémonie. La révolution contraceptive (pilule et préservatif) à libérer la femme pour enfin, contenter l'homme, et rendra l'équilibre entre ses fonctions originales (celles exigées par son mari), et ses désirs qui ne cessent de s'accroître afin de pouvoir fuir le joug séculaire.

Jusqu'aux années 1980, la domination féminine dans les écoles était dans ses normes réelles, l'expansion des écoles à travers les zones rurales et les obligations sociales de mettre en pied d'égalité "garçons et filles" créaient les prémices de l'anéantissement des paradoxes.

Le taux de réussite aux examens officiels (6^{eme}, B.E.M, BAC), a donné quelques imminences, voir quelques bourgeonnement dans les filières littéraires ou humaines, mais la dominance masculine était l'image perpétuelle de la scène éducative à travers tous les niveaux (primaire, moyen, secondaire et universitaire) et qui a gardé le monopole sur les filières techniques et scientifiques.

Durant les années de la décennie noire, et malgré l'obstacle sécuritaire qui n'a pas pu entraver la ruée des filles vers la dominance, même dans les endroits connus comme " fiefs des conservateurs", l'itinéraire foyer- école

est envahi par une marée de jeunes à double coloration sexuelle.

2- scolarisation et réussite: prototype des données statistiques

Afin d'inscrire la problématique de cet envahissement, nous exposons les statistiques des étudiants scolarisés durant l'année 2010/2011, seulement à titre indicatif, pour situer l'afflux des étudiantes par rapport aux étudiants, que ce soit en nombre scolarisés ou en taux de réussite.

Epreuves	N^0 inscris	nombre de garçons	nombre de filles
BAC	357464	134635	222829
BEM	523834	236613	287221
5 eme	610952	323653	287299

Fig1:nombre de candidats scolarisés (garçons et filles) au trois épreuves durant l'année scolaire 2010-2011
Source: office national des examens et concours, voir: Algérie 360°.COM (12/06/2011,11:44)

N^0 inscris	présents	réussis	n° garçons admis	%	n° filles admises	%
523834	518257	364569	154475	42.37	210094	57.63

Fig2: comparaison entre garçons et filles scolarisés et leurs pourcentage de réussite à l'épreuve BEM 2010 – 2011
Source: office national des examens et concours, voir: CHOUROUK ON-INE (14/06/2011,9:45)

N^0 inscris	réussis	n° garçons admis	%	n° filles admises	%
357464	220518	46651	34.65	145619	65.35

Fig3: comparaison entre garçons et filles scolarisés et leurs pourcentages de réussite à l'épreuve BAC 2010 – 2011

Source: office national des examens et concours, voir: CHOUROUK ON-INE (14/06/2011,9:45)

Premières constatations

- Fig. 1: nombre de garçons est décroissant à partir de l'épreuve 5 ème, tandis que le nombre de filles est stable entre 5 ème et BEM, mais le nombre devient moins à l'épreuve du BAC.
- Fig. 2: le taux de réussite à l'épreuve BEM est saillant et la différence entre garçons et filles est constatable, malgré que leur nombre devance légèrement le nombre des garçons.
- Fig. 3: le taux de réussite à l'épreuve du BAC est phénoménologique, que ce soit sur le nombre de candidats ou le taux de réussite (approximativement le double).

Cette réussite a donné naissance à l'envahissement de plusieurs secteurs, qui connaissent un rarissime continu du genre masculin. Selon le rapport national du Ministère délégué aux affaires familiales (république algérienne démocratique et populaire, pékin+ 15) le pourcentage des femmes dans quelques secteurs (2007-2008) est significatif:

- 55% journalistes
- 50% police judiciaire
- 60 % enseignements et éducation
- 60 % santé
- 54 % justice (juges)
-65 % demandeurs d'emplois (programme d'insertion social)

3- Analyse des facteurs de l'ascension:

Plusieurs hypothèses dans l'analyse populaire[1], introduisent les contraintes réelles ou fictives qui ont engendré le recul des étudiants devant les étudiantes, quantitativement ou qualitativement, à savoir le taux de

natalité, le problème de service nationale, le vif désir féminin de rivalité, et enfin la division des rôles sociaux qu'attend les deux sexes; raison pour laquelle nous pouvons tracer ainsi un tableau qui résument les principaux facteurs qui influent directement le renoncement de l'homme devant l'invasion de la femme.

1-facteurs scolaires:

Le taux de réussite est lié aux différents paramètres; tous d'abord le complexe de rivalité entre filles et garçons dans les classes hétérogènes d'où l'appelle au retour à la non mixité dans les écoles même dans les pays occidentaux. (Brigitte, M. 2010), cette hétérogénéité a des effets directs sur l'assimilation et l'acquisition chez les garçons, ainsi, plusieurs études ont essayées de répondre aux mauvais résultats scolaires que l'on remarque chez les garçons ou à la persistance des stéréotypes dans les choix d'orientation des garçons et des filles, comme elles signalent le comportement des garçons monopolisant l'attention en classe, le déficit de concentration des adolescents se retrouvant avec des élèves du sexe opposé et le fait que les écoles servent de lieu de construction de la masculinité et de la féminité.

Certaines études suggèrent que les femmes optent d'étudier des matières dites « masculines » et moins de chance d'étudier des matières plus « féminines » aux niveaux post-bac et universitaire (Emer, S. 2010).

De même certains sociologues se demandent si la mixité des classes n'est pas susceptible d'expliquer pour une part la violence des jeunes garçons pourvu que cette mixité a engendré des comportements différenciés des enseignants vis-à-vis des garçons et des filles, ainsi que la mise en discussion du problème de l'orientation et sa division sexuée et l'engagement de ses enjeux identitaires et psychiques (questions de représentations masculines et féminines).

2-faceurs économiques:

la majorité des étudiants appartiennent à des familles qui vivent une oisiveté accentuée principalement par les changements économiques (transition vers le marché ouvert) ,ce qui a conduit à une dislocation des couches sociales (minorité aisé et majorité pauvre), d'où le complexe d'infériorité et l'exposition quotidienne aux différentes humiliations symboliques et verbales, de la part des filles surtout, devant le mode de vie de certains d'eux (vêtements et chaussures, argent de poche), ce phénomène associé à l'expansion des tic (technologie d'information et de communication), avec ses exigences à travers les mobiles "flexy" et besoins ascendantes des cybercafés.

3- facteurs sociaux:

Liés en premier lieu au statut du masculin dans la société algérienne, acquis par similitude et transmis de père en fils, ce rôle de la tutelle ou la possession de la puissance paternelle, a engendré ainsi le souci d'assumer cette responsabilités et de garantir l'avenir par un travail fructueux, de ce fait, l'engagement précoce dans les différents travaux (floraison du marché parallèle)

4-facteurs psychologiques:

Ces facteurs sont liés à la période de la jeunesse, ainsi que depuis la connaissance des nouveaux aires et la cognition des espaces commerciaux et la prise de conscience de l'importance de l'argent, les filles ne côtoient que les garçons aisés, ce phénomène est lié essentiellement à l'esprit consommateur des filles qui ne cesse de s'accroître de plus en plus, donnant ainsi une communication verticale (domination des relations avec les garçons plus âgés, et très peu de relations se construisent entre les pairs de mêmes ages et qui se termines par un mariage)

5- facteurs liés aux modes de recrutement et d'embauche:

Le garçon avec ou sans diplôme universitaire, marque un déphasage par rapport à sa génération surtout devant les filles qui ne sont pas concernées par ce facteur que nous allons décrire. Le refus de dossier qui a pour cause la non régularisation de sa position vis-à-vis du service national (manque de la carte jaune ou le livret militaire), surtout avec l'accumulation des expériences vécu avec l'un de ses frères ou de ses voisins ce qui conduit à l'amotivation et construit un désengagement envers les études (50000 étudiants post-gradués sont en retard pour soutenir leurs magisters afin d'atteindre l'age d'exempt du service national) (Sofiane, D. 2011)

La primauté de recrutement féminin fait son mécontentement auprès des jeunes garçons qui contestent les critères appliqués durant les psycho-tests. La fille est privilégiée à cause de la nature de sa personnalité (domptable), ou par son comportement séducteur devant la clientèle et dans les pires des cas, elle est considérée comme une proie exigée par les patrons et les responsables.

3- La transmission de la culture intergénérationnelle

Parmi les valeurs que nous observons à la devance des changement et qui occupe l'idée charnière de cet article est la notion de la tutelle ou " la puissance paternelle" qui caractérise la culture algérienne (arabo-musulamane), l'analyse rapide des données présentées précédemment nous pousses à poser ce questionnement : quelles mutations porteront ses nouvelles données surtout sur l'organisation hiérarchique? Quelles seront les répercussions sur les valeurs et les normes sociales?

Préalablement la problématique du système paternelle dans la société algérienne, en premier lieu " la

tutelle" comme valeur centrale était toujours controversée, l'exhibitionnisme masculin était artificieux,voir même erroné, sinon comment expliqué une telle représentation: l'homme négocie extérieurement les affaires familiales, et la légalisation est suspendue jusqu'à la validation de la femme (surtout en ce qui concerne les thèmes majeurs et extraordinaires).Entre ces deux attitudes (négociation et légalisation) , il y a une longue histoire de contournement, de détournement et de compromise de la gérance des affaires familiales, la bataille entre les deux sexes était autour de l'hégémonie de deux concepts en dualité permanente " la source de la décision et de sa représentation"

Dans la littérature arabe et musulmane, diverses notions de la valeur "tutelle" sont confondues et sont soumises à l'ombre de part et d'autre pour que chacun des deux sexes puissent tirer profits de cette confusion, se sont les notions de pouvoir, d'influence et de dominance.
Pour répondre au questionnement principal, la distinction entre ses notions marque leur primauté.

D'abord, le pouvoir désigne la capacité qu'ont certains individus ou groupes de décider, d'orienter ou d'imposer leurs points de vue et leurs décisions à d'autres individus, groupes et collectivités.
Les notions de pouvoir et d'influence sont faciles à cerner. Avoir un pouvoir sur quelqu'un, c'est posséder quelque chose qu'il désire et qu'il ne peut obtenir ailleurs, c'est disposé des moyens nécessaires pour être obéi.

Le pouvoir implique un système de sanctions, ce qui pourra d'ailleurs entraîner un aspect négatif chez les individus qui n'agiront que par crainte de la punition. Si nous avons pu dire que l'autorité tenait à la personne, nous devons maintenant affirmer que le pouvoir tient aux règles, il est un instrument au service de l'autorité.

Quant à l'influence, elle est l'action qu'une personne peut exercer sur une autre; elle est la capacité qu'a un homme de modifier les attitudes ou le comportement d'autres personnes. Elle se différencie de l'autorité, par le fait qu'elle n'a aucun fondement institutionnel ou légal, et du pouvoir par le fait qu'elle est acceptée ou refusée volontairement et librement sans intervention d'un système de sanctions. De plus, l'influence ne s'exerce pas simplement de supérieur à subordonnés, mais elle peut aussi s'exercer du bas vers le haut ou entre égaux. (Crener, M & Monteil, M. 1975)

L'influence est un processus interpersonnel: l'étendue et l'intensité du pouvoir d'un individu dépendent de ses ressources personnelles et de la dépendance de la personne-cible vis-à-vis de ces ressources.

L'environnement peut être aussi pris en considération. Le pouvoir coercitif est fondé sur la crainte. Celui qui se soumet à ce pouvoir le fait par peur des conséquences négatives que pourrait amener sa désobéissance.

Le concept de pouvoir est relié au concept de domination et mobilise toute une série de concepts qu'il est important de définir.

Le concept de pouvoir est beaucoup plus vaste que celui de domination. La domination implique une relation de supériorité à infériorité. Bien que les dominateurs ont apparemment plus de pouvoir que les dominés, la relation de pouvoir n'équivaut pas nécessairement à la relation de domination. Elle est beaucoup plus subtile. (Bergeron, L & Bélanger, J.1979)

La domination est une autorité souveraine, absolue; alors que le concept de pouvoir décrit les moyens d'agir, le contrôle que l'on peut avoir sur une personne ou une situation. La domination intervient quand le pouvoir est exercé à l'endroit de quelqu'un pour l'influencer, l'écarter d'une situation ou l'assujettir.

Max Weber définit la domination par rapport à la puissance (Aron, R. 1967) comme suit: La puissance se définit simplement par la chance que possède un acteur d'imposer sa volonté à un autre, même contre la résistance de celui-ci.

Elle se situe donc à l'intérieur d'un rapport social et désigne la situation d'inégalité qui fait que l'un des acteurs peut imposer sa volonté à un autre. La domination est la situation dans laquelle il y a un maître. Elle peut se définir par la chance du maître d'obtenir l'obéissance de ceux qui en théorie, la lui doivent. La différence entre la puissance et la domination, c'est que dans le premier cas, le commandement n'est pas nécessairement légitime, ni la soumission obligatoirement un devoir, alors que dans le second, l'obéissance est fondée sur la reconnaissance par ceux qui obéissent des ordres qui leur sont donnés.

Dans la pratique quotidienne et selon les règles sociales dans notre société, l'aspect de la dominance est superficiellement caractéristique des relations "homes femmes", que ce soit entre frère et sœur , ou entre mari et épouse

4- Perspectives autour du bouleversement des valeurs:

Devant la précarité du monde du travail (que ce soit travail temporaire, salaire diminué ou chômage avec ses semblant: filet social, contrat….), l'homme à travers les causes et les facteurs cités précédemment sera docilement ou forcément obliger de mettre quelques atouts qu'il possède sur table de négociation et d'exposer quelques pouvoirs sur les arènes du combat afin de s'adapter aux exigences du changement.

Parmi les normes que nous supposons être les premiers indicateurs du changement, on note la question des droits et les obligations des deux conjoints, ainsi que l'article 37: modifié par l'ordonnance n°05-02 du 27 février 2005

(journal officiel n°15, p19, 2005) Rédigé en vertu de la loi 84-11 du 09 juin 1984 mentionne le devoir du mari comme suit:
Le mari est tenu de:

1°) subvenir à l'entretien de l'épouse dans la mesure de ses possibilités sauf lorsqu'il est établi qu'elle a abandonné le domicile conjugal.

2°) d'agir en toute équité envers ses épouses s'il en a plus d'une.

Ce mari caractérisé par un capital symbolique et d'un déficit financier (à cause de son niveau scolaire et son diplôme) peut-il subvenir aux besoins de son épouse (généralement fonctionnaire) ou celles de ses enfants? (Même la femme fonctionnaire garde intelligemment son droit d'être prise en charge par son mari d'où la prolifération des conflits autour des paies de chacun d'eux).

Les obligations mettent la tutelle en péril tant que la loi la force de devenir, car L'administration du tuteur cesse:
1- par son incapacité d'exercer la tutelle
2- par son décès
3- par son interdiction judiciaire ou légale
4- par sa déchéance

(Article 91de la loi: 84-11 du 09 juin 1984)

Cette tutelle n'a pas de sens chez une épouse qui veuille quotidiennement aux besoins de toute la famille et même de son époux (généralement en chômage ou incapable de répondre aux exigences accrues de la famille), plusieurs familles connaissent et connaîtront ce genre de crise et généralement devant de telle situation le divorce est la solution, mais de la sorte suivante:

L'épouse peut se séparer de son conjoint moyennant réparation (khol'a^) après accord sur celle-ci. En cas de

désaccord, le juge ordonne le versement d'une somme dont le montant ne saurait dépasser la valeur de la dot de parité (sadak el mithl) à l'époque du jugement.
Article 54: modifié par l'ordonnance n° 05-02 du 27 février 2005 (journal officiel n° 15, p 19,2005), rédigé en vertu de la loi n° 84-11 du 09 juin 1984.

Cette supposition n'est plus fictive, présagée ou tendancieuse devant le devenir de l'aspect des nouvelles relations maritales, les subterfuges des nouvelles connaissances et les raccourcis des modes de vie. Ainsi que dans une société ou s'opère un savant mélange de contre-culture (spontanéité et anti-autoritarisme dans les relations parentales et conjugales) les valeurs véhiculées par les mouvements contre-culturel, colore à tout le moins les moeurs de ces nouvelles entités familiales (Lamoureux, D & Morf, N.1983), et qui passent de la rivalité assidue vers une dislocation totale de ces nouvelles entités avec ses atroces retombées (200442 cas de divorces en 2009 et 11**%** des familles sont mono paternelles)

5- Conséquences des mutations: lutte des normes

Afin d'admettre le questionnement principal, le contexte psychosocial dans son afflux vers sa manifestation culturelle exige une réponse sur l'attitude de la nouvelle génération "masculine" en ce qui concerne la confiscation des rôles qui lui sont appropriés, à savoir dominance et influence ou la tolérisation de l'interversion des rôles.

Le sens du bouleversement des rôles naît à partir du déterminant "influence", vu l'absence de fondement légal et institutionnel, et qui s'en profite des changements qui ont frappé la stabilité du rôle de l'homme surtout dans son aspect économique (taux de chômage est à l'ordre de 20 **%** selon l'organisation mondiale du travail), crise de logement, cherté de la vie, factures mensuels d'électricité et de gaz, de loyer,….), additionné à la surpression du nouveau statut de la femme endossé légalement au "code de la famille", et

objectivement à la concurrence autour des ressources de dominance (emplois, enseignement, recherche et commerce), cette concurrence a dessécher les ressources qui sont les moyens d'agir pour l'homme et cependant la perte du pouvoir.

Autrefois, à l'aube de l'ouverture sociale et culturelle, l'idée charnière de la lutte des générations était autour d'un conflit " vertical" ; entre une génération façonnée par un patrimoine qui ne cède plus à la révision d'où une transmission sans contestation des valeurs, et une génération exposée quotidiennement au changement interrelationnels, enrichis parl'explosion matérielle (technologie d'information et de communication, les outils de divertissement et du bien- être) (Kaplan,R & Kaplan,S .2011); vécus entre la peur et la frustration, la nouvelle génération n'a pas pu assouvis ses pulsions et ses besoins, s'est trouvée désormais face à une nouvelle lutte, mais d'un nouveau aspect, et qui draine le conflit horizontalement vers un antagonisme impetoyable.

Le statut de la femme "nouvelle génération" n'occupe plus désormais la subordination; les prérogatives de la maintenance du pouvoir masculin vivent le déclin, et on peut voir les indices du pouvoir (la crainte et l'autorité) se dissipent progressivement pour aboutir enfin à la domination de la décision féminine et l'imposition de son droit à la représentation.

Références bibliographiques:

1-"ARON, Raymond, (1967).Les étapes de la pensée sociologique, Paris, Gallimard, 553

2-BERGERON, Léger & Jacques Bélanger, (1979). Les aspects humains de l'organisation, Chicoutimi, Gaétan Morin Ltée,) ,206

3- Brigitte, Marin & Marie Duru.Bellet, (2010). la mixité scolaire une question encore d'actualité, Revue française de pédagogie /171/,5-8

4-"CRENER, Maxime & Bernard Monteil, (1975).Principes de management, Montréal, Presses de l'Université du Québec, ,368-369

5- Diane Lamoureux et Nicole Morf, (1983): " La famille en rénovation : réflexion sur la nouvelle famille " collection: "Les classiques des sciences sociales", 8, Site web: http://www.uqac.ca/Classiques_des_sciences_sociales

6-Emer Smyth, (2010). single –sex education, what does research tells us? Revue française de pédagogie /171/, 47-55

7-Rachel Kaplan & Stephen Kaplan (2011):Well-being, Reasonableness, and the
Natural Environment APPLIED PSYCHOLOGY: HEALTH AND WELL-BEING, 3 (3), 304–321

8- code de la famille, 1984

9- journal officiel de la république algérienne démocratique et populaire, n°15,2005

10-Sofiane.D, université algérienne et les paris, voir site: **Djazair News** (15/08/2011,10:52)

11 - à notre connaissance, aucune étude n'a été faite pour étudier ce phénomène

L'approche par tâches : Une application pour l'enseignement des langues étrangères.

Dr. Lakhdar KHARCHI Université de M'Sila-Algérie

Résumé.

Les TIC offrent des moyens didactiques efficaces pour un apprentissage médiatisé d'une L2. Cet apprentissage médiatisé, qui porte sur des tâches, nécessite, à la fois, des macro-tâches et des micro-tâches. La réalisation de la tâche est liée au contexte dans lequel elle se déroule. Une tâche doit donner un résultat mesuré en termes de produit, processus et rentabilité et ne sera possible que dans un dispositif approprié.

Mots-clés : TIC - Tâches - macro-tâches - des micro-tâches

Abstract. TIC provides the means for effective teaching of mediated learning an L2. This mediated learning, which focuses on tasks, requires both, macro-tasks and micro-tasks. The completion of the task is linked to the context in which it unfolds. A task must deliver an outcome measured in terms of product, process and profitability and will only be possible in a suitable device.

Keywords: TIC - Tasks - macro-tasks - micro-tasks

INTRODUCTION

L'apprentissage est perçu comme une activité située socialement et ancrée dans la réalité. La priorité est donc donnée au pragmatisme et au sens. Il s'agit alors d'un apprentissage signifiant pour les individus dans la mesure où il porte sur des tâches proches de leurs besoins, et qui présentent un intérêt certain.

I. APPROCHE PAR TACHES

Ellis (2003 : 3-10) définit la tâche comme un ensemble d'actions réalistes qui donnent lieu à une production langagière « non-scolaire » ou « *real-world activities* » et de « *real world processes of language use* ». Cet ensemble ne dépendra pas initialement d'hypothèses sur les savoirs, mais s'appuiera sur des *« corpus »* de situations de communication *« authentiques »*. L'approche par tâches s'appuie totalement sur des tâches faisant sens et suit un programme procédural: des ensembles de tâches fondées sur des situations réalistes socialement (Nunan, 1989). L'approche par tâches est passée d'une focalisation sur la négociation du sens à une réflexion sur un certain nombre de points liés à l'enseignement centré sur la forme (Randall, 2007). Les tâches sont donc vues comme une solution face à l'impossibilité de déterminer un objet d'apprentissage linguistique.

L'approche par tâches cherche à reproduire les conditions naturelles de la communication et à centrer la pédagogie sur les activités de l'apprenant (Ellis, 2003). Le principe d'une telle démarche, selon Guichon (2007), consiste à proposer comme élément central la mise en place de tâches langagières dans une séquence qui les rapproche progressivement en complexité et en authenticité de la communication en situation naturelle.

Skehan (1998) explique qu'une tâche communicative comporte les caractéristiques suivantes : le sens prime sur la forme ; il y a un problème de communication à résoudre ; il existe un rapport avec des activités du monde réel ; l'achèvement de la tâche est prioritaire ; la tâche s'évalue en termes du résultat. La mise en œuvre d'une tâche communicative entraîne en général, d'une part, la répartition des apprenants en binômes ou en petits groupes et, d'autre part, la création d'un écart d'informations entre différents locuteurs, les apprenants ayant pour but de diminuer cet écart par une activité communicative en L2.

L'utilisation de tâches comme outils pédagogiques s'inspire largement de l'idée qu'une communication authentique suffit pour déclencher une dynamique d'acquisition. Selon les thèses interactionnistes,

« la tâche incite naturellement les apprenants à entrer activement dans la langue, à comprendre leurs propres processus d'apprentissage et, pour y parvenir, à se poser constamment des questions sur leur fonctionnement à partir des exemples repérés » (Narcy-Combes et Walski, 2004 ; 35).

En effet, une tâche efficace déclenche le processus d'apprentissage qui conduit l'apprenant à construire ses connaissances par stades successifs. Elle est le moyen d'interagir avec l'environnement langagier en fournissant « *un cadre à l'activité d'apprentissage* » (Guichon, 2007).

Nous retiendrons que la tâche est « *une activité cohérente et organisée* » (Narcy-Combes, 2005 ; 167), qui reflète un modèle de la vie quotidienne qui sert de base à un ensemble d'actions d'apprentissage qui ont un objectif à faire atteindre, afin d'assurer un repérage efficace.

2. TYPES DE TACHES

Les tâches déclenchent des stratégies d'apprentissage, grâce auxquelles, l'apprenant peut faire appel à ses connaissances. Develay (1992) explique cette notion de stratégie par des modèles descriptifs généraux susceptibles de fournir une description des fonctions cognitives :

La tâche déclenche dans la mémoire à court terme une représentation des buts à atteindre, des critères de réussite, en même temps qu'elle conduit à s'interroger sur la planification qu'elle impose (gestion du temps, ordre de successions des actions…) Simultanément sont activées en mémoire à long terme des connaissances déclaratives et procédurales. L'intrication des connaissances déclaratives et

procédurales activées entraîne une rétro-action au niveau des représentations et de la planification. L'ensemble permettra finalement de résoudre le problème (Develay, 1992 :116).

Ainsi, selon ce même auteur, il existe deux types de tâches : les macro-tâches, qui font appel à un savoir procédural et les micro-tâches, qui utilisent un savoir déclaratif pour focaliser l'attention sur certains problèmes précis. Les micro-tâches en utilisant le savoir explicite complètent et ajustent le savoir implicite. Narcy-Combes (2005), de son côté, précise que :

- Les macro-tâches, qui correspondent à une hypothèse interactionniste, sont des tâches réalistes qui simulent la réalité socioculturelle ou professionnelle, (Guichon, 2006). Elles auront besoin d'être complétées par d'autres tâches, plus ciblées, qui seront d'autant mieux accueillies par l'apprenant qu'il aura pris conscience par lui-même de ses besoins.

- Les micro-tâches correspondent à une hypothèse cognitiviste (et constructiviste) qui postule qu'un entraînement peut se transférer à la pratique réelle. Benoit (2004) ou Arthaud (2007) traite de la complexité progressive des tâches, et de leur intégration dans un dispositif.

Ainsi, les macro-tâches et les micro-tâches favorisent l'évolution et la reconstruction de l'interlangue de l'apprenant. Elles facilitent aussi, le repérage et aident à la prise de conscience. Les macro-tâches sont fondées sur une hypothèse interactionniste alors que les micro-tâches sont, au contraire fondées, sur une hypothèse cognitiviste et/ou constructiviste (Narcy-Combes, 2005). Elles doivent répondre en complémentarité aux besoins des apprenants.

3. TACHES ET TIC

Les TIC permettent à l'apprenant de L2 de travailler à son rythme et surtout rendent l'apprentissage d'une langue vivante étrangère autonome. En effet, comme le précise Guichon,

« les TICE allaient accroître la motivation, individualiser les apprentissages, respecter les profils cognitifs, rendre l'apprentissage plus ludique, plus attrayant, plus interactif » (2007 : 11).

L'intégration des TIC donne donc, à l'apprenant les moyens d'éveiller sa curiosité et d'aller ainsi vers la nouveauté, ce qui contribue à renforcer sa motivation. Les potentialités techniques qu'offrent les supports TIC, représentent un atout non négligeable pour la conception de tâches, qui, permettent à l'apprenant d'accomplir son apprentissage de manière individualisée. L'apprenant peut s'entraîner à son rythme, sans regard extérieur, et surtout en fonction de ses besoins spécifiques, ce qu'il ne peut pas faire en groupe.

En effet, Les TIC offrent une multitude de supports pédagogiques adéquats pour l'apprentissage des langues étrangères qui permettent à l'apprenant de faire travailler les deux hémisphères de son cerveau à la fois (Ginet 1997 : 34-44, Comblain, 2001 : 64). Le multimédia met l'apprenant dans un monde électronique réel où les informations sont présentées par les images et le son dont l'impact sur le cerveau est plus important que celui du texte seul. La possibilité de la répétition offerte par le multimédia correspond à ce que Cordier et Gaonac'h l'appellent "*le code verbal : code phonologique et boucle articulatoire* (2004 : 115)". Selon lequel l'autorépétition dans la mémorisation à court terme est fondée sur des représentations, à la fois, acoustiques et articulatoires.

La communication médiée par ordinateur (CMO) favorise les tâches socio-collaboratives (Lamy & Hampel, 2007) et

ouvre des possibilités de débats, de résolution de controverses ou de construction de consensus (Narcy-Combes, 2009), en offrant des moyens didactiques efficaces pour un apprentissage médiatisé d'une L2, qui nécessite, à la fois, des macro-tâches et des micro-tâches et permet, donc, de créer d'authentiques communautés d'apprentissage, même dans des dispositifs hybrides, des échanges de ce type sensibilisent les apprenants sur les liens entre sens et formes (Bertin & Narcy-Combes, 2007). Une tâche doit donner un résultat mesuré en termes de produit, processus et rentabilité (Narcy-Combes, 2009). Par contre, il faut signaler que les tâches fondées sur la CMO ne seront possibles que dans un dispositif approprié qui impose de nombreux critères qui sera, à son tour, d'après le même auteur (2009) lié à plusieurs paramètres comme la rentabilité et la faisabilité, selon le contexte.

CONCLUSION:

En guise de conclusion, nous dirons que la tâche seule n'assure pas l'apprentissage, mais elle déclenche le processus d'apprentissage, un processus personnel pour chaque apprenant, vu, non pas comme une accumulation de données, mais comme une progression en sauts qualitatifs. Ainsi, « *l'apprenant s'engage dans un processus qui engendre le besoin de travailler l'objet, la langue elle-même* » (Narcy-Combes et Walski, 2004 : 7). En revanche La tâche n'est pas une fin en soi, mais le moyen, pour les apprenants, d'interagir avec l'environnement langagier et les incite à entrer activement dans la langue, à comprendre leurs propres processus d'apprentissage, et, à partir des exemples repérés.

Références bibliographiques :

1. Arthaud, P. (2007). *Création et utilisation de ressources pédagogiques sur support numérique pour l'apprentissage d'une L2 : quelles compétences pour l'enseignant ?* Thèse de doctorat. Université Sorbonne nouvelle-Paris 3.

2. Meirieu, P. & Develay, M. (1992) *Emile, reviens vite... ils sont devenus fous,* Paris, ESF.

3. Ellis, R. (2003). *Task-based Language Learning and Teaching*. Oxford: Oxford University Press.

4. Guichon, N. (2007). *Langues et TICE - Méthodologie de conception multimédia*. Paris : Ophrys.

5. Lamy, M-N., & Hampel, R. (2007). *Online Communication in Language Learning and Teaching*. New York: Palgrave.

6. Narcy-Combes, Jean-Paul et Walski, J. (2004). *Le concept de tâche soumis au crible de nouvelles questions* », In : *Les Cahiers de l'APLIUT*, vol XXIII, n°1, février 2004.

7. Narcy-Combes, J.-P. (2005). *Didactique des langues et TIC, vers une recherche-action responsable*. Paris : Ophrys.

8. Narcy-Combes, J-P., & Narcy-Combes, M-F. (2007). *La tâche, réponse à des problèmes spécifiques dans le contexte universitaire français.* In : *Le français dans le monde – Recherches et application.*